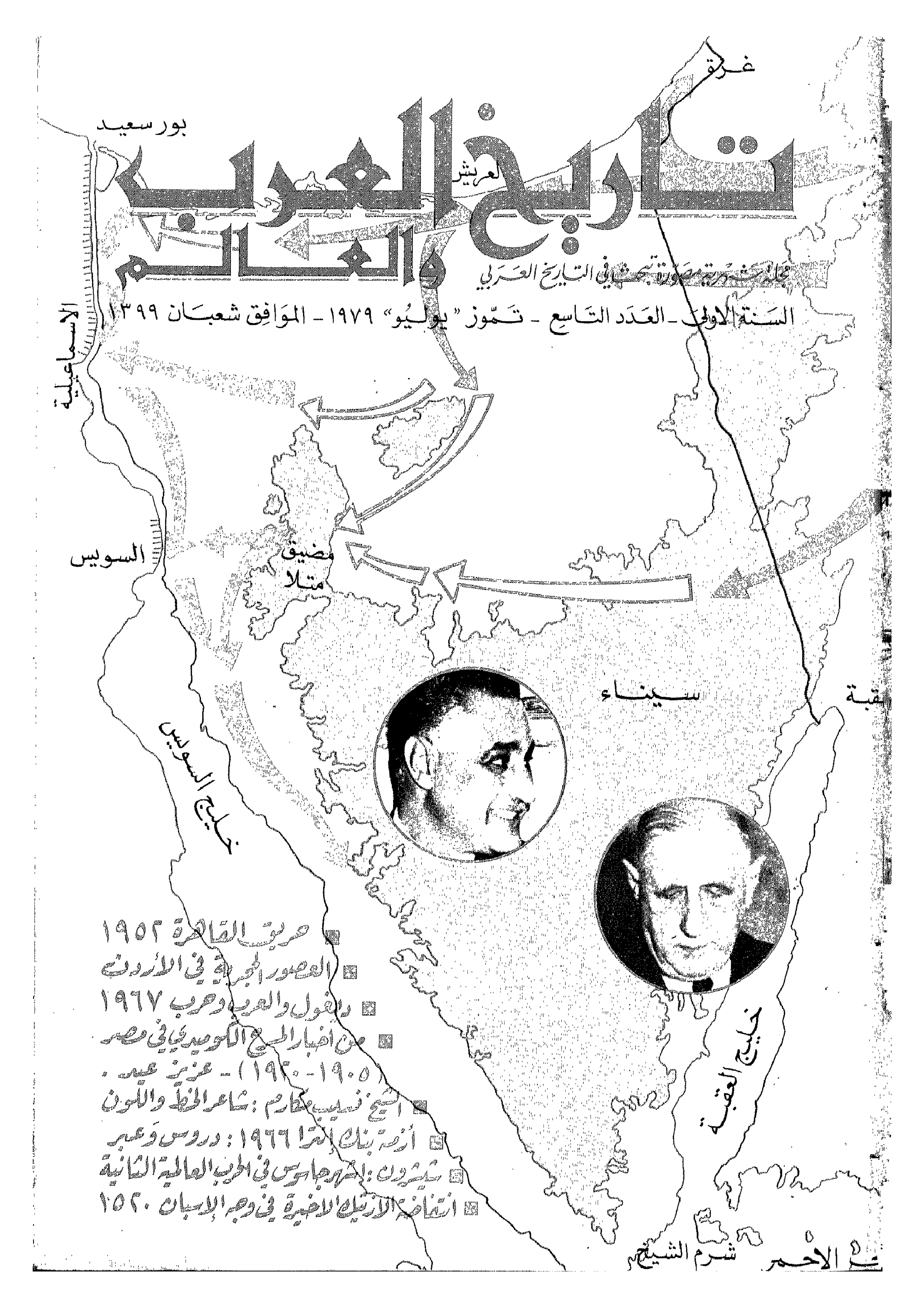
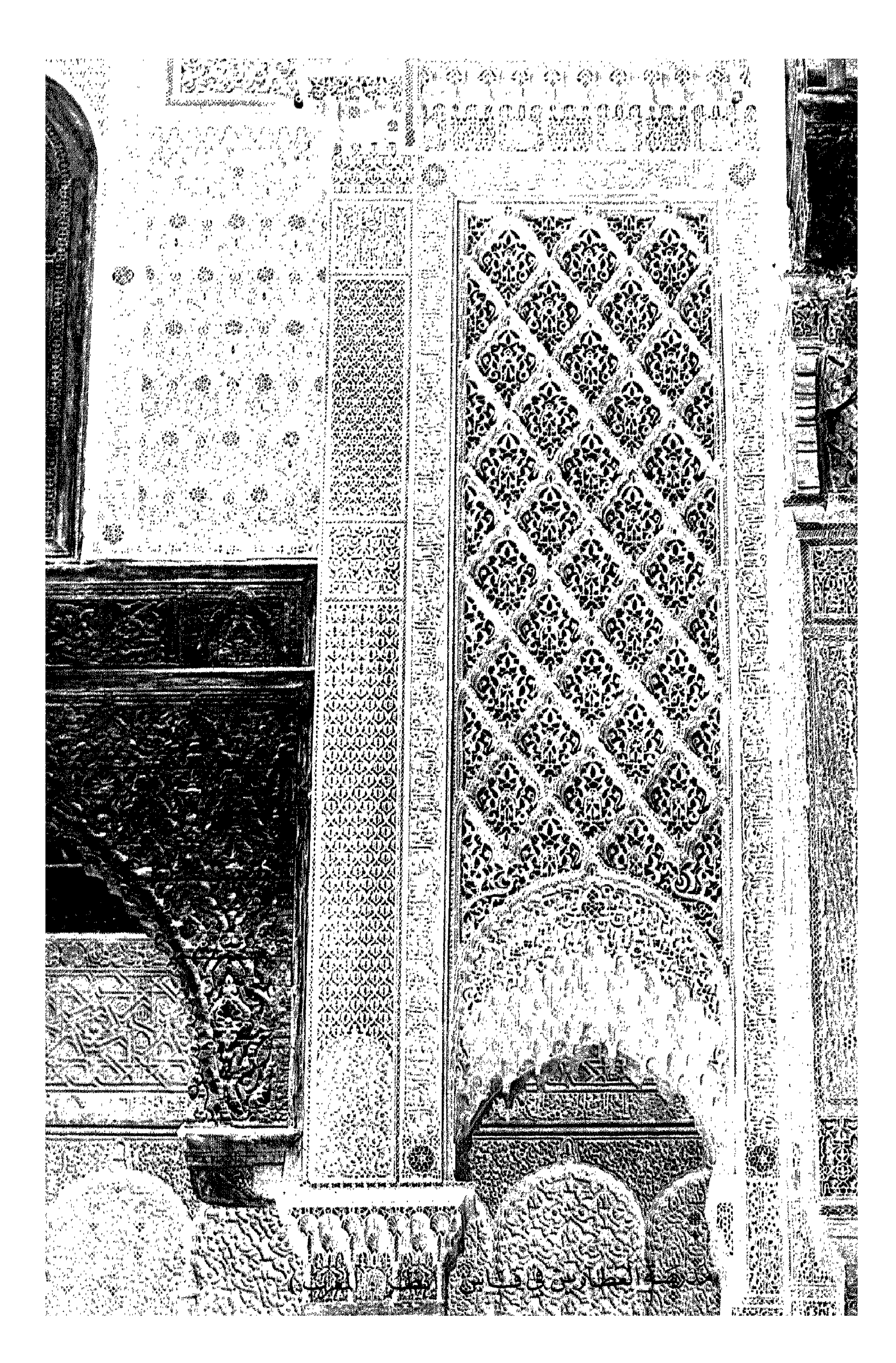

تاريخ العرب والعالم
مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي
السنة الأولى - العدد التاسع - تموز "يوليو" ١٩٧٩ - الموافق شعبان ١٣٩٩
بور سعيد
العريش
الإسماعيلية
السويس
مضيق متلا
سيناء
خليج السويس
خليج العقبة
شرم الشيخ
الأحمر
■ حريق القاهرة ١٩٥٢
■ العصور الحجرية في الأردن
■ ديغول والعرب وحرب ١٩٦٧
■ من أخبار المسرح الكوميدي في مصر (١٩٠٥-١٩٣٠) - عزيز عيد .
■ الشيخ نسيب مكارم: شاعر الخط واللون
■ أزمة بنك انترا ١٩٦٦: دروس وعبر
■ شيشرون: أشهر جاسوس في الحرب العالمية الثانية
■ انتفاضة الأندلس الأخيرة في وجه الإسبان ١٥٢٠



مدرسة العطارين في فاس (القطر المغربي)

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد التاسع
تموز (يوليو) ١٩٧٩
شعبان ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير
المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت . لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل — سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس — ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال — الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس — أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم — قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس — مسقط : ٨٠٠ بيزة
المغرب : ٥ درهم

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

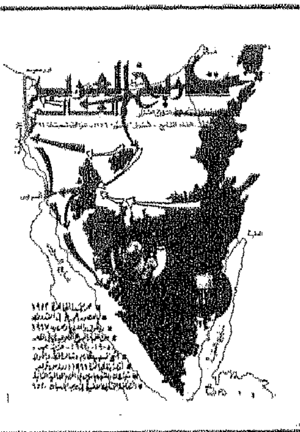
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 9. July, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

في هذا العدد

الموضوع		الصفحة

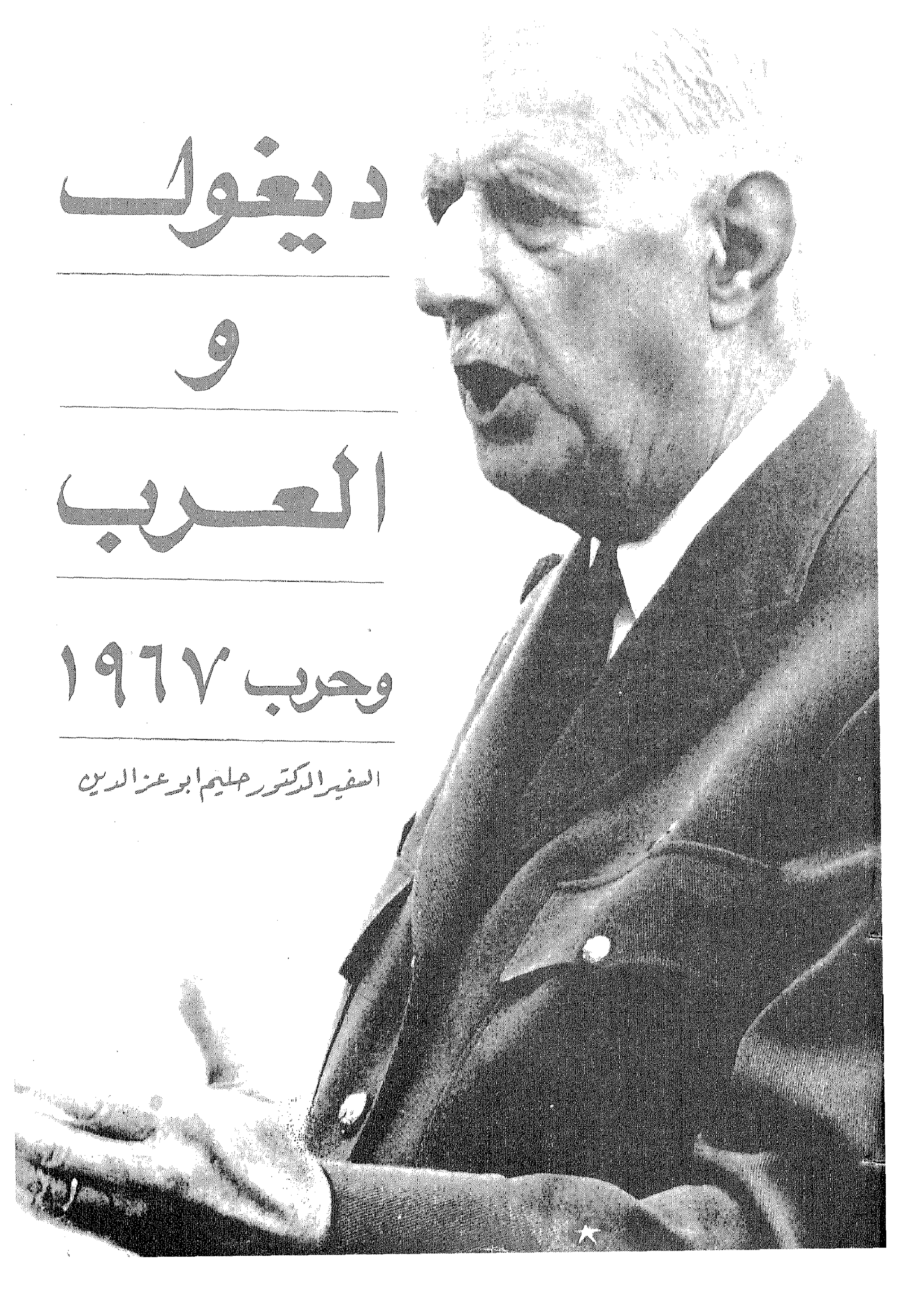


راجع مقالة
«ديغول والعرب
وحرب ١٩٦٧
د. حليم أبو عز الدين

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة : ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

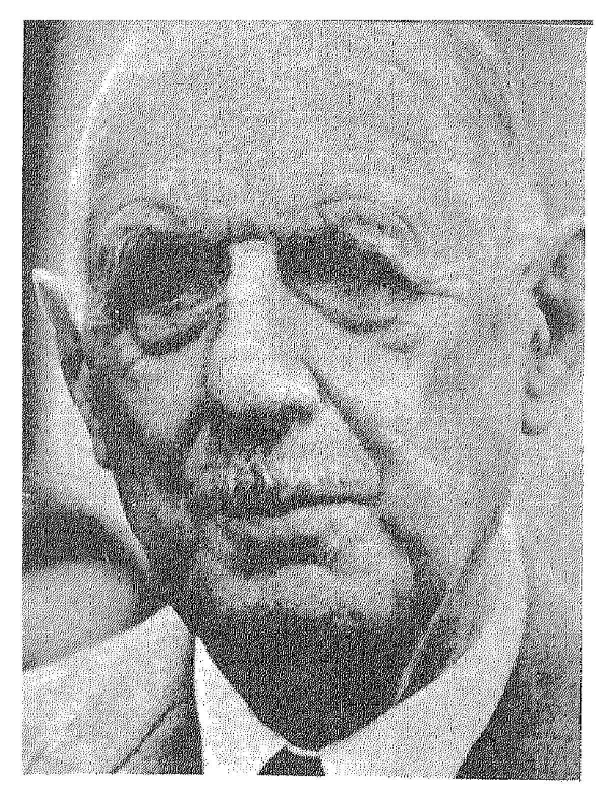

ديغول
و
العرب
وحرب ١٩٦٧
السفير الدكتور حليم ابو عز الدين

● نحن الآن في شهر أيار (مايو) عام ١٩٦٧. اسرائيل قامت بعدوان جوي على سوريا، وتحشد قوات ضخمة على الجبهة السورية: ليفي اشكول، رئيس الحكومة الاسرائيلية يصرح أمام الكنيست، في ١٢ أيار ١٩٦٧ أن اسرائيل لن تتوانى عن ضرب سوريا فيما اذا لم تتوقف هجمات الفدائيين الفلسطينين من الجولان على منطقة طبريا. رئيس الأركان الاسرائيلي، الجنرال اسحق رابين، يعلن في حفلة تخريج ضباط جدد عزم الجيش الاسرائيلي على وضع حد لهذه الهجمات. دوائر المخابرات العربية والأجنبية تسجل تحركات عسكرية كبيرة في الجليل الأعلى وسائر المنطقة الشمالية من اسرائيل.

مصر تتحرك لمواجهة الحدث، والرئيس جمال عبد الناصر يبعث بدءاً من ١١ أيار (مايو) بعض قواته، خاصة المصفحة إلى سيناء تحسبا للطوارئ، وفي محاولة لردع اسرائيل عن العدوان. على أن ضخامة الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية، ومن ثم على الجبهة المصرية، دعت الرئيس عبد الناصر إلى حشد قواته الرئيسية في سيناء، كما اضطرت القيادة المصرية، في ١٦ أيار (مايو)، إلى مطالبة قيادة قوات الطوارئ الدولية بالجلاء عن المواقع التي تحتلها هذه الاخيرة على الحدود بين مصر واسرائيل، والتجمع في قواعدها في غزة وذلك تمكينا للقوات المصرية من القيام بواجبها في حال إقدام اسرائيل على الاعتداء على أي بلد عربي. وأردفت الحكومة المصرية باعلان قفل مضيق تيران أمام الملاحة الاسرائيلية.

في هذه الأثناء كان جيش الدفاع الاسرائيلي قد أكمل حشوداته على جميع الجبهات، وباتت القيادة العسكرية تنتظر، لا بل تستحث، أمر القيادة السياسية بالهجوم. ولكن القيادة السياسية الاسرائيلية كانت تقوم، لتغطية نياتها واستعداداتها العدوانية، بتحرك ديبلوماسي علني يقوم به وزير خارجيتها ابا ايبان.

سقت هذه المقدمة القصيرة كتوطئة للدخول في لب موضوع المقال: ديغول والعرب، وحرب ١٩٦٧. ففي فجر يوم ٢٤ أيار (مايو) ١٩٦٧ حطت في مطار اورلي في باريس طائرة «العال» الاسرائيلية، ونزل منها ابا ايبان، وكان في استقباله والتر إيتان سفير اسرائيل لدى فرنسا الذي بادر بأن أسر إلى وزيره ان الجنرال ديغول، رئيس الجمهورية الفرنسية، يستقبله قبيل ظهر



ديغول: حذر ايبان بالا يطلقوا الرصاصة الأولى

اليوم بعينه، لدى انتهاء جلسة مجلس الوزراء وقبل الغداء. ودلف الاثنان إلى فندق هيلتون القريب من المطار حيث اتما وضع الخطة التي سيتبعها إيبان في حديثه مع ديغول.

أما في «الاليزه» في باريس فقد انفض مجلس الوزراء حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً. واستبقى الجنرال ديغول وزير خارجيته موريس كوف دي‌مورفيل وطلب اليه معلومات محددة حول الملاحة في «مضيق تيران» وخليج العقبة وكم عدد السفن الاسرائيلية التي تجتاز المضيق. وقد أجابه كوف دي مورفيل بما تيسر لديه من معلومات، وذكر ان عدد السفن الاسرائيلية التي تجتاز المضيق ضئيل للغاية.

فسأله ديغول: اذن فاغلاق المضيق لن يصيب اسرائيل بضربة قاضية فأجاب دي مورفيل: كلا.

فسأله: وهل يبرّر ذلك القيام بعمل حربي؟.

فأجاب: كلا.

فقال: إذن فهو موضوع قانوني.

فأجاب: فقط.

تحذير ديغول لأيبان

وعلى أثر ذلك استقبل ديغول. وبجانبه كوف دي مورفيل، وزير خارجية اسرائيل ومعه سفيره والتر ايتان.



ايبان: كل حججه انهارت أمام الجنرال

وهنا، ولدقة الوضع والموضوع. استعير من مؤلف الكاتب الفرنسي برنار ميشال وعنوانه «الحروب الاسرائيلية العربية» - الجزء الثالث - النص الحرفي تقريباً للحديث الذي جرى بين الجنرال ديغول وابا ايبان:

«ديغول متجهم، وكعادته، دعى زائره للجلوس، وبادره بقوله: انني مصغ اليك. وهذا ما كان ينتظره زائره الذي استعد لتلاوة مرافعته. على ان ديغول فاجأ ايبان بقوله: لا تقوموا بحرب، لا تقوموا بحرب. بأي حال لا تكونوا البادئين بالقتال.

كانت المفاجأة صدمة لايبان. صدمة غيرت كلياً الخطة التي كان قد أعدها في الصباح للمقابلة.

أجاب: على كل حال. لن نكون نحن البادئين، فقد قام المصريون بعمل عدائي. على أن ديغول استطرد: فيما خصني، ان من يطلق الرصاصة الأولى يبدأ القتال. إن اقفال المضايق شيء. وفتح النار شيء آخر.

ايبان: ان المصريين يمسكون بخناقنا. والسوريين يضربوننا في الظهر. ويستعد المصريون ليسددوا لنا ضربة في الصدر. وقد حضرت لاقول لكم إننا مصممون على عدم العيش هكذا.

ديغول: لا تقوموا بحرب. إنها نصيحة صديق. ورجل يعرف عواقب الأمور.

ايبان: ليس لنا الخيار بين الخضوع والمقاومة. وسنقاوم. لن نتخاذل. ولكننا قررنا التريث بضعة أيام ريثما نطلع على آراء الذين التزموا بهذا الموضوع. وفي الأثناء. لن نقوم بشيء لا اليوم. ولا غدا. ولا بعد غد.

بدا ديغول. عندئذ. مطمئنا. فقد استنتج أن اسرائيل لن تهاجم.

ديغول: الوضع دقيق. ولا يمكن أن يستمر كذلك. احتفظوا بموقفكم. على الأربعة الكبار أن يتشاوروا فيما بينهم. لا تفتشوا على حل من جهة الغرب.

إيبان: انا متشائم من كل ما يعتمد على الاتحاد السوفياتي.

ديغول: لن توجد الآن حلول غربية. وطالما ان بقيت اسرائيل «مغربة» في اهدافها وفي حلولها. فهي لن تصيب الهدف. يجب ان يشارك الاتحاد السوفياتي في حل المشكلة. انتم لستم بعد في وضع يسمح لكم بأن تعالجوا لوحدكم كل مشاكلكم.

وفيما يستمر ديغول في حديثه شبه اللا منقطع. يغشى ايبان الاسى، وتغيب عنه الحجج التي اعدها بدقة في الصباح. ويقترف خطأين هامين. الأول خاص بالموقف الفرنسي. والثاني بتوريد الأسلحة.

ايبان: عدة دول التزمت بتأييد حقوقنا. وبالوقوف إلى جانبنا إذا تجدد الحصار على المضايق. ان التأييد الاوفى والأوضح كان قد أعطي لنا من قبل مندوب فرنسا لدى الأمم المتحدة عام ١٩٥٧.

ديغول (بحدة): نعم. ولكن كان ذلك عام ١٩٥٧. ونحن نعيش اليوم في العام ١٩٦٧.

واذ أشرف الاجتماع على النهاية. وقد وقف ديغول إيذانا بذلك. قال ايبان: يهمنا ان نقدم لكم شكرنا على كل ما فعلته فرنسا. وعلى كل ما تزال تفعله من أجل تشجيعنا. وتقوية روحيتنا. وطاقتنا العسكرية.

الخطأ الثاني: لفت إيبان اهتمام ديغول إلى المساعدة العسكرية المتزايدة المعطاة سرا لاسرائيل. ان هذا القول كان السبب في قرار فرنسا منع إرسال الأسلحة وهو القرار الذي اتخذ لدى بدء القتال.

وودع الجنرال ديغول زائره بقوله: خاصة لا تهاجموا. لأنكم ستتحملون العواقب». (انتهى نص المؤرخ برنار ميشال).

ولكن اسرائيل هاجمت في ٥ حزيران (يونيو)

١٩٦٧. وكانت حرب الأيام الستة. التي لا يزال العرب يعانون آثارها ونتائجها، وتطورات تلك النتائج.

وأصدر ديغول قراره بحظر تصدير الأسلحة إلى اسرائيل. وتمسك ديغول بقراره وبسياسته التي كان القرار أحد مظاهرها. وسارت فرنسا على هذه السياسة، ولا تزال عليها حتى اليوم.

ومرت الأيام.

وكان من عادة الجنرال ديغول أن يدعو إلى مؤتمر صحافي يعقده كل بضعة أشهر في «الاليزه». وفي أحد أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه ١٩٦٧ تطرق ديغول، في مؤتمره الصحفي إلى الحديث عن اليهود فقال عنهم انهم «شعب نخبة، واثق من نفسه، ومسيطر».

ومع ما في هذا القول من مديح، إلا ان صدوره عن ديغول وفي ذلك الوقت، أي بعد ان اتخذ موقفاً حازماً من اسرائيل، كان منطلقاً لحملة اعلامية يهودية عالمية على الجنرال ديغول، اتهم فيها باللاسامية وبالعداء لليهود ولاسرائيل. ورافقت هذه الحملة رجل فرنسا الكبير حتى الاستفتاء الذي اجراه يوم ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ حول الأدارة الأقليمية في فرنسا، وكانت خسارته فيه سبب تخليه عن رئاسة الجمهورية الفرنسية.

رسالة بن غوريون

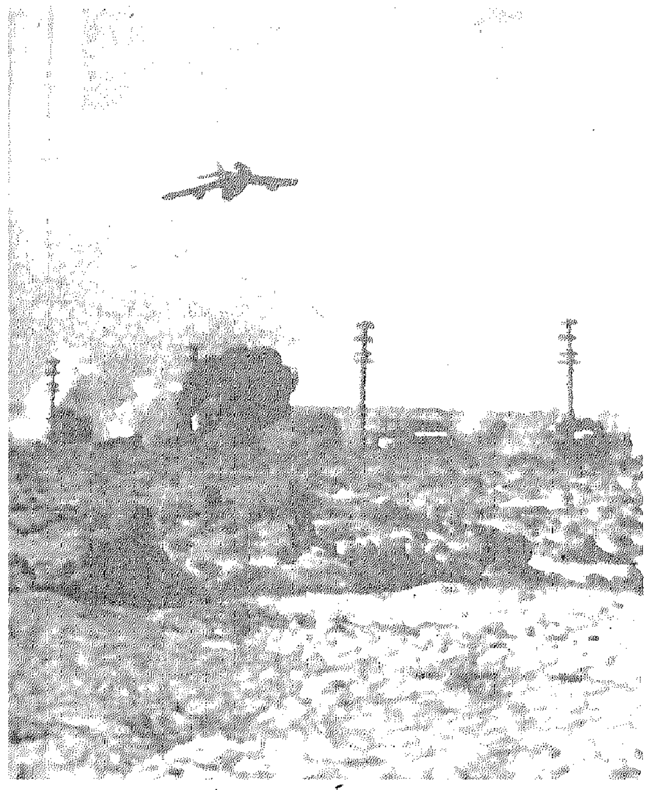
من بين الذين انبروا للرد على ديغول إثر تصريحه المشهور السالف الذكر، دافيد بن غوريون، رئيس حكومة اسرائيل الاسبق، وكان على علاقة بالرئيس الفرنسي.

فوجه بن غوريون، في ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٧ إلى ديغول رسالة طويلة فيها العتاب، وفيها النقد. وفيها «صهينة» للتاريخ، وفيها تزييف وتحريف؛ ومن المفيد للقارئ العربي ان يطلع عليها ليتعرف إلى نظرة العدو إلى مواقعنا وإلى رجالنا وإلى حقوقنا.

وفيما يلي، باختصار، ما جاء في رسالة بن غوريون إلى ديغول:

يبدأ بن غوريون بالقول إنه يشعر بواجب وباحترام وتقدير للجنرال ديغول. وكذلك للشعب الفرنسي الذي طالما ساعد اسرائيل. ثم أشار صراحة إلى حديث ديغول في مؤتمره الصحفي فقال له: «لقد ذكرت في تصريحك عبارات شديدة وقاسية تقوم ولا شك على معلومات غير صحيحة وغير دقيقة». وأشار بن غوريون إلى الشعب اليهودي المشتت، وإلى عودته إلى فلسطين البلد الذي «لم يكن مطلقا الوطن الوحيد لشعوب أخرى غير الشعب اليهودي».

وقال بن غوريون: «أنا من أصل بولوني روسي، وقد قدمت إلى فلسطين عام ١٩٠٦، وكانت فلسطين حينئذ جزءا من الامبراطورية العثمانية. ولم يساورني شك في إمكان توطين ملايين اليهود على ضفتي نهر الأردن



الطيران المصري يضرب ارتالاً اسرائيلية في سيناء سنة ١٩٦٧

من دون الاستيلاء على أراضي العرب، لأن المساحة المسكونة من فلسطين، كانت وقتئذ أقل من ١٠ في المائة.

وتطرق إلى الانتداب البريطاني على فلسطين، وإلى سياسة الحكومة البريطانية في تنفيذ حكم الانتداب القائم على تطبيق وعد بلفور.

وأشار بن غوريون إلى الاتصالات التي قام بها، بعد عام ١٩٣٣، مع بعض الزعماء العرب المسلمين والمسيحيين في فلسطين والدول المجاورة. وذكر أن أول زعيم عربي تباحث معه كان عوني عبد الهادي، رئيس حزب الأستقلال في فلسطين، وانه عرض عليه ان

يعمل اليهود على مساعدة جميع الدول العربية على نيل استقلالها ، والانضمام إلى اتحاد عربي فيما اذا وافق عرب فلسطين على إمكان تحويل فلسطين على ضفتي الأردن إلى دولة يهودية تنضم كدولة مستقلة إلى اتحاد سامي (عربي ويهودي). وقال بن غوريون إن عبد الهادي سأله عن عدد اليهود الذين يرغبون في إحضارهم إلى فلسطين فأجابه : «نستطيع ان نحضر أربعة ملايين يهودي خلال فترة عشرين عاماً».

وهنا يدعي بن غوريون ان السيد عوني عبد الهادي وقف وقال له بحماس : سأذهب إلى دمشق

من كتاب (La guerre éclair)

وبغداد وأقول لاخواني العرب : اعطوهم ليس فقط اربعة ملايين. بل ستة ملايين اذا ساعدونا على الاستقلال وعلى الاتحاد (هذا القول ينكره تماماً المرحوم عوني بك عبد الهادي. وقد سمعت ذلك منه شخصياً عام ١٩٦٨ في القاهرة).

ويستطرد بن غوريون إلى القول انه تلقى من دار المندوب السامي البريطاني تأكيدات بأن أي اتفاق يتوصل اليه العرب واليهود ستوافق عليه الحكومة البريطانية.

وقال بن غوريون انه اجرى ، حول هذا الموضوع. مباحثات مع السيد موسى العلمي. ومع السيد رياض الصلح ، ومع زعيم مسيحي معروف يعتبر مفكر الحركة القومية العربية ، (ولم يذكر اسمه في هذه الرسالة. ولكن من مراجعة مؤلفات بن غوريون يتضح أن المقصود هو السيد جورج انطونيوس ، الوطني اللبناني والمناضل القومي العربي المعروف ومؤلف كتاب «يقظة العرب») .

ويضيف بن غوريون انه توصل إلى اتفاق ، ولكن كان ينبغي اقراره من قبل اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ومقرها آنذاك في جنيف (كان الوفد العربي في جنيف مؤلفاً من الأمير شكيب ارسلان ، واحسان الجابري ورياض الصلح). ويقول بن غوريون انه توجه إلى جنيف لهذه الغاية ، ولكن مباحثاته مع الوفد العربي لم تكن لها نتائج ايجابية.

وتطرق بن غوريون في رسالته إلى ديغول إلى ذكر القرار السوفياتي في ايار (مايو) ١٩٤٧ الذي يصر على المطالبة بانشاء دولة يهودية في فلسطين. واشار إلى قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ القاضي بتقسيم فلسطين وانشاء دولتين غربي نهر الأردن ، دولة يهودية ودولة عربية ، واقامة اتحاد اقتصادي بينهما ، وتدويل منطقة القدس وقال بن غوريون : «ان العرب ، وليس اليهود ، هم الذين رفضوا قرار الأمم المتحدة وان النزاع انفجر لأن الحكومة البريطانية رفضت استخدام قواتها للحفاظ على السلام».

وادعى بن غوريون «ان اسرائيل التي ولدت في ١٤ مايو (ايار) ١٩٤٨ غير مسؤولة عن حرب ١٩٤٨ لأن الزعماء العرب بعد هزيمتهم في فلسطين، نصحوا للعرب مغادرة البلاد». وقال : «ان الهيئة العربية العليا التي كان يسيطر عليها مفتي فلسطين (ويقصد الحاج امين الحسيني) نصحت لعرب فلسطين عدم تسليم السلاح ومغادرة البلاد مؤقتاً لأنه بعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين بعد اسابيع قليلة ستدخل قوات خمس دول عربية ، مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن ، فلسطين وتقضي على اليهود ثم يعود جميع العرب ليس فقط إلى منازلهم ، بل فيما اذا رغبوا ، إلى المنازل اليهودية».

واضاف : «وغادر العرب صفد وطبريا . وبقي قسم من السكان العرب في يافا . واربعة آلاف عربي في حيفا. وفي يوم ١٤ ايار (مايو) لم يطرد أي عربي . والذين يسمونهم «لاجئين» غادروا البلاد اثناء الانتداب

البريطاني. وكان عددهم اربعمائة الف. وبالمقابل استخدمت اسرائيل في ٤ سنوات خمسمائة الف يهودي، جاءوا من البلدان العربية». وقال: «ليس بالقوة. ولا حتى بالمال وحده. وأكّد ليس بالغزوات، بل بأعمالنا الخلاقة الرائدة حولنا هذه الارض الفقيرة القاحلة الى ارض خصبة. وانشأنا المدن والقرى على مساحات صحراوية ومهجورة». وأكد بن غوريون «ان اليهود ليسوا شعباً محباً للسيطرة. واعتبر ان لا حرب ١٩٤٨ ولا حملة سيناء ١٩٥٦ولا حرب الستة ايام ١٩٦٧ كانت تقع لو قبل العرب، منذ البداية، قرارات الامم المتحدة».

وذكّر بن غوريون بحديث له مع ديغول في حزيران (يونيو) ١٩٦٠. قال له: «سألتني: ما هي احلامك بشأن الحدود الحقيقية لاسرائيل. اخبرني. فلن احدث احداً بذلك؟ وقد اجبتك: لو طرحت علي هذا السؤال لخمس وعشرين سنة خلت. لأجبتك بأن نهر الليطاني هو حدودنا الشمالية. وشرقي الاردن من الشرق. ولكنك تسألني هذا السؤال اليوم. وسأقول لك: لدينا امنيتان رئيستان: السلام مع جيراننا، وهجرة واسعة. وقال انه ابلغ ديغول وقتها (عام ١٩٦٠) ان الحدود القائمة كافية لايواء عدد من المهاجرين اليهود اكثر مما يمكن أن يأتي».

وانهى بن غوريون رسالته إلى ديغول قائلاً: «لا ارى في علاقتكم الطيبة مع الدول العربية أي حاجز لاستمرار الصداقة مع اسرائيل. وحتى لو استمر الزعماء العرب بتهديدنا بالافناء، كما في الماضي. فانا لا انصح لأية أمة ان تقطع علاقاتها مع الدول العربية لأنه اذا كان يجب أن ندافع عن انفسنا، فلا اريد لآخرين غير ابنائنا نحن ان يموتوا في الدفاع عن اوضنا. ما كنت اطلبه من اصدقائنا هو أن لا يمنعونا من تلقي المساعدة الضرورية للمحافظة على قوتنا الرادعة لتجنب أية حرب»؟

انتهت رسالة بن غوريون للجنرال ديغول.

ورسالة ديغول

وقد رد عليها ديغول في رسالة وجهها إلى بن غوريون في ٣٠كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ فيما يلي نصها:

«تبلغت رسالتكم المؤرخة في ٦كانون الاول (ديسمبر) باهتمام بالغ والواقع أن موضوع بعث مصير دولة اسرائيل لا يمكن، كما تعلمون، الا أن يجذبني



عوني عبد الهادي

ويؤثر في. خاصة لأن النزاع الذي اندلع من جديد في الشرق الاوسط يجر معه نتائج هامة تصيب فرنسا عن كثب. لجميع الاسباب السياسية والاقتصادية والمعنوية والدينية والتاريخية التي تعرفونها. واخيراً لا تجهلون انني اكنّ اعتباراً كبيراً. واحفظ ذكرى حية لما كانت عليه علاقاتنا الشخصية منذ ١٠ سنوات.

لذلك لم تدهشني بلاغة حججكم. انا اعلم ان اعادة انشاء اسرائيل في فلسطين تضمنت ايماناً وجرأة ومصاعب. وكم يستحق الثناء اصلاح الدولة الجديدة للأرض شبه الصحراوية بفضل تدفق هذا العدد من اليهود الذين جاءوا من جميع الجهات. وبفضل مساعدة طوائفهم الموزعة في انحاء العالم. وتعيدون إلى الذاكرة، وعن حق، ان فرنسا وانا لم نقصر. منذ البدء. في اظهار عطفنا على هذا البناء الوطني. ولا يمكنكم أن تشكو في انه في اسوأ الاحوال. كنا قد عارضنا ابادة هذا البناء الوطني، كما كانت تتضمنه محادثاتنا الرسمية في السابق. وكوني وصفت اسرائيل علناً بأنها دولة صديقة وحليفة.

«ولكن ولهذه الاسباب بالذات. رددت دائماً. وامامكم قبل أي انسان آخر، أن على اسرائيل. لكي تبرر العمل الذي بدأ وتضمن مستقبلها، ان تكون معتدلة في علاقاتها مع جيرانها، وفي مطامعها الاقليمية. هذا خاصة لأن الاراضي التي اعترفت بها الدول الكبرى، منذ البداية، بأنها لدولتكم. يعتبرها العرب ملكاً لهم، وان هؤلاء، وقد استقرت اسرائيل وسطهم، هم من جهتهم فخورون وجديرون بالاحترام، وان فرنسا تكن لهم صداقة قديمة وطبيعية.

وانهم يستحقون هم ايضاً أن يتطوروا بالرغم من جميع العقبات التي تفرضها عليهم الطبيعة. وبالرغم من التأخر الخطير والمذل الذي تعرضوا له أكثر الاحيان ومنذ قرون. وبسبب المحتلين الذين تعاقبوا عليهم. وبسبب تشتتهم الذاتي.

«بالطبع. انا لا اجادل قطعاً بأن الحصار المؤسف الذي فرض على خليج العقبة كان عملاً فردياً مضراً ببلدكم. وانا لا اتجاهل أن اسرائيل كان لديها من الاسباب ما يجعلها تشعر بأنها مهددة بسبب التوتر الذي كانت غارقة فيه المنطقة الفلسطينية نتيجة موجة الحملات الموجهة ضد اسرائيل. وفي الوقت نفسه نتيجة المصير المؤثر للاجئين العرب في الاردن او في غزة. ولكنني اظل مقتنعاً بأن اسرائيل. بتجاهلها التحذيرات التي وجهت في الوقت المناسب إلى حكومتكم من قبل الحكومة الفرنسية. وببدئها الاعمال العدائية. واستيلائها بقوة السلاح على القدس وعلى اراضٍ اردنية ومصرية وسورية كثيرة وبممارستها اعمال القمع والابعاد هناك. وهي نتائج لا يمكن تجنبها للاحتلال الذي يتميز بجميع مظاهر الدمج. وبتأكيدها للعالم أنه لا يمكن تحقيق تسوية للصراع الآ على اساس الانتصارات العسكرية التي تم تحقيقها. وليس على اساس الجلاء عن المناطق المحتلة. ان اسرائيل بتصرفاتها هذه تتخطى حدود الاعتدال الضروري.

«واشد ما يؤسفني انه مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية كان من الممكن الوصول إلى حل اليوم في اطار الأمم المتحدة. وهو حل يتضمن اعتراف جيرانكم



بن غوريون: الليطاني حدودنا الشمالية... لولا!

جمال عبد الناصر مع جنوده في حرب الاستنزاف ١٩٦٨ - ١٩٧٠.

بدولتكم، والى ضمانات للاستقرار على جانبي الحدود يحددها حكم دولي. والى مصير لائق وعادل للاجئين والاقليات. والى حرية الملاحة للجميع في خليج العقبة وفي قناة السويس.

«وفرنسا كما هو معروف، مستعدة للاسهام. متى دعت الحاجة، في تحقيق مثل هذا الحل. لا على الصعيد السياسي فحسب. بل على صعيد الواقع الملموس. هذا الحل الذي قد يعيد السلام إلى الشرق الاوسط ويسهل الاتفاق العالمي، وفي رأيي، يخدم مصالح الشعوب المعنية، ومن ضمنها شعبكم. هذا الحل – انا اعلم – لا يحقق جميع رغبات اسرائيل، ولو كنت اشك في ذلك لكانت مجرد قراءة رسالتكم، وكلامكم عما يمثل شعب كنعان على ضفتي نهر الاردن، بالنسبة إلى جميع اليهود اليوم وفي جميع الازمنة، لكان ذلك وحده يبدد شكوكي. وكذلك بالنسبة إلى الانفعال الذي اثاره، عند بعض اليهود، قولي عن الشعب اليهودي انه «شعب نخبة واثق من نفسه، ومسيطر» اذ اعتبره البعض محقراً، مع انه لا يمكن أن يكون هنالك نيل من الكرامة في وصف طبيعة شعب قوي تمكن من البقاء قيد الوجود ومن أن يظل هو نفسه بعد تسعة عشر قرناً قضاها في ظروف صعبة. ولكن ماذا؟ ها هي اسرائيل، بدلاً من أن تنقل نفيها في العالم المؤثر والذي يعود إلى الفي سنة، اصبحت فعلاً دولة بين الدول الاخرى، حياتها واستمرارها يتوقفان، حسب القانون الشائع، على سياستها، ولكن هذه السياسة لا تساوي شيئاً الا اذا كانت منسجمة مع الواقع، وكم من الشعوب، كل بدورها، شعرت بذلك.

(انتهت رسالة ديغول الجوابية لبن غوريون).

وتوضيح عبد الهادي

اما من الجانب العربي فقد انبرى للرد على ما جاء في رسالة بن غوريون لديغول السيد عوني عبد الهادي عميد حزب الاستقلال العربي في فلسطين. فقد اصدر في ١٩٦٨/١/٢٩، من القاهرة، مقره في ايامه الاخيرة، بياناً حول اجتماعه ببن غوريون نوجزه فيما يلي:

«نشرت بعض الصحف العربية مقتطفات من الرسالة التي ارسلها بن غوريون إلى الجنرال ديغول، والتي اورد فيها حديثاً نسبه إلي. وقد رأيت من واجبي أن اعلن الحقيقة التي اراد بن غوريون ان يزورها في رسالته. وليس هذا اول تزوير او قلب للحقائق يمارسه بن غوريون وزمرة الصهيونيين امثاله:

«لقد اجتمعت حقاً ببن غوريون وبالدكتور ل.ي. ماغنس، مدير الجامعة العبرية، في بيتي بالقدس آنذاك، ودارت بيننا مناقشة طويلة دامت ثلاث ساعات. وكنت قد سجلت ما ورد بيننا من أحاديث عقب انصرافهما مباشرة.

«بدأ بن غوريون حديثه بعد أن عرفني به الدكتور ماغنس. وكان الدكتور ماغنس كثيراً ما يتقرّب إلى العرب بحجة أنه لا يدين بالسياسة الصهيونية. وقال لي: ان بن غوريون طلب اليه أن نجمعه بوطنيين عرب لا يشترون بالمال فأتيت به اليك. وقد رأيت انا أن اقف على خطط هذا الصهيوني المعروف في فلسطين. وطلبت إلى بن غوريون، ان يتكلم بلغة انكليزية سهلة حتى استطيع أن افهم ما يقول، لنقص معرفتي بهذه اللغة.

«قال بن غوريون: «انني جئت لأتحدث اليك عن قضيتنا، قضية اليهود. ان اليهود يرغبون في أن يتفقوا ويتفاهموا مع العرب، بدلاً من أن يعادي بعضهم بعضاً. ونحن نعترف بحق العرب بالبقاء في اراضيهم اذا هم اعترفوا بحقنا في التوطن في فلسطين.

«وهنا لم استطع الانصات إلى ما يقوله من ترهات، فقاطعته قائلاً: ان فلسطين يا بن غوريون بلد عربي وليس بلداً يهودياً. وحق العرب في بقائهم في اراضيهم لا يحتاج إلى اعترافكم وانتم الغرباء عن هذا البلد. اما اليهود الفلسطينيون الذي عاشوا مع العرب بسلام فانهم يتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها العرب، ودون تفريق. اما تصريح بلفور فقد اصدره اجنبي لا يملك، إلى اجنبي لا يستحق. ولم يكد هذا التصريح يصدر حتى رأينا الحكومة البريطانية تعطي ما استولت عليه من الاراضي التي انتقلت اليها من الحكومة العثمانية، والتي تعد بالملايين من الدونمات، إلى الشركات اليهودية. ورأيناها تبذل جهوداً كبيرة لتسهيل انتقال الاراضي العربية إلى اليهود عن طريق فرض الضرائب المرهقة وسن القوانين المجحفة، وحتى رأينا اليهود يشترون بعض الاراضي من ضعاف النفوس، وقد تملك اليهود بهذه الطريقة الكثير من اراضي العرب الجيدة، اراضي العرب غير الفلسطينيين والمقيمين خارج فلسطين، مثل مرج ابن عامر، الذي لا تقل مساحته عن ٤٠٠ الف دونم،

واراضي ام خالد ووادي الحوارث . التي تزيد مساحتها عن نصف مليون دونم . بينما مساحة فلسطين كلها لا تزيد عن عشرة آلاف ومائة ميل مربع . ان اراضي فلسطين الجيدة محصورة في السهول والوديان والساحل . وها انتم تعملون على اغراء الفقراء من الفلاحين بالاستيلاء على ارضهم عن طريق شركتكم الكبرى المسمّاة «كيرين كايمت» (أي الصندوق القومي) التي يغذيها اصحاب رؤوس الأموال الكبيرة امثال آل روتشيلد من اليهود في الخارج . ونتيجة لهذه السياسة الغاشمة بدأت اراضي اليهود تزيد بينما اخذت مساحة اراضي العرب تنقص . والعرب في حاجة إلى كل شبر من اراضيهم .

«وقلت لبن غوريون أن الاضرار التي لحقت بالعرب من جراء استيلاء اليهود على اراضي البلاد قد بلغت حداً كبيراً . واني مزمع على رفع دعوى ضد حكومة فلسطين الانكليزية ، واقول الانكليزية ، لأن الحكم القائم في فلسطين هو حكم مباشر ، اذ لا وجود عندنا لحكومة منتدبة ، ولا لحكومة منتدب عليها . كما هي الحال في سوريا .

«وهنا قال بن غوريون : ولكن في هذه الحالة اذا اصررتم الى اتباع مثل هذه السياسة فانه لا يبقى هناك مجال أي مجال للتفاهم بيننا . وهذا مما يؤسف له . فاليهود سوف يبذلون كل جهد في سبيل الاستيطان في اراضي فلسطين . واذا كان العرب سيحاولون منعهم فسيجرب العرب عضلاتهم . وسيجرب اليهود مؤهلاتهم . ولا ينتج عن ذلك الا المآسي واراقة الدماء البريئة بين الفريقين . ثم اخذ يشرح الفوائد الكبيرة التي سيحصل عليها العرب من استيطان اليهود . في فلسطين . من تحسن وسائل العمل عندهم وازدياد اموالهم . ومن مساعدة اليهود للعرب على الاستقلال والاتحاد .

«وهنا قلت لبن غوريون بلهجة قاسية : انك تتكلم يا بن غوريون عن المال . وعن مساعدتنا على استقلالنا وعلى الاتحاد في مقابل تنازل العرب لليهود عن فلسطين بضفتيها الشرقية والغربية . وانا اتكلم عن الوطن وقدسيته . والوطن لا يباع بثمن ، ولهذا لا يمكن أن نتلاقى» .

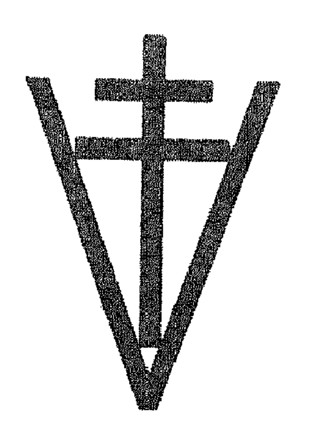
ويضيف السيد عوني عبد الهادي : «هذا ملخص الحديث الذي دار بيننا والذي زوره بن غوريون تزويراً فظيعاً . ومما يؤيد تزويره وتحويره الفظيعين ما جاء في مذكراته بالحرف الواحد . تحت عنوان «محاولة فاشلة» ما يلي : «ان عوني عبد الهادي انكر هذا الأمر . وهو يدعي أن العرب يتضررون من بيع كل شبر ارض لليهود بفلسطين حتى الاراضي التي لا يحتاجون اليها اليوم . فالعرب سيزيد عددهم في المستقبل . ويحتاجون إلى كل شبر من بلادهم ولو بعد جيل او جيلين» .

ويختتم عوني عبد الهادي بيانه قائلاً :

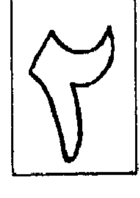
«ان هدف بن غوريون من تحوير وتزوير الاقوال هذه هو أن يظهر العرب امام العالم بأنهم قوم يبيعون بلادهم اذا ما لوح لهم ببعض المصالح المادية او المعنوية . وبن غوريون ليس اول صهيوني حاول بالكذب والتزوير ان يشكك العالم بوطنية العرب . فلقد سبقه إلى ذلك حاييم وايزمان . اول رئيس لدولة اسرائيل فيما بعد . حين نشر الاتفاقية المذعومة بينه وبين الملك فيصل الاول (ملك العراق فيما بعد) المؤرخة في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ في صحف باريس ولندن . ان حاييم وايزمن لم يعلن هذه الاتفاقية للعالم الا بعد وفاة الملك فيصل الاول سنة ١٩٣٣ . وقد ورد في كتاب وايزمن المسمى «التجربة والخطأ» قوله : «ان هذه الاتفاقية كتبها ١ . د . لورنس ووقعها فيصل وانا» (ص ٢٩٠) . ولا يوجد اي نص عربي اصلي لهذه الاتفاقية . والملك فيصل الاول لم يكن . يوم توقيع هذه الاتفاقية ، يعرف كلمة واحدة من اللغة الانكليزية . ولورنس المعروف بميوله للسياسة الصهيونية . التي هي سياسة حكومته ، هو الذي ترجمها له بطريقة يتقبلها الملك فيصل ، وكان لورنس هذا معتمده الوحيد لدى الحكومة البريطانية» .

انتهى بيان السيد عوني عبد الهادي .

والآن وقد اطلعت قارئي العربي العزيز على هذه النصوص ، الا تقول معي : ما اشبه الليلة بالبارحة ؟



حدائق الحيوان زمن الأمويين





دب يعزف : صورة جدارية في قصير عمرة.

د. فواز
احمد
طوقان

● ان لفظة حير بعينها (الحير وهي عامية والحائر الصحيحة) تعني عدة أشياء أهمها ثلاثة :

(أ) فالحائر هو مجتمع الماء، يتحيّر الماء فيه فيرجع اقصاه إلى أدناه.

(ب) وهو حوض يسيب إليه مسيل الماء من الأمطار.

(ج) وهو المكان المطمئن (كما قيل) يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج منه.

ولا يمكننا الجزم لهذه المعاني الثلاثة ان لفظة الحائر أطلقت على الحظيرة أو الحمى لأن فيهما من الأعمال المائية الشيء الكثير كما هي الحال في قصر الحير الشرقي مثلاً. ولكن الأوضح أن نقول بأن انحباس الماء في الحائر شبيه بانحباس الوحش في «الحير» فأطلقت هذه اللفظة على هذا المحبس من قبيل التشبيه.

ويذهب أحد ثقات الزبيري[1] إلى تعريف الحائر هكذا «من مطمئنات الأرض الحائر، وهو المكان

المطمئن الوسط، المرتفع الحروف؛ ومن ذلك سموا البستان بالحائر»[٢].

أما جمع حير على حوران وحيران (بضم الحاء وكسرها على التوالي) فقد أنكره ابو حنيفة، واعترف الزبيدي بأنه «ليس شائعاً»[٣]. وليلاحظ ان ياقوت الحموي جمعها على حيار[٤].

ويتطرق الزبيدي إلى ذكر الحائر الذي يطلق على كربلاء، قال: «سميت بأحد هذه الأشياء، أي لأنها حمى»[٥] أما الموضع الذي فيه مشهد الحسين في كربلاء فهو الحائر، سمّي كذلك «لتحير الماء فيه»[٦]. ولكن اشتقاق هذه اللفظة لم يأت من حار يحير وانما من حار يحور أما الفيروزابادي فيقول إن الحائر (من حار يحار) وهو أيضاً كربلاء أو موضع بها[٧].

نرى من استعراض نصوص الزبيري أن هنالك اختلاطاً كبيراً في اشتقاق الحير وفي تعيين الجذر الذي تعود إليه هذه اللفظة وفي تحديد معاني أسماء مواضع بعينها سميت بهذا الاسم. على أن أوضح ما في نصّ الزبيري هو تلك الفذلكة الفونيتيكية التي أكد بها أن الحير لفظة عامية حرفت عن الحائر.

* * *

لدى مراجعة هذه النصوص كافة نخلص إلى عدة نتائج إيجابية:

١ - الحير لفظة عامية لا يجوز فيها فتح الحاء وتسكين الياء. وفصيحها الحائر.

٢ - الحائر لفظة عربية صحيحة.

٣ - يمكن اشتقاق الحائر من جذرين:

(أ) حار يحور. فحائرها البستان؛

(ب) حار يحار، وحائرها هو المكان المنخفض الوسط المرتفع الجنبات الذي تنحبس فيه الوحوش أو تحار تماماً كالماء[٨].

٤ - يجب توفر ثلاثة أمور في الحائر كي تحشر الوحوش فيه:

(أ) السور المرتفع الحصين كي يحفظ الوحش من الهرب أولاً ومن غارات المغيرين ثانياً؛

(ب) الأشجار والزرع للظلّ والرعي؛

(ج) الماء الكثير للري والشرب.

٥ - تحشر أنواع الوحوش غير الكاسرة داخل الحائر، والأرجح أن الحيوانات المنفصلة كانت من الأنواع التي يلذ اصطيادها في الصحراء.

٦ - الأبنية التي تقوم مع الحائر ترتبط ارتباطاً وثيقاً برياضة الصيد. فإلى جانب القصر والمسجد وبعض الأبنية الأخرى، يجب أن يتوفر حمّام محكم الصنعة[٩] إلى جانب أقنية وأحواض مائية وسور عظيم يحيط ويتصل طرفاه وما شاكل.



داخل قصير عمرة: امرأة تستحم.

٧ - الراجح أن الحائر لا يمكن بناؤه إلا في «صحراء حسنة» على حدّ قول اليعقوبي كي يتيح جلب الماء نحو الشجر وأمراج الأرض فنكاد نؤكد ان من متطلبات الحائرة أرض خصبة.

٨ - إن الحائر فكرة أموية فرضها جنوح الحيوانات الصحراوية إلى الإنقراض، وبالتالي، كي يلذ اصطيادها بعد أن قلّت أسرابها وقطعانها حشرت داخل الحوزة أو الحمى.

٩ - ليس الحائر فكرة أجنبية، بل فكرة عربية، وامارة ذلك مطابقة اللفظ لمفهوم الحائر.

١٠ – لا علاقة بين الحائر والحيرة. فالثانية مشتقة من الجذر نفسه ولكن لتعني «الاستدارة»[١٠].

* * *

حصن أم قصر؟

في ضوء هذه البنود، نرجح أن قصر الحلابات الكائن شمالي شرقي عمان هو قصرٌ أموي[١١]، الحق به حائر لنفس الأغراض التي شرحنا، وللتأكد مما نذهب إليه، ندرج ههنا الأبنية القائمة هناك على سبيل المقارنة:

١ – القصر: وهو أشبه ما يكون بالقلعة. ولكنّ خلوّه تماماً من الأبراج ووجود أكثر من مدخل له، رغم صغره النسبي، يؤكد لنا أنه قصر أكثر من أي شيء آخر. ولأن طراز عمارته غير معقد، توهموا أنه حصن أو قلعة.

٢ – المسجد: بني ملاصقاً للقصر تماماً. طرازه عربي. وأشبه ما تكون أقواس مداخله بالأقواس الأموية في قرطبة والحمراء. ووجود الجامع ملاصقاً للقصر، لا داخله، دليل آخر على أن القصر ليس حصناً.

٣ – الحمام: وهو على بعد حوالي ستة كيلومترات من القصر. طراز عمارته أقرب ما يكون إلى قصر الطوبة وقصير عمرة، وله حظيرة متوسطة مهدمة الآن، كما ان له بعض القاعات الصغيرة، وبئراً متوسطة كذلك.

٤ – الأعمال المائية: هناك بركة للماء كبيرة (أكبر من بركة الموقر أو زيزياء) انشئت في قاع قريب من القصر. عندها إلى الشرق منشآت مهدومة تماماً الآن. ولا نستبعد إذا كان الماء يجلب إليها من الأزرق بالاضافة إلى ما يجتمع فيها من مياه الأمطار، والمعجب حقاً أن المنطقة إلى الشرق من البركة بحوالي مائة متر مليئة بالأحجار الكبيرة المتقاربة الأحجام والتي يظهر بوضوح تام أنها ليست من المنطقة بل مجلوبة إليها جلباً، ولم نوفق إلى حل معنى وجودها هناك.

٥ – الحير (؟): بقي منه سور طويل على بعد خمسة كيلومترات أو أقل إلى الشرق من القصر، ويمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة طويلة. معظمه مهدم الآن، تظهر فيه أساسات بعض الأبراج، ظنوا أن الرومان أنشأوه لصد هجمات البدو. ولا نظن ذلك أبداً. ولكننا لم نوفق إلى تحديد أبعاده وانعطافاته.

يتضح مما مرّ أن عصر بني أمية شهد انجازاً عمرانياً تعدى مسألة بناء القصور أو الحصون أو المساجد إلى شيء فريد لم يألفه العالم القديم من قبل ألا وهو: حديقة الحيوانات.

كانت الوحوش والحيوانات تطرد في الصحراء باتجاه أبواب هذه الحديقة حتى تلجها، ثم تغلق دونها الأبواب، فتظل محشورة هناك تحور (أو تحار) لا تدري أين تذهب. ومن هنا أطلق على هذا المحشر اسم: الحائر. ولم يغفل مهندسو الأمويين حاجات هذه الوحوش والحيوانات فأعطوها الماء والكلأ والظلّ والحماية. وكما عاشت الحيوانات في البرية، كذلك عاشت ضمن جدران الحائر. وتستشف هذه المعلومات من رسومات قصور الأمويين. ففي قصر الحائر الغربي صورة في أرضية غرفة من الغرف تمثل عبداً حافياً يسوق حيواناً وفي زنار هذا العبد مفتاح! وظهر في احدى جداريات الفريسكو في قصير عمرة صورة لمنظر طرد الحيوانات واحتوائها بالشباك[١٢]. وقد أورد ابن خلدون نصّاً يشرح فيه عملية شبيهة بذلك كانت تتم في «مصيد» واسع لأحد الملوك في بنزرت (تونس)[١٣] ولكن ماذا كانوا يصنعون بهذه الحيوانات؟

شاعت في بلاد الغرب نظرية مفادها أن الحيران (جمع حائر) ما هي إلا مشاريع زراعية رمت إلى أصلاح الأراضي الموات في بلاد الشام وتوطين القبائل البدوية التي هاجرت مع الجيوش المسلمة وليس هذا بصحيح. ذلك أن المرء يستهجن من خليفة المسلمين هشام بن عبد الملك أن يستثمر أمواله في مشاريع كهذه وقد تأتت له أموال الأرض كلها...

منتجعات للهو والصيد

حقيقة الأمر أن الأمويين من منطلق الحرص على ابقاء الأرض في بلاد الشام لاصحابها الأصليين، سكان البلاد العرب أو غير العرب، آثروا البقاء على تخوم البلاد بين القبائل العربية التي كان أغلبها مستوطناً هذه الديار قبل الفتح العربي. ولما كانت هذه المناطق متاخمة للصحراء السورية، فإن ثروتها الطبيعية كانت أقل من ثروة البلاد الداخلية. لما كان من هؤلاء الخلفاء، وأولهم الوليد بن عبد الملك، إلا أن ابتنوا

هذه المنتجعات النائية.

وكانت هذه الحيران الواسعة مراتع لهو ورياضة ومنتجعات نائية يرتاح إليها أصحابها بعيداً عن شؤون السياسة. ويمارسون فيها هواية الصيد ويشاهدون حلائب السباق.

وقد تبع بعض خلفاء المسلمين هذه النزعة. إلا أن ارتفاع تكاليفها، وضرورة وجود خليفة قوي مسيطر، أمران حدّا من انتشار هذا النوع من العمران. فاقتصر إنشاء الحيران على ابني هارون الرشيد، المأمون والمعتصم، وعلى المتوكل. وغير هؤلاء لم يوفق خليفة آخر إلى تقليد الأمويين أو محاكاة حدائق الحيوان التي ابتدعوها.

ويقيناً أن هذا الانجاز الحضاري له دلالات عديدة على الدولة التي أنجزته: القوة، والمتعة، والرفاء، وتقدم أساليب الهندسة والمعمار، بالاضافة إلى الروح الانسانية التي ترى في رعاية الحيوان وحماية الطبيعة، أمراً حرياً بالانفاق عليه، وجديراً بتكريس الجهد له ●

الهوامش

(١) هو أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري، المؤرخ واللغوي المعروف. توفي عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م. وهو صاحب **كتاب النبات** أحد أهم المراجع اللغوية في أسماء النبات. راجع بروكلمن، **تاريخ آداب اللغة العربية** (بالالمانية)، (ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣٧)، الذيل الأول، ص١٨٧.

(٢) الزبيدي، ج٣، ص١٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٣.

(٤) ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص٣٧٣.

(٥) الزبيدي، ج٣، ص١٦٣.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) الفيروزآبادي، ج٢، ص١٦.

(٨) وهو كذلك البستان؛ راجع الفيروزآبادي مثلاً.

(٩) على غرار قصير عمره مثلاً؛ راجع في ذلك، كرمويل، **العمارة الاسلامية**، ص٨٤ وما بعدها.

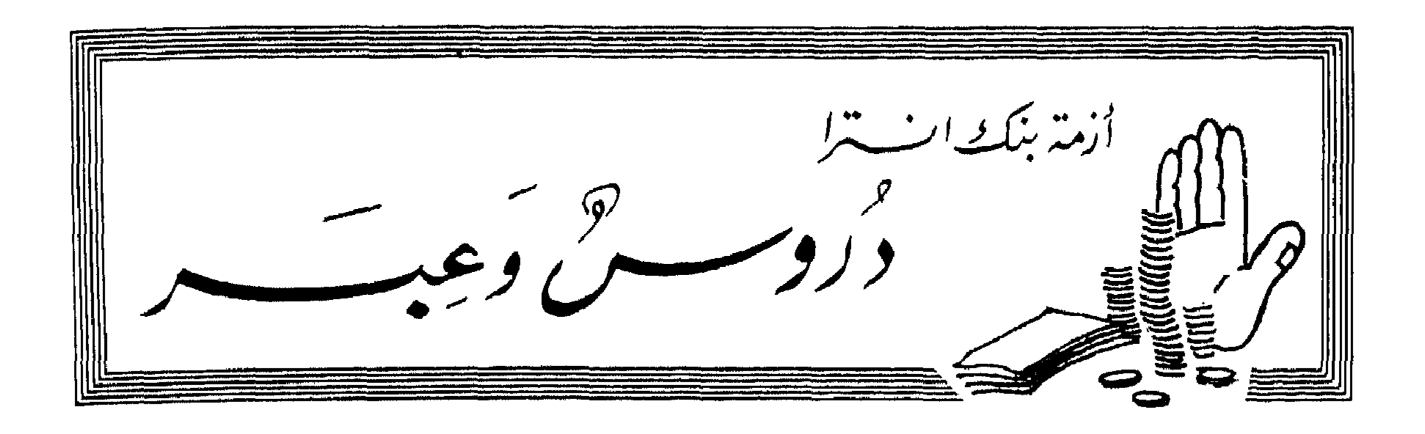
(١٠) شرح عرفات (قعوار) شهيد معنى لفظة الحيرة في محاضرة ألقاها خلال المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية الشرقية في نيوهيفن عام ١٩٦٧م. وقد أكّد على أن اسم الحيرة مشتق من حار يحار وليس من الحور أو الحرة (وهما البياض أو السواد). ولم تنشر محاضرته إلى الآن.

(١١) وجدت بعض النقوش الرومانية فيه. فدفعهم هذا إلى التأكيد على أن القصر المعني كان قلعة رومانية بنيت على أنقاض قلعة نبطية. وأهمية «القلعة» هذه أنها حمت المنطقة من غارات البدو. راجع كرسويل، **العمارة الاسلامية**، ص١٠٤ – ١٠٥ في وصف المسجد في هذا القصر، وهاردنغ، آثار **الأردن**، (بالانجليزية)، ص١٥١ – ١٥٢. ولكن الحقيقة أن هذه الأحجار التي نقش عليها بالرومانية (وهي كثيرة العدد) جلبت من مكان آخر ليس بالبعيد لتُستعمل في البناء. فقد وضعت بحيث تكون الكتابة إلى داخل البناء. ثم طلي الداخل بالجيص وزين بالفريسكو. ولكثرة هذه الأحجار وأوضاعها الشاذة في البناء نؤكّد أنها جلبت من مكان آخر ليكمل بها البناء. والناظر إلى مداميك القصر يرى صفوفاً غير منتظمة من الأحجار السوداء بلون أحجار النقوش نفسه.

وليراجع القارئ مقالنا في سبب ابتناء القصور الأموية في الصحراء، فواز أحمد طوقان، «القصور الأموية الصحراوية: لماذا ابتنيت؟»، **حولية مديرية الآثار العامة**، (عمان)، ١٤ (١٩٦٩)، ص٤ – ٢٥.

(١٢) راجع الصورة في: مارتين ألماغرو، وآخرون، **قصير عمرة: سكنى وحمّامات أموية في بادية الأردن**، (مدريد، وزارة الخارجية الاسبانية والمعهد الاسباني العربي للثقافة ١٩٧٥)، الصورة رقم ١٦.

(١٣) راجع: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، (بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى، ١٢٨٤هـ)، ج٦، ص٢٨١.



د. يوسف شبل

لقد مرّ حوالي ثلاثة عشر عاماً على انهيار «بنك انترا» الذي تعرض في تشرين الأول أوكتبر من عام ١٩٦٦ لأزمة سيولة حادة أدت الى توقفه عن الوفاء بالتزاماته تجاه مودعيه وبالتالي الى اغلاق أبوابه ووقف أعماله المصرفية. ورغم مرور هذه المدة الطويلة على هذه الكارثة المالية والاقتصادية فإن الابحاث والدراسات التي ظهرت حول أسباب وذيول كارثة إنترا لا تتعدى بضعة بحوث غلب على معظمها الطابع الصحفي السريع الذي لم يصل الى أعماق المشكلة. ولا شك في انه لو حدثت كارثة اقتصادية بهذا الحجم وتلك الذيول الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلد آخر لكان التحقيق والبحث والدراسات قد شمل جميع المؤسسات التي لها علاقة بالموضوع ولكننا الآن أمام مجلدات في الآراء والفرضيات التي تحاول شرح ما حدث واستخلاص الدروس الكفيلة بتجنب كوارث مماثلة في المستقبل.

والمؤسف في الموضوع أن الدراسات اقتصرت على النواحي القانونية المترتبة على توقف مصرف انترا عن الدفع وعلى حماية حقوق المودعين في حين أن الدراسات المالية والاقتصادية ظلت قاصرة عن إعطاء شرح منطقي وشامل لما حدث. ولا شك في أن المصارف الوطنية قد دفعت ضريبة باهظة نتيجة لعدم تفادي كارثة انترا تمثلت في اضطرار بعضها الى اغلاق أبوابه وبعضها الآخر أصبح تحت يد الدولة والقلة الباقية خسرت جزءاً كبيراً من ودائعها لصالح المصارف الأجنبية، كما أن عدداً لا يستهان به من المصارف الوطنية اضطر الى الاندماج بمصارف أجنبية بارزة كي لا ينتهي الى المصير نفسه.

أن حدثاً اقتصادياً بحجم أزمة انترا لا يستطيع كاتب أو عقل اقتصادي أو مالي أن يوجزه في مقال أو مقالين نظراً لتشعب جوانبه وارتباطه بكثير من العوامل الاقتصادية والسياسية. لذلك فان المقال التالي هو محاولة للامساك بالخيوط الرئيسية التي يعتقد الكاتب أنها وراء الأزمة.

ان المنهجية السليمة المعتمدة في تفحص حالة مماثلة لحالة «انترا» تتطلب النظر الى الموضوع من عدة زوايا يمكن تلخيصها بثلاثة وهي:

(أ) وضع بنك انترا من خلال استقراء موجوداته ومطلوباته لمعرفة نوعية كل منها ودرجة المخاطر التي كانت تحيط بسياسته المصرفية.

(ب) دور البنك المركزي والمسؤوليات الملقاة على عاتقه في مثل هذه الحالة بصفته الرقيب المنتدَب من قبَل الدولة لضبط سلوك المصارف.

(ج) أوضاع السوق المالي في اوروبا والولايات المتحدة وارتباط السوق المالي في لبنان بها.

وضع بنك إنترا:

عند حدوث كارثة انترا كان المصرف المذكور يملك في حوزته ودائع في حدود (٨٠٠) مليون ليرة لبنانية، وكانت موجوداته متنوعة وتشمل حقول النقل الجوي والمصارف والعقارات والصناعة والسياحة في لبنان وفي الخارج. وفيما يلي ملخص موجز لأهم استثمارات بنك انترا في داخل الاقتصاد اللبناني:

(أ) شركة طيران الشرق الاوسط ٦٢,٥٪ من أسهمها.



يوسف بيدس مع والده خليل والعائلة.

(ب) شركة الشرق الأوسط لصيانة الطائرات ٩٩٫٨٪ من أسهمها.

(ج) شركة كازينو لبنان ويملك انترا ٥١٫١٪ من أسهمها.

(د) الشركة المالية العقارية لمرفأ بيروت ويملك انترا ٩٧٫٥٪.

(هـ) بنك الكويت والعالم العربي ويملك انترا ٩٤٫٩٪.

أما في الخارج فكان أهم الموجودات التالية:

(أ) شركة أحواض السفن «لأسيوتا»: ٨٩٪.

(ب) ارض في الشانزليزه في باريس.

(ج) عقار في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة.

الملاحظة الأولى التي يمكن استنتاجها من تفحص موجودات بنك انترا أن استثماراته كانت متنوعة وحيوية للاقتصاد اللبناني. فالشركات المشار اليها والتي يملك بنك انترا حصة الأسد فيها لا شك هي مرافق حيوية للاقتصاد اللبناني وكانت توظف عدداً كبيراً من القوى العاملة في لبنان من أصحاب المهارات المختلفة. ويتبادر الى ذهن المحلل عند تفحص جانب الموجودات لأنترا مصرف عربي آخر لعب دوراً بارزاً في النهضة المصرفية والنهضة الاقتصادية في بلاده وهو بنك مصر الذي أسسه الاقتصادي العربي المعروف «طلعت حرب» وقام بتحويل عدد كبير من صناعات ونشاطات مصر الاقتصادية التي لا تزال شاهدة حتى الآن على الدور الكبير الذي لعبه «بنك مصر» والذي يمكن أن يلعبه أي بنك آخر يملك ودائع كثيرة.

إذن كان دور بنك انترا في تنشيط الاقتصاد اللبناني كبيراً من خلال تمويله لعمليات التوسع الأفقي والعمودي لكبرى الشركات الوطنية العاملة في مرافق الاقتصاد المختلفة وهي حقيقة لا يمكن للباحث أن يتجاهلها في معرض تقويمه لأزمة انترا.

الملاحظة الثانية التي تستدعي انتباه المحلل الاقتصادي والمالي هو أنه رغم تنوع وأهمية موجودات انترا فان تركيبة هذه الموجودات تنطوي على مخاطر كبيرة عندما تكون جزءاً أساسياً من استثمارات مصرف تجاري ذي طبيعة متشابهة مع «بنك انترا». والمعروف أن القوانين التجارية والنقدية والمصرفية في مختلف أنحاء العالم تميز بين «المصارف التجارية» (Commercial Banks) «والمصارف الاستثمارية» (Investment Banks). وتكون ودائع المصارف التجارية معظمها تحت الطلب (Demand Deposits) وودائع توفير Saving Deposits وجزء يسير منها «ودائع لأجل» (Time Deposits). أما ودائع المصارف الاستثمارية فإن معظمها يكون مودعاً لآجال طويلة وبالتالي فان احتمال السحب على هذه الودائع من قبل المودعين والمواطنين يكون بعيداً.

ومن أجل تخفيف مخاطر السحب المفاجىء على الودائع فان العرف المصرفي والقوانين المصرفية في معظم بلدان العالم تشترط على المصارف التجارية أن تكون «موجوداتها» (Assets) متطابقة الى حد بعيد مع «مطلوباتها» (Liabilitics) من حيث التوافق

الزمني بين استحقاق المطلوبات والقدرة على تصفية الموجودات بسرعة للوفاء بالتزامات المصرف التجاري تجاه مودعيه. ومبدأ التطابق المشار اليه والذي يعرف في ميدان النقد والمصارف في الغرب باسم (Matching Principle) هو السياج الواقي الذي يحمي المصارف التجارية من خطر اغلاق أبوابه والتوقف عن دفع التزاماته من الودائع لمودعيه فيما اذا حدث إقبال مفاجىء من المودعين لسبب أو لآخر.

والسؤال الذي يتبادر فوراً الى الأذهان هو: لماذا لا تحترم المصارف التجارية كافة هذا المبدأ فتجنب نفسها مخاطر الافلاس والأغلاق. والرّد هو أن الالتزام «بمبدأ التطابق» يعني التضحية بأرباح كان من الممكن تحقيقها لو أن استثمارات المصرف التجاري أتجهت نحو الموجودات غير السائلة بطبيعتها مثل العقار والمصانع وأحواض السفن وغيرها. لذلك تحاول هذه المصارف دوماً أن توزع موجوداتها بين درجات متفاوتة من السيولة والأربحية حتى توازن بين عاملي الربح والمخاطرة. (Risk and Returns). وعندما يكبر حجم أي مصرف تجاري فان سمعته تزداد رسوخاً في السوق المالي وبالتالي فان امكانية فقدان الثقة بقدرته على الوفاء بالتزاماته تجاه أي سحب من قبل مودعية تتضاءل. لذلك تلجأ بعض هذه المصارف الى توظيف قسم كبير من ودائعها في موجودات قليلة السيولة ومرتفعة الأربحية.

من المسلّم به أن «بنك انترا» شأنه شأن معظم المصارف التجارية العاملة في لبنان لم يكن ملتزماً في توظيفه لودائعه «بمبدأ المطابقة» لعدة أسباب منها ما هو متعلق بغياب التطبيق الجدّي والدقيق لقانون النقد والمصارف الذين ينظم عملية الرقابة على المصارف التجارية من قِبل البنك المركزي ومنها عدم معرفته بالآثار المالية الواسعة التي خلقها ظهور سوق الدولار في أوروبا Euro Dollar Market على النظام المصرفي في لبنان.

دور البنك المركزي ومسؤوليته:

عندما وقعت أزمة انترا كان البنك المركزي في لبنان في الثالثة من عمره. فقد بدأ عمله رسمياً في عام ١٩٦٤ بعد أن ظل «مصرف سوريا ولبنان» يقوم بدور مماثل لدور البنك المركزي في الفترة التي سبقت ظهوره منذ فجر الاستقلال. ورغم أن البنك المركزي كان حديث العهد فان مسؤوليته في منع كارثة انترا كبيرة. فقد وقف فترة طويلة وحاسمة لا يقدم على اتخاذ أي اجراء محلي لمنع بنك انترا من الانهيار وعندما تحرك لانقاذه في النهاية كان الوقت قد فات وحدثت الكارثة التي كادت أن تطيح بالسمعة المالية للسوق اللبناني.

واذا كانت مسؤولية ادارة بنك انترا تكمن أساساً في عدم الاحتفاظ بحد أدنى من السيولة لمواجهته احتمالات سحب الودائع على نطاق واسع ومخالفة «مبدأ المطابقة» الذي شرحناه أيضاً، فان مسؤولية ادارة البنك المركزي آنذاك تتلخص في أمور ثلاثة:

اولاً: عدم استيعاب العلاقة بين كمية وسائل الدفع، أو مايشار اليه أحياناً باسم «الكتلة النقدية» وبين مستوى النشاط الاقتصادي في البلاد.

ثانياً: عدم استقراء بعض النسب المالية والنقدية من خلال تفحص الميزانيات العمومية للمصارف التجارية والتي تبين وضع السيولة لكل مصرف ودرجات المخاطرة المنطوية عليها سياسة التسليف والاستثمار التي يتبعها كل مصرف.

ثالثاً: عدم استعمال أي من الوسائل والأدوات والسياسات التي بحوزة البنك المركزي لمنع وقوع بنك انترا في الأزمة من ناحية ولاحتواء المشكلة التي نشأت من جراء تحويل نسبة كبيرة من الودائع في المصارف الوطنية، الى توظيفها في سوق الدولار في أوروبا الأمر الذي كاد أن يؤدي الى سلسلة من الانهيارات بين المصارف العاملة.

ان رصد العلاقة بين حجم الكتلة النقدية ومستوى النشاط الاقتصادي في لبنان هو في طليعة مسؤوليات البنك المركزي، ذلك أن الكتلة النقدية وهي التي تتألف من نقد في التداول، زائد ودائع تحت الطلب تؤثر تأثيراً مباشراً وغير مباشر على حجم السلع والخدمات المنتجة، وكذلك في المستوى العام للاسعار في الاقتصاد. ولو كان مثل هذا الرصد موجوداً قبل وقوع أزمة انترا لأمكن ملاحظة النقص في حجم الكتلة النقدية بسبب هبوط احتياطي المصارف التجارية وانخفاض «القاعدة النقدية» في الاقتصاد اللبناني بأسره.

أما الفشل في استقراء بعض النسب المصرفية التي يمكن أحتسابها من تفحص الميزانية العمومية للبنك



يوسف بيدس مع ابنه زياد

المركزي التي تصدر مرتين في الشهر وفي الميزانيات العمومية للمصارف التجارية العاملة في لبنان فقد أدى الى انزلاق معظم المصارف في مشكلة سيولة كبيرة دون أن يتحرك البنك المركزي لأتخاذ أي اجراء للحدّ من هذا التدهور. وللتدليل على صحة هذا الرأي نورد التطورات التالية التي طرأت على وضع المصارف التجارية في لبنان خلال العام ونصف العام اللذين سبقا انهيار انترا :

(أ) انخفضت نسبة سيولة المصارف من ٤٨٪ في شهر كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٥ الى ٢٦٪ في شهر أيار (مايو) من عام ١٩٦٦. وتعرف نسبة السيولة على انها نقد لدى المصارف زائد ودائع لدى البنك المركزي مقسومة على مجموع الودائع.

(ب) انخفضت «القاعدة النقدية» من (١٧٠٥) مليون ليرة الى (١٤٨٩) مليون ليرة للفترة نفسها. والقاعدة تساوي النقد في التداول زائد النقد لدى المصارف.

(ج) في الوقت نفسه الذي انخفضت فيه نسبة السيولة والقاعدة النقدية، هبطت «نسبة الاقتراض» للمصارف التجارية في البنك المركزي من ٣,٢٪ الى ٢,٦٪ في الفترة الزمنية نفسها. ويمكن تعريف نسبة الاقتراض على أنها التسليفات الممنوحة بضمانات من البنك المركزي الى مجموع الودائع التي بحوزة القطاع المصرفي. وكان من المفروض أن تزداد هذه النسبة لا أن تهبط.

أن جميع المؤشرات الرئيسية تؤكد وجود أزمة سيولة في الجهاز المصرفي. وهذه الأزمة لم تكن طارئة بل جاءت نتيجة لتطورات معينة في أسواق الدولار خصوصاً في أوروبا.

تطورات مستوى الدولار في أوروبا :

في مطلع الستينات بدأت السلطات الأميركية تعطي موضوع الاختلال في ميزان المدفوعات الأمريكي اهتماماً خاصاً نظراً لتدفق الدولار الى خارج الاقتصاد الاميركي الأمر الذي بدأ يضغط على مخزون الولايات المتحدة من الذهب. وكانت حكومة الولايات المتحدة حتى ذلك التاريخ مستمرة في سياستها النقدية التي ترتكز على أساس استعدادها لبيع مخزونها من الذهب بسعر ٣٤ دولار للأونصة الواحدة. وبما أن هذا السعر ظل ثابتاً ما يزيد على الخمسة والعشرين عاماً فقد بدأ الاحتياطي الاميركي من الذهب يتناقص بسرعة مما شكل ضغطاً قوياً على قيمة الدولار. ومن أجل وقف هذا النزيف فقد لجأت حكومة الولايات المتحدة الى فرض قيود ورسوم وضرائب بقصد تخفيف تدفق الدولار الى أوروبا واليابان مما أضطر الشركات والمؤسسات الاميركية الى التوجه نحو سوق الدولار في أوروبا والاقتراض منه. وقد ارتفعت أسعار الفائدة على الدولار بشكل كبير مما حفز كثيراً من أصحاب الودائع في منطقة الشرق الأوسط على إيداع أموالهم بالدولار بدلاً من العملات المحلية بهدف الحصول على فائدة مرتفعة.

وبما أن بنك أنترا كان في طليعة المصارف من

حيث حجم ودائعه فقد بدأ يشعر بضغط شديد على ودائعه بالليرة اللبنانية. عندئذ بدأت ادارة انترا محاولة للحصول على تسهيلات البنك المركزي لقاء ايداع قسم من أسهم المصرف في الشركات اللبنانية والعالمية التي يملك فيها «انترا» حصصاً كبيرة. غير أن المفاوضات اصطدمت بمعارضة البنك المركزي على أساس أن نوعية وقيمة هذه الأسهم غير كافية لتغطية المبلغ المطلوب من السيولة النقدية. ويبدو أن موضوع المفاوضات لم يحط بالكتمان الضروري حتى لا تتسرب الى جمهور المودعين فيبادرون الى سحب ودائعهم بشكل فجائي كما أن رغبة بعض المسؤولين في لجم بنك انترا وادارته واعتبار أن هذه هي الفرصة التاريخية لتحقيق ذلك قد أدى الى فشل المفاوضات من ناحية والى تسرب المعلومات الى حالة من الخوف الشديد والذعر فاضطر المودعون الى طلب سحب ودائعهم على نطاق واسع. الأمر الذي أوقع انترا في حالة عدم قدرة على الوفاء بالتزاماته وأدى ذلك في النهاية الى اعلانه التوقف عن الدفع وبالتالي إحالة موضوعه على القضاء.

أما التطورات التي تلت ذلك ومنها تكليف دور ذات خبرة مالية ومحاسبية مثل «كوبر» (Cooper) بتقدير العجز في موجودات انترا فيمكن إبداء ملاحظتين رئيستين فيها. الملاحظة الأولى أن تقويم موجودات المصرف وهو في حالة التوقف عن الدفع خصوصاً الموجودات العقارية يختلف جذرياً من حيث القيمة المالية عن تقويم الموجودات نفسها عندما يكون المصرف لا يزال يعمل وقادراً على الوفاء بالتزاماته. لذلك فقد توصلت مؤسسة «كوبر» الى تقدير لقيمة موجودات انترا أقل من القيم السوقية لهذه الموجودات فيما لو عرضت للبيع والبنك لا يزال في فترة ازدهاره.

لذلك فان العجز الذي توصلت اليه مؤسسة «كوبر» وقدره ٢٥ مليون ليرة ينقلب الى فائض لصالح بنك انترا خصوصا وأن المؤسسة اعتمدت «القيمة الدفترية» ("Book value") بدلاً من «القيمة السوقية» (Market Value) في تقديرها لهذه الموجودات. وبالطبع فان المؤشر الثاني هو الأصح علمياً عندما يكون الموضوع بيع وشراء الموجودات في السوق المالي والعقاري وسوق الأسهم.

الملاحظة الثانية أن الجهد الذي بُذِلَ بعد أزمة انترا سواء لناحية تقدير وضع ومركز البنك أو لناحية حماية المصارف الوطنية الأخرى خصوصاً الصغيرة منها، ومدّ هذه المصارف بمبالغ طائلة لمنعها في الانهيار كان يمكن توفيره لو أن الجهات المسؤولة بادرت في هدوء الى مساعدة بنك انترا على اجتياز محنته ومن ثم دعوته الى البدء بحزم بعملية تكيف ضرورية حتى تستقيم سياسته المصرفية مع واقعه كمصرف تجاري وليس كمصرف استثماري.

في ضوء هذا التحليل والسرد لأحداث انترا يمكن استنتاج الدروس والعبر التالية:

أولاً: كان من الممكن تفادي كارثة انترا لو أن البنك المركزي آنذاك قام بتحذير ادارة انترا سرّاً بضرورة التقيد بمبدأ المطابقة لجهة توظيف ودائعه في موجودات ذات مخاطر مختلفة. وكان من الممكن أيضاً مده بالسيولة الضرورية لقاء التقيد بالشروط التي يريدها البنك المركزي خصوصاً وأنه كان في وضع القادر على ذلك.

ثانياً: لا يستطيع أي نظام مصرفي أن يعمل بكفاءة واستقامة اذا لم يكن يخضع لرقابة مستمرة من قبل البنك المركزي لجهة نسبة السيولة التي يجب الاحتفاظ بها ولنوعية التسليفات التي يقدمها. أن ترك الموضوع لاجتهادات ادارة المصارف التجارية والاعتماد على الاعجوبة اللبنانية في تخطي العقبات والصعاب قد أدى الى كارثة. ومن الممكن أن يتكرر ذلك مستقبلاً اذا لم تكن عين البنك المركزي واعية لما يجري.

ثالثاً: لقد أدى عدم وجود سياسة نقدية سليمة ذات مضامين وأهداف اقتصادية واسعة الى عدم القدرة على ربط الأحداث والتطورات في اسواق النقد العالمي بالتطورات في السوق المالي اللبناني وبالتالي الى تعريض النظام المصرفي اللبناني بأسره الى الانهيار وفي أحسن الحالات الى اهتزاز الثقة بدور المصارف اللبنانية في المنطقة.

رابعاً: أن الكلفة التي دفعها الاقتصاد اللبناني والمصارف الوطنية من سمعتها ومستقبلها نتيجة لانهيار كبير المصارف اللبنانية جسيمة. ولا يمكن تبريرها بأي حال بالاخطاء التي مارستها ادارة البنك المذكور، أي ادارة انترا. لقد اراد البعض معاقبة بنك انترا لكي يكون أمثولة لغيره فكانت النتيجة أن عوقب الجهاز المصرفي بأسره في البلاد واستفادت المصارف الاجنبية على حساب المصارف الوطنية واهتز دور لبنان المالي كمقر أمين لودائع المواطنين العرب ●

● يقصد بالسيولة ما تحتفظ به البنوك التجارية من أوراق نقدية لمواجهة سحب المودعين لجزء من إيداعهم. فلا يكفي لتأمين المركز المالي للبنك التجاري ألاّ تقل القيمة الفعلية لأصوله عن جملة حسوماته، وإنما يتعين عليه الاحتفاظ بجزء من الايداعات في شكل نقدي أو في قيم يمكن تحويلها بسهولة وبسرعة إلى نقد دون التعرض لخسائر في عملية التحويل هذه، وذلك لمواجهة سحب الأفراد والهيئات للمبالغ المودعة من جانبهم في هذا البنك.

وإذا كان الاحتفاظ باحتياط من السيولة أمراً ينبغي أن يجعله البنك التجاري من قواعد سياسته، فإنه ليس بالعامل الوحيد الذي يحدد اختيار أصول البنك التجاري ذلك أن ثمة اعتباراً آخر له أهميته، هو اجتناء الأرباح حتى لوكانت البنوك جميعها ملكاً للدولة في بعض البلاد. فإن الأرباح من معايير الكفاية.

ولا شكّ أنه لو زادت نسبة السيولة على الحدّ الواجب، لكان معنى هذا تعطيل مقدار قد لا يستقر بغير مبرر، كما يحرم هذا التعطيل الاستثمار القومي من جزء من المدخرات بغير موجب عقلي أو اقتصادي، مما يقلّل من دور البنوك كأداة فعّالة في النظام الاقتصادي.

ومن جهة أخرى لو قلت نسبة السيولة عن الحد الواجب لأصبحت البنوك في مركز حرج. فقد لا تتمكن من الوفاء بالتزاماتها تجاه المودعين. ومن هنا لا بدّ من التزام الدقة في التقدير عند رسم سياسة توزيع موارد البنك التجاري على الأصول، حتى يتسنى له التوفيق بين اعتباري السيولة وتحقيق الأرباح.

وخشية أن يتغلب اعتبار الربح، يفرض القانون أو العرف على البنوك التجارية أن تحتفظ بنسبة معينة من ودائعها في صورة أرصدة نقدية جاهزة للصرف، أما التقلبات الموسمية والتغيرات المفاجئة في سحب الودائع أو الاقتراض، فان البنوك تستطيع ان تواجهها أمابتصفية بعض أصولها السائلة أو بالاقتراض من البنك المركزي أو البنوك الأخرى.

وفي مصر، قبل السبعينات، خولت للبنك المركزي سلطة تحديد نسبة ونوع الأموال السائلة التي يجب أن تحتفظ بها البنوك التجارية، وقد حددت بمقدار ٣٠ في المائة اعتباراً من أول أيار (مايو) ١٩٥٨. وفي لبنان بعد أزمة بنك «انترا» سنة ١٩٦٦، الزمت الحكومة المصارف بايداع جزء من سيولتها لدى البنك المركزي، كضمان لعدم تكرر أزمة السيولة التي انهار في أعقابها البنك المذكور. وفي مختلف البلدان تشمل الابداعات الأصول السائلة «النقدية»، والارصدة لدى البنك المركزي، والشيكات، والحوالات والكوبونات والاوراق المالية تحت التحصيل بما في ذلك النقدية في العملات الاجنبية واذونات الخزانة، والأوراق التجارية القابلة للحسم وتستحق الدفع في الداخل أو في الخارج خلال ثلاثة أشهر، وأوراق الحكومة والأوراق المضمونة من جانب الحكومة، والمبالغ المستحقة على البنوك.

الشيخ نسيب مكارم

شاعر الخط واللون

د. سامي مكارم

«بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الانسان ما لم يعلم»[١]. هكذا بدأ التنزيل الحكيم. ينبئ عن منزلة القلم عند الله. وعن منزلة ما يكتب بالقلم.

ويروى أن الامام علي بن ابي طالب مرّ يوماً برجل يكتب المصاحف. فقال: «أجلل قلمك». فقصم منه قصمةً ثم كتب، فقال عليّ: «نعم هكذا. نوّره كما نوّره الله»[٢]. ويروى عنه كذلك انه قال: «الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً»[٣].

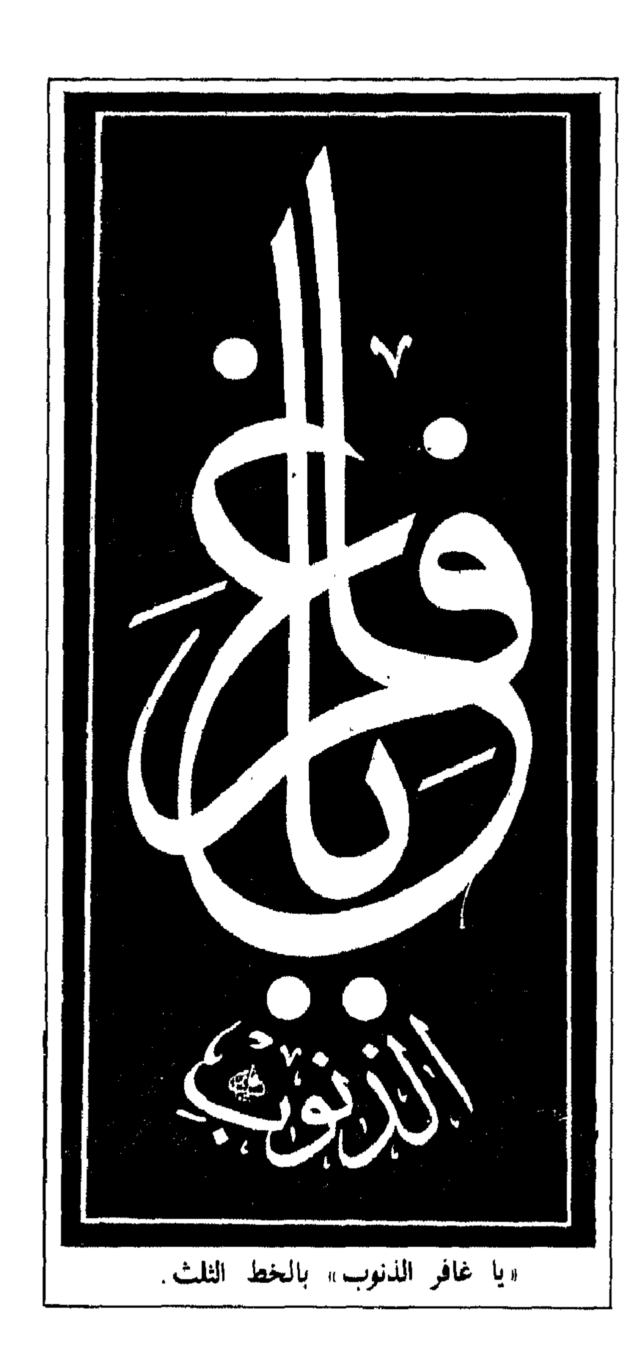


تدلنا هذه الاقوال وكثير من أمثالها على ما للقلم والخط من شرف في الاسلام. نسب إلى عبد الله بن عباس، شيخ المفسرين، انه فسّر اثارة العلم بانها الخط.[٤]. وذلك في قوله تعالى: «قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتابٍ من قبل هذا او اثارةٍ من علم ان كنتم صادقين»[٥].

وهكذا فان للقلم في الاسلام منزلةً من القدس ومكانة في الدين. فهو يصور كلمة الله ويعبّر عن المعرفة ويبلّغ عن العلم. ألم يقسم به الله اذ قال: «ن والقلم وما يسيطرون»[٦].

وقد اطنب كثير من اعيان المسلمين في مدح الخط والقلم. نسب إلى العباس عم النبي (ص) انه قال: «الخط لسان اليد، والبلاغة لسان العقل، والعقل لسان المحاسن، والمحاسن كمال الانسان»[٧]. ونسب إلى ابراهيم بن محمد الشيباني قوله: «الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحي الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الاخوان عند الفرقة، ومحادثتهم على بعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور»[٨]. وقال هشام بن الحكم: «الخط حلى تصوغه اليد من تبر العقول، وقصب يحوكه القلم بسلك الحذق»[٩]. وقال المأمون: «الخط روحنة العلم، وقلب الفهم، وفن الحكمة، وديباجة البيان»[١٠].

ولم ينس المسلمون، للدلالة على علو منزلة الخط، ان يستشهدوا بأقوال حكماء الاغريق وعظمائهم، فهم اصحاب منطقٍ وحكمةٍ وفنٍ وعلم. وكان لهم كبير الاثر في حضارة المسلمين. فأقوالهم إذاً تقوّي الحجّة وترجّح الكلمة وتثبت البرهان. ذكر ابن النديم عن اقليدس انه قال. «الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية»[١١]. وذكر ابو حيان التوحيدي عن افلاطون أنه قال: «القلم عُقال العقول، والخط بسط الحسّ والمدرك به مراد النفس»[١٢]. كذلك نسب ابن النديم إلى ارسطو طاليس قوله: «القلم العلة الفاعلة، والمداد العلة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلة المتممة»[١٣].

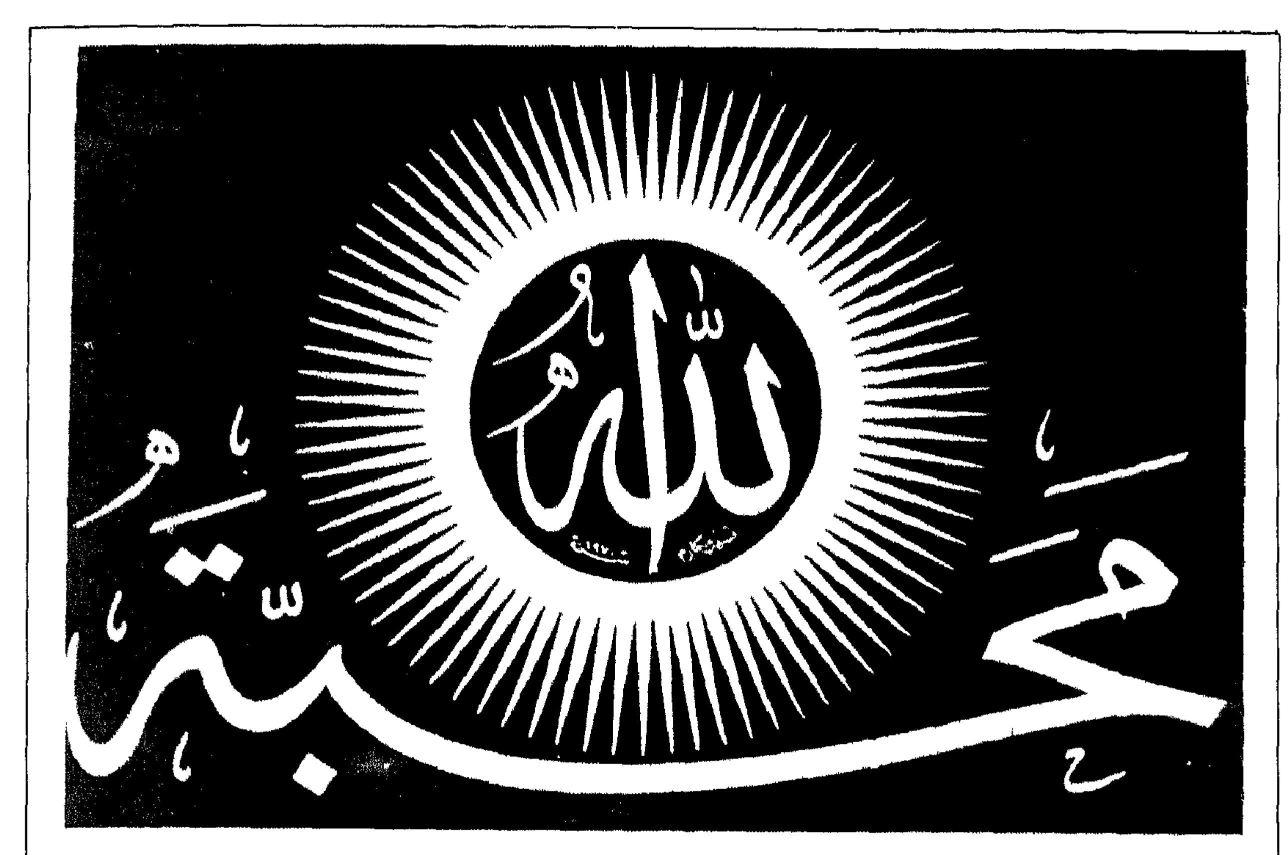


«يا غافر الذنوب» بالخط الثلث.

موقع الكلمة والخط في الاسلام

وقد بلغ الخط العربي منزلة في الفن عظيمة، وتجاوزت شهرته دار الاسلام، حتى أن ملك الروم،

* د. سامي مكارم استاذ في الادب العربي والفكر الاسلامي في الجامعة الأميركية، بيروت. بكالوريوس آداب، في الادب العربي والفلسفة من الجامعة الأميركية، بيروت. ماجستير في الادب العربي من الجامعة ذاتها. دكتوراه فلسفة في دراسات الشرق الاوسط من جامعة ميتشيغان آن اربر، الولايات المتحدة. علم في جامعة ميتشيغان المذكورة والجامعة اللبنانية والجامعة الأميركية في بيروت. رئيس دائرة الادب العربي ولغات الشرق الادنى ومركز دراسات الشرق الاوسط في الجامعة الأميركية في بيروت بين ١٩٧٥ و١٩٧٨. وهو يتعاطى فن الخط العربي واقيم له معرض في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٩ في الجامعة الأميركية في بيروت.



«الله محبة» من لوحاته.

فيما يروي ابو حيان التوحيدي، كان يعجب بخط احمد بن ابي خالد كاتب المأمون، فكان «يخرجه في يوم عيده في جملة زينته، ويعرضه على العيون»[١٤].

ولا عجب اذا وضع المسلمون الكتابة في هذا الموضع الرفيع فالكلمة الالهية في الاسلام انما نزلت بصورة كتاب، وليس بصورة انسان كما هي الحال في المسيحية او في غيرها من ديانات. لذلك كان الخط عند المسلمين ميداناً للفن ومجالاً له ومحتوى. فيه تجسد الذوق وانصب الرونق وانعكس الجمال. اذ يصور الحرف المنزل والكلمة الالهية والعلم اللدني حيث تنعكس اصداء هذه الكلمة الوحدانية على جدران المساجد الرحبة العالية المقببة المحلاة بجميل الخطوط وجلال تشامخها وانعطاف استداراتها ورونق النقوش، فتتحد بجلال شموخ المنائر وجمال تكنّف القباب لترجّع اصداء ترتيل الكتاب وترنيم المدائح النبوية والتعازي والأوراد وسماع المتصوفة الرقيق.

هنا نرى كيف يختلف الفن في الاسلام عن الفن في كثير من الاديان. ففي المسيحية مثلاً تجسدت كلمة الله في المسيح الانسان، ليتجسد الانسان على الخشب ايقونةً وعلى الرخام والبرونز تمثالاً، وفي البوذية والهندوكية تجلت الالوهة في الانسان كذلك ليتجسد هذا الانسان فناً في الحجر او في المعدن ايضاً. اما في الاسلام فقد اصرّ المسلمون على كون كلمة الله كتاباً. من هنا كان الخطاط يجسّد في فنه كلمة الله. وكان الخط، في اتحاد حروفه على كثرتها، انما يشير إلى الوحدانية، وفي تناسب بياضه وسواده، على تضادهما، وفي توافق الوانه على افتراقها، وفي اجتماع ثقيل حروفه بخفيفها ومستقيمها بمستديرها، انما ينزع إلى الوحدة في الكثرة، والى التوافق مع الوجود الكلي، والى الانسجام في الواحد الحق. قال العسجدي الخطاط يصف الخط الحسن: «واما حلاوته فافتراقه في اجتماعه»[١٥]. وهكذا كان الخط في الاسلام محور الفن وقطب الجمال. يطوّرونه ويحسنونه ويعبرون به عما يختلج في قلوبهم من عواطف واحاسيس ورؤى. وهذا ما حدا عميد الخط العربي في هذا العصر، الشيخ نسيب مكارم، موضوع هذه العجالة، على أن يقول: «الخط ضرب من التصوير مستمدّ من خيال رحب».

الشيخ نسيب: مولده ونشأته.

ولد الشيخ نسيب مكارم في عيتات من جبل لبنان في ١٤ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٩، وفيها توفي في ٤ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧١. كان قد نزح إلى



الشيخ نسيب مكارم بين ولديه وأحفاده. وكاتب المقال د. سامي مكارم إلى اليسار.

عيتات من رأس المتن، وهي احدى قرى المتن الاعلى من جبل لبنان، جد الشيخ نسيب، واسمه سلمان. نزح اليها وهو في العقد الثاني من عمره مع والده حمود زين الدين مكارم ووالدته عارفة، وهي في الاصل من عيتات من عائلة عبد الله التي عرفت بطيب المحتد والتقوى والورع.

كان حمود زين الدين مكارم من وجوه قومه. وكانت عائلة مكارم مشهورة بشدة البأس وقوة الشكيمة، حتى انها كانت تعد من «جمرات العيال» في جبل لبنان[١٦]. وقد تميّز حمود إلى جانب تقاه وورعه بصلابة العود والشجاعة والاباء ورجاحة العقل. وكان ذلك مما لم يرق للأمير اللمعي في المتن اثناء احتلال ابراهيم باشا المصري. فأضمر لحمود الشر وعزم على الايقاع به. وجاء من يقول لحمود ان الأمير اللمعي عازم على تجنيد وحيده سلمان في جيش ابراهيم باشا فرحل هو وزوجه وابنه تحت جنح الظلام إلى ناحية الغرب وتوجه بادئ الأمر إلى بلدة بيصور حيث يقطن بيت من آل مكارم ينتمي إلى فرع عبد الصمد وهو الفرع ذاته الذي ينتمي إليه حمود. هناك بقي حمود وزوجه وابنهما مدّة من الزمن، إلى أن دعاهم آل تلحوق، حكام ناحية الغرب الاعلى في ذلك الوقت، إلى السكن في عيتات مركز الناحية فلبى حمود الدعوة واسكنه التلاحقة داراً لهم[١٧] وذلك نظراً لما كان يتمتع به هو واسرته من فضل وتقى وصلاح.

وبلغ حمود رتبة في الدين عالية، وكذلك بلغت زوجه. ويروى انه عند موتها ابى آل تلحوق إلاّ أن يستاثروا بحمل نعشها دون اهل قرية عيتات، على غير عادة الحكام. فساهموا جميعهم بهذا الاجر الا الشيخ اسعد تلحوق، فقد منعه كبر السن من هذا الشرف فاكتفى بلمس النعش تبركاً. وما زال ضريح هذه السيدة الفاضلة قائماً يزار.

وبلغ الفتى سلمان بن حمود اشده. وتميز كوالديه بالتقى والفضل واخذ يجاهد ليل نهار ويعمل لدينه ودنياه فكان لا ينام إلا ردحاً من الليل لينهض بعده ويعمل في اصلاح الاسلحة، حتى اذا ما بزغ الفجر اصلح من شأنه وخرج لمزاولة مهنته الاخرى وهي النجارة. واستطاع أن يجمع ثروة اقتنى بها مساحات من الارض في عيتات. وقد رزق سلمان ولدين تعلما النجارة مهنة والدهما. وتزوج سعيد بفتاة من آل يونس من قرية عيناب المجاورة ورزقا سبعة بنين وابنتين. وكان نسيب ثاني اولادهما.

ارسل سعيد ابنه نسيباً إلى مدرسة سوق الغرب

العالية. غير أن المنية اختطفت الوالد وهو في الثالثة والاربعين وابنه نسيب ما زال فتى في الرابعة عشرة. فاضطر إلى مغادرة المدرسة ليعيل والدته وجدته لأبيه وأشقاءه الستة وشقيقتيه. وكان عمر شقيقه الأصغر آنذاك تسعة اشهر. ولحسن الحظ كان قد تعلم مهنة النجارة من والده واتقنها وهو صغير السن، حتى أن والده صنع له منصة واطئة يستطيع أن يعمل عليها. وقد اصبح معلماً حاذقاً وغالباً ما كان يتسلم الورَش عن ابيه، ويشتغل تحت ادارته أكثر من خمسة عشر عاملاً احياناً.

ولكن الفتى النجار كان ينظر إلى امه ذات الخط الجميل، فيعجب به ويطمح إلى مضاهاته. وكانت والدته واسمها عذباء، قد تخرجت من مدرسة شملان الانكليزية ونالت شهادتها الثانوية سنة ١٨٨٦. ونادراً ما كان ذلك يتسنى للفتيات في القرن التاسع عشر.

الفنان والانسان:

واخذ الفتى يتدرب على الكتابة في اوقات فراغه. وكانت امه تشجعه على ذلك وتقدم له بعض التوجيهات. وجمع الفتى آثاراً لبعض كبار الخطاطين من فرس واتراك يأخذ عنها قواعد الخط على اختلاف انواعه، منقّلاً انامله بين القلم والريشة هوايته من جهة، والمنشار والرابوخ مورد رزقه ورزق اخوته وامه من جهة اخرى. وكان، بروح الفنان، يوفّق انامله إلى العملين، فيأتي في كليهما بآيات من الفن والابداع. كان يقول لي انه كثيراً ما امسك بالقلم يتمرن به على مختلف أنواع الخطوط عشر ساعات متتالية حتى يعود لا يستطيع تحريك انامله، فيطلب وعاء من الماء البارد ويغمس يده فيه يليّن اعصابه ويبرّد انامله الحرّى، ويرتاح قليلاً ليعيد الكرة من جديد. كان يتذرع بالصبر ويستنجد بالله، فهو الديّن الورع، تربى على محبة الله ونشأ على طاعته وعبادته. وقد لبس العمة وهو ما زال يافعاً.

قرأ مرة أن الأمير عزالدين جواداً التنوخي كتب آية الكرسي على حبة ارزّ، ويبلغ عدد كلمات هذه الآية نحو الخمسين. وحدثته نفسه الطموح بمنافسة الأمير، فكتب على حبة ارزّ قطعة بلغت كلماتها احدى وستين كلمة، وعرضها في معرض زحلة سنة ١٩٠٩ - وكان ابن عشرين سنة - فنالت الجائزة الاولى الممتازة[18].

ولم يكتف الفتى الشيخ بالتفوق على الأمير التنوخي، بل اراد أن يتحدى الاجيال الآتية. كان يقول: «كما نافست الخطاطين السابقين فقد يأتي من ينافسني في المستقبل لذلك فعلي أن انافس المستقبل». وهكذا كان، فقد توصل إلى أن يكتب على حبة ارزّ قصيدة بلغت ثلاثين بيتاً وبلغت كلماتها مائتين وسبعاً وثلاثين، بالاضافة إلى غيرها من النفائس التي بلغت غاية في الدقة.

في سنة ١٩١٩ تزوج الشيخ نسيب، وكان قد بلغ الثلاثين، من ابنة سليمان فرج من قرية عبيه[19]. وهي صاحبة فن رفيع ايضاً، اشتهرت بأشغالها اليدوية من تطريز وغيره. وقد ابدعت كزوجها آثاراً فنية في غاية من الاتقان فنالت جائزة الشرف مع المدالية الذهبية لما عرضته من تخريم الدانتال اليدوية في معرض المنتوجات والمصنوعات الوطنية الذي اقامته جمعية النهضة النسائية في بيروت سنة ١٩٢٨. كذلك نالت الجائزة الممتازة لما عرضته من تطريز وتخريم في معرض الصناعات الوطنية الذي اقامته وزارة الزراعة والتجارة السورية في دمشق سنة ١٩٢٩. وما زالت إلى الآن - وقد نافت على الخامسة والثمانين - تبدع اناملها الرقيقة آيات من الاعمال الفنية تزيّن بها بيوت ولديها واقربائها واصدقائها.

كان الشيخ نسيب تقياً ورعاً عابداً. درج على النهوض من النوم كل يوم في الساعة الثانية او الثالثة صباحاً. ليأخذ بالعبادة والابتهال والتهجّد. ويبقى على هذه الحالة حتى الساعة السادسة او أكثر، فيبدأ بتهيئة نفسه للذهاب إلى عمله. كان لا يأكل الا قليلاً، ونادراً ما يتناول من الطعام الا صنفاً واحداً. وكان إلى ذلك مبالغاً في الصدق، لا يرجع عن وعدٍ قطعه، ولا يغير قولاً ولا يتفوه بكلمة يُحتمل خلافها، ولو كان احتمالاً بعيداً. كان وزوجه مرة في غرفة من غرف البيت، فلما خرج سئل أين زوجه، فأجاب: «تركتها في الغرفة». ولم يقل: هي في الغرفة، خوفاً من أن تكون قد خرجت في تلك اللحظة من باب آخر، فيكون كلامه اذ ذاك غير صحيح.

كان الشيخ نسيب خبيراً بصحة الخطوط لدى المحاكم: وقد اشتهر إلى جانب تدقيقه بنزاهته الفائقة حتى أن القضاة كانوا يقولون: «ان الشيخ نسيب مكارم ضمانة للعدل». كثيراً ما كان يسمع قولهم: «انا عندما نرى امضاء الشيخ نسيب في ذيل تقاريره يرتاح منا الضمير»[20]. اما هو فقد عاش حياته راضياً

مطمئنا لا تفارق الابتسامة شفتيه وعينيه الا عندما يسمع كذباً او يرى غشاً او خداعاً او امراً منافياً للخلق القويم. لذلك كان يحن إلى الابتعاد عن الناس والانصراف إلى ربه وتمجيد الجمال بما يخطه من جمال.

في سنة ١٩٦٥ اصيب بعرض في القلب ترك على اثره مكتبه في بيروت ولازم بيته في قرية عيتات. فقلت مواجهته اكاذيب الناس، وكثرت البسمات تنير وجهه وتؤلق عينيه. وانصرف، كما كان يتمنى، إلى ربه يعظمه بما يبدعه من جمال، واخذ الفن يتدفق من قلبه وريشته ليمجد الله في كل حرف ولون، وهو يردد: «ان المرض نعمة من نعم الله الوافرة عليّ». واذا بيته في عيتات يزخر باللوحات الخطية الفنية، وقد كتب معظمها بالذهب على الزجاج، حتى اصبح بيته بحق، كما وصف، «المتحف الذهبي».

الشيخ نسيب والحرف العربي:

لم يهتم الشيخ نسيب بابداع اللوحات الفنية وحسب، بل شعر ايضاً بمشكلات الحرف العربي حيال التقدم الحضاري وما يتطلب ذلك من نشر للمعرفة ومشاركة في الحضارة. ورأى أن الابجدية العربية، بما فيها من تعدد اشكال كل حرف من حروفها، تقف عائقاً، ان هي لم تتكيّف، امام تطور الطباعة، لما تعرضه من صعوبات تقنية واقتصادية. فلقد بلغ عدد اشكال الحروف العربية المطبعية نحو ثلاثمائة وخمسين شكلاً. راع الشيخ نسيب هذا الأمر كما راعه أن كثيراً من الاقتراحات كانت تقوم اما على الغاء الحرف العربي وابدال الحرف اللاتيني منه، واما على تجريد هذا الحرف من جماله ورونقه. فيبتكر الشيخ نسيب مع صديقه يوسف غصوب حروفاً مطبعية جديدة اختصرا بها أشكال الحروف المطبعية إلى ستين شكلاً يرسمها الشيخ نسيب بخطه الجميل محافظاً على تقاليد الخط العربي ورونقه. ويعرف هذا الخط بخط غصوب — مكارم.

بالاضافة إلى ذلك عمل الشيخ نسيب على تحسين الحرف المطبعي العادي متوخياً أن يكون اقرب إلى الفن منه إلى جفاف الآلة وبرودتها. وينتهي إلى رسم حرف مطبعي جديد يحافظ فيه على اصول خط النسخ ورونقه. ويعرف هذا الحرف بحرف مكارم او بحرف عشرين.

الهوامش

(١) سورة العلق (٩٦): ١ — ٥.

(٢) ابو حيان التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ثلاث رسائل لأبي حيان التوحيدي (تحقيق ابراهيم الكيلاني). دمشق: المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٩٥١. ص ٤٦.

(٣) احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣. القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٤. ص ٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥.

(٥) سورة الاحقاف (٤٦): ٤.

(٦) سورة القلم (٦٨):

(٧) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٣٨.

(٨) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٣، ص ٦.

(٩) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٤٠.

(١٠) المصدر ذاته، ص ٤١.

(١١) ابن النديم، كتاب الفهرست، ج ٢ (تحقيق Gustov Flügel) بيروت: مكتبة خياط، ١٩٦٤. ص ١٠.

(١٢) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة»، ص ٤٢.

(١٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠.

(١٤) التوحيدي، «رسالة في علم الكتابة، ص ٣٦.

(١٥) المصدر ذاته، ص ٣٦.

(١٦) جاء في **رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الاقطاعي** منسوبة إلى الشيخ ناصيف اليازجي، ص ١٦، (حريصا: مطبعة القديس بولس) ما يأتي: «ومن رعايا هذه البلاد طوائف من اصحاب السيف لهم سطوة في البلاد ونجدة بين ولاة الأمور، فهم يراعون جانبهم ويحذرون تعصيبهم. وهم بنو سيف، وبنو عبد الصمد، وبنو ابي شقرا، وبنو

ملاّك ، وبنو جودية ، وبنو البعيني ، وبنو ذبيان ، وبنو حماده في الشوف ، وبنو الغضبان ، والحسنية ، وبنو زيتون ، وبنو بدر ، وبنو ابي ملهم في العرقوب ؛ وبنو احمد ، وبنو الصايغ في الجرد ، وبنو خداج وبنو غرز الدين في الشحار ؛ وبنو سعد ، وبنو المدوّر في الغرب ؛ وبنو حاطوم ، وبنو هلال ، وبنو الاعور ، وبنو ابي الحُسْن ، وبنو النجار ، وبنو صالحة ، وبنو مكارم ، وبنو القنطار ، وبنو مرداس ، وبنو ملوط ، وبنو منذر ، وبنو الناكوزي ، وبنو الكعدي ، وبنو معلوف في المتن. وهم اشهر هذه الطوائف واشدها بأساً . ومنهم بنو بدر وابي ملهم والناكوزي والكعدي والمعلوف نصاري ، والباقي دروز. وهم جمرة العداوات والفتن في البلاد . ولهم عادة أن يخرجوا على ولاة امورهم يتعبون بهم تعبا شديداً . وفي أكثر الاحيان لا يقدرون على اخذهم الا بالحيلة » .

(١٧) تشاء الاقدار أن تنتقل اخيراً هذه الدار التي سكن فيها حمود زين الدين مكارم وزوجه وولده سليان إلى ملكية احد احفاده ، وهو كاتب هذا المقال ، مع دار التلاحقة المجاورة .

(١٨) راجع انيس نصر ، **النبوغ اللبناني في القرن العشرين** ، ج ١ ، ص ١٥٢ . حلب : مكتبة العصر الجديد ، ١٩٣٨ . كذلك راجع الأب انطون ضو الانطوني ، **الشيخ نسيب مكارم** ، **فنان الخط واللون** ، ص ٥٣ . بعبدا : منشورات المعهد الانطوني ، ١٩٧١ .

(١٩) اشتهر سليان فرج بالرقة والدماثة والسخاء وحسن الطباع . قيل أنه كان يجوار حقل له حقلٌ آخر تملكه سيدة مسيحية رقيقة الحال ؛ فكان يأبى الا أن يدفع عن تلك المرأة ضريبة حقلها ذاك حرمةً للجوار . وقد اصيب ، وهو دون الخامسة والاربعين ، بفالج ما أن شفي منه حتى سبب له صداعاً شديداً جعله يتضوع المأ كلما سمع صوتاً او رنيناً . فلما سمع مسيحيو قريته بمرضه ابطلوا قرع اجراس كنائسهم السبع حباً به وضناً بأن يصيبه أي ازعاج ، واكتفوا بدق ناقوس خفيف الصوت كان في كنيسة في قرية كفرمتى المجاورة . وبقوا على هذه الحال حتى انتقل إلى رحمة الله .

○○○

مع الصحافة وضدّها

«ان الدولة الحرّة تحتاج إلى تقرير صادق ، متفهّم ، ذكي ، عن احداث اليوم ، يحمل في متنه تحليلاً لهذه الاحداث ، ويمكنه أن يبلغ كل فرد في المجتمع . وهذا ما تؤمنه الصحافة » .

لجنة اميركية لدراسة اصول الصحافة

«ان نابليون مدين للصحافة بجيش مؤلف من ٣٠٠ الف جندي»

مترنيخ

«الصحافة هي الدولة الرابعة في المملكة» .

تيودور كارليل

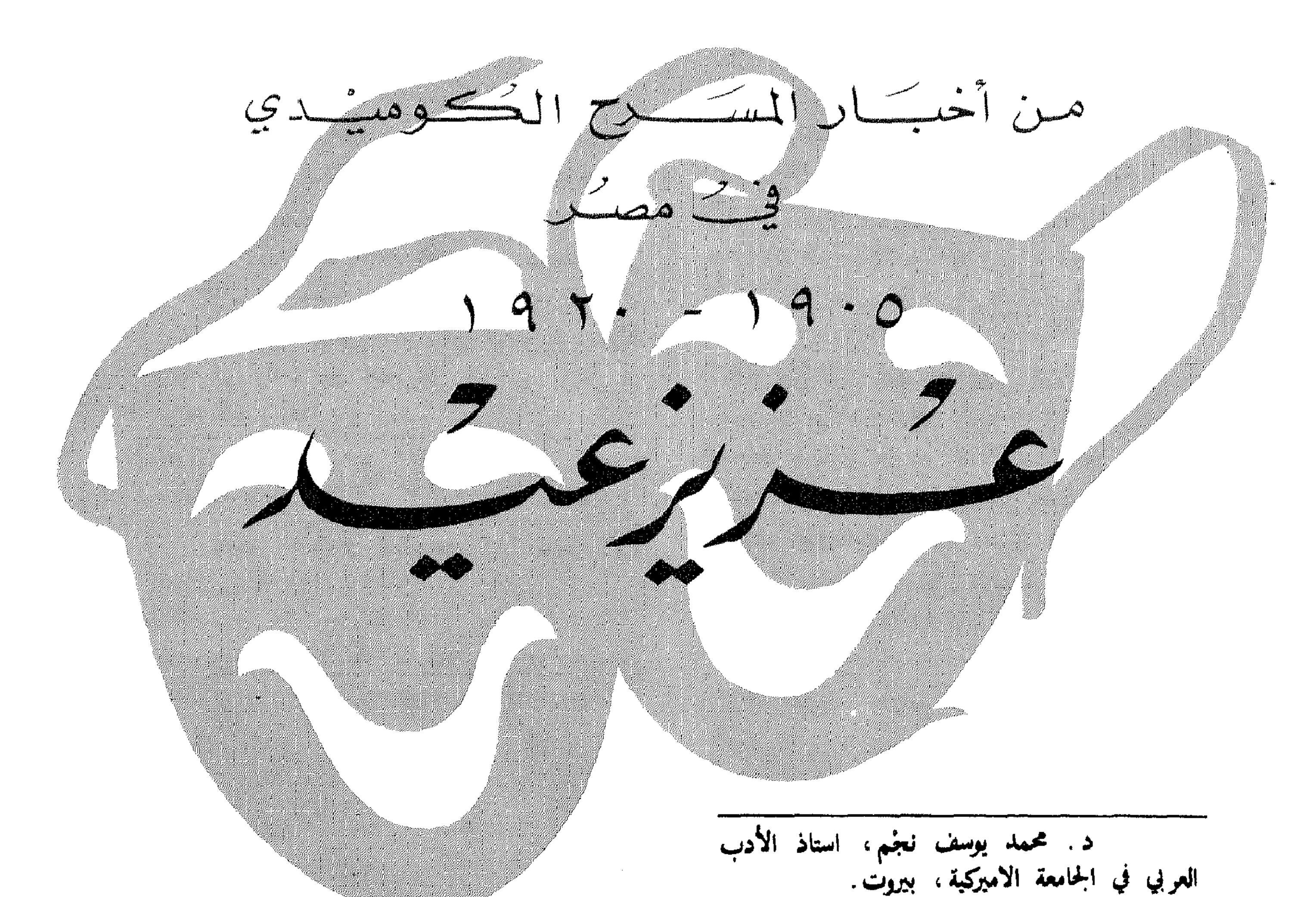
«المال ، المركز ، الشهرة ... كلها لا شيء هام امام الصحافة التي هي كل شيء» .

كريميو

«كل صحيفة ، من السطر الأول حتى السطر الاخير ، ليست سوى رداء في الرعب : حروب ، جرائم ، سرقات ، تعذيب ، جرائم امراء ، جرائم امم ، جرائم افراد ، عربدة من الوحشية الكونية .

« وبمثل هذه الشهية المقرفة يرفق الانسان المتحضر وجبة فطوره كل يوم . لا افهم ابداً ان تستطيع يد طاهرة ان تمتد لتلمّس صحيفة بدون أن يعتبرها شعور بالقرف » .

شارل بودلير.



من أخبار المسرح الكوميدي في مصر ١٩٠٥ - ١٩٢٠

عزيز عيد

د. محمد يوسف نجم، استاذ الأدب العربي في الجامعة الاميركية، بيروت.

عزيز عيد
من جوق اسكندر فرح حتى رمسيس

مع اسكندر فرح (١٩٠٥-١٩٠٧):

● يبدو من الأخبار القليلة التي بلغتنا عن البداية الفنية لعزيز عيد انه احترف التمثيل في موسم ١٩٠٥-١٩٠٦، حين التحق بجوق اسكندر فرح الجديد الذي الفه بعد انفصال الشيخ سلامة حجازي عنه واستقلاله بجوقه على مسرح دار التمثيل العربي. وقد ضم جوق فرح الجديد[1] الشيخ أحمد الشامي وعزيز عيد وأمين عطا الله وعلي يوسف وأحمد محرم ومحمود كامل، ومن السيدات ماري صوفان وابريزا ستاتي وشقيقتها المز. وكان يشرف على تدريب الممثلين الممثل المغني رحمين بيبس. كان يقوم بالادوار الغنائية في هذا الجوق الشيخ أحمد الشامي ورحمين بيبس، أما البطولات النسائية فكانت معقودة للممثلة البارعة ماري صوفان التي تألقت كالشهاب في هذا الموسم ثم أنطفأت فجأة. وقد اشتهر عزيز في هذا الجوق الجديد بتمثيل الادوار الكوميدية في مسرحيات الجوق وفي الفصول الهزلية التي تعقبها، يشاركه في ذلك أمين عطا الله. ومن ادواره التي عرف بها آنذاك دور البوليس السري فوكس في مسرحية «الطواف حول الأرض»[2] ودور المرابي في «ماري تيودور» (نقاش الخناجر)[3] وبدور مولينيه في «العواطف الشريفة»[4] (صاحب معامل الحديد).

جوق عزيز عيد وسليمان الحداد. (١٩٠٧-١٩٠٨):

بادر عزيز بعد حلّ الجوق إلى تكوين فرقة صغيرة من فلول الجوق، ومثل معها مسرحية «مباغتات الطلاق» التي عربها عن الفرنسية، على مسرح دار التمثيل العربي يوم السبت ٢٠ تموز (يوليو)[5] ثم استقال من وظيفته في البنك الزراعي وضم اليه زميله في البنك نجيب الريحاني[6]، والممثل القديم الشيخ سليمان الحداد الذي تولى ادارة الجوق[7].

استهل الجوق موسمه في التياترو المصري (مسرح

اسكندر فرح) بشارع عبد العزيز في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧ بتقديم مسرحية «ضربة مقرعة»[٨] . ومثل أيضاً «مباغتات الطلاق»[٩] و«الابن الخارق للطبيعة» و «الملك يلهو» و «ليلة الزفاف» و «الماسون» ، و «جرنجوار» و «عندك حاجة تبلغ عنها» ، وجميعها من المسرحيات الفودفيلية المعربة. كما مثّل مسرحية «في سبيل الاستقلال» التي الفها سليم النجار عن معركة رشيد التي وقعت بين محمد علي والانجليز. وتنقل في موسمه القصير هذا بين التياترو المصري ، ودار التمثيل العربي ومسرح عدن الجديد وتياترو الحمراء بالاسكندرية.

واستمر الجوق في تمثيله حتى نهاية كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨[١٠] .



عزيز عيد.

مع اسكندر فرح ثانية (١٩٠٩) :

قضى اسكندر فرح موسم ١٩٠٧–١٩٠٨ وطرفا من الموسم الذي بعده دون جوق ، واكتفى اثناء هذه المدة بتأجير مسرحه للاجواق الأخرى ومنها جوق عزيز. وفي كانون الثاني (يناير) ١٩٠٩ عاوده النشاط ، فألف جوقا واخذ يستعد لاستئناف التمثيل في الشهر التالي[١] . انضم عزيز عيد إلى هذا الجوق الذي استمر فترة قصيرة لم تتجاوز شهراً وبعض الشهر ، مثل اثناءها عدداً من مسرحياته القديمة التي كان لعزيز أدوار فيها ، ومنها «ابنة حارس الصيد» و «الطواف حول الأرض» و «الكابورال سيمون»[٢] .

مع شركة التمثيل المصري وجوق الشيخ سلامة حجازي (١٩٠٩–١٩١١) :

حلّ فرح جوقه ولما يمضي عليه أكثر من ستة اسابيع ، وفي ١٨ تموز (يوليو) ١٩٠٩ أصيب الشيخ سلامة حجازي بالفالج اثناء وجوده مع جوقه في الشام. فقام افراد من جوقه ومن جوق اسكندر فرح بتأليف جوق جديد دعوه «شركة التمثيل المصري». وبدأوا نشاطهم بتمثيل مسرحية «الطواف حول الأرض» في صالة الأعياد بالاسكندرية ، يوم الأحد ٨ آب (أغسطس)[٣] .

وتتابعت الاجواق التي تفرعت عن هذين الجوقين[٤] ، ولا ندري ماذا كان دور عزيز عيد فيها ، ولكننا نعثر في كانون الثاني (يناير) ١٩١١ على خبر يفيد انه كان بطل مسرحية الكابورال سيمون في جوق الشيخ سلامة حجازي[٥] . ويبدو أن عزيزا كان أحد أفراد هذا الجوق الذي كان يتكون من بعض ممثلي جوق الشيخ سلامة برئاسة عبد الله عكاشة[١٦] .ويبدو انه استمر بعد ذلك في العمل مع هذا الجوق واخراج



الشيخ سلامة حجازي.

المسرحيات له إلى ان التحق بجوق جورج ابيض سنة ١٩١٢، اذ تذكر السيدة روز اليوسف في مذكراتها انها تعرفت اليه اثناء عمله مع اولاد عكاشة حين كان يخرج لهم مسرحية «عواطف البنين» على مسرح دار التمثيل العربي[١٧]. وقد قدّم اولاد عكاشة هذه المسرحية على مسرح دار التمثيل العربي، حسب ما وصلنا من معلومات، في ٣٠ نيسان (ابريل) و ٢٥ ايار (مايو) ١٩١١، وقدموها بعد ذلك في التياترو المصري بشارع عبد العزيز. ونجد بعد ذلك اسمه يتردد مع جوق عبد الله عكاشة[١٨]، ويذكر اسم المسرحية التي اشتهر باخراجها وتمثيل احد ادوارها وهي الكابورال سيمون[١٩].

مع جورج أبيض (١٩١٢-١٩١٥):



جورج أبيض.

ترك عزيز جوق عبد الله عكاشة واخوته، وانضم إلى جوق جورج أبيض الذي بدأ نهضة حقيقية في فن التمثيل اسعدت عزيزا واحيت الامل في نفسه واطلقت لسانه بعبارات التقدير والثناء[٢٠]. واشتهر عزيز بتمثيل عدد من ادوار المسرحيات التي قدمتها الفرقة منها دور ياجو في «عطيل» وكوكارداس في «الأحدب» وأمين في «مدرسة الازواج» والكابورال في «الكابورال سيمون». كما كان يقوم باخراج مسرحيات الفرقة. استمر عزيز مع جوق جورج في موسميه الأولين، ثم بقي معه حين اشترك جورج مع الشيخ سلامة في جوق أبيض وحجازي الذي بدأ موسمه الأول في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩١٤، وضم في من ضمّ نجيب الريحاني وروز اليوسف.

وقبل ان ينتهي هذا الموسم ترك عزيز الجوق ومعه روز اليوسف والريحاني وأمين عطا الله ليؤلفوا جوقا خاصاً بهم.

جوق الكوميدي العربي (١٩١٥):

الف عزيز هذا الجوق من زملائه الذين انفصلوا عن جوق أبيض وحجازي وضم اليه أمين صدقي واستفان روستي وأمين عطا الله وحسن فايق وأحمد حافظ وعبد اللطيف جمجوم[٢١]. وكان ممول الجوق هو صاحب مقهى متروبول بشارع عماد الدين، الذي امده بعشرة جنيهات[٢٢].

بدأ الجوق عمله على مسرح برنتانيا، وكان يمثل ثلاث ليال في الاسبوع. وقد استهل نشاطه يوم الخميس ٢٠ ايار (مايو) ١٩١٥ بتمثيل مسرحية «خلي بالك من اميلي» التي عربها أمين صدقي عن جورج فيدو[٢٣]. ثم قدم «ضربة مقرعة»[٢٤]. وقام في هذه الأثناء برحلة إلى المنصورة[٢٥].

كان اتفاقهم مع مسرح برنتانيا جائراً، ولذا قرروا الانتقال الى مسرح آخر، أقل تكاليف، فاختاروا مقهى الشانزلزيه بالفجالة[٢٦]. وانضم اليهم آنذاك عبد اللطيف المصري[٢٧]. وقدموا على مسرحهم الجديد: «الأبن الخارق للطبيعة»، و «شهداء الغرام الهزلية» و «عندك حاجة تبلغ عنها»، و «ضربة مقرعة» و «المهرج بلفجور»[٢٨] وظلوا على هذا المنوال طوال شهري تموز وآب (يوليو وأغسطس). وكانت حالة الجوق، من الناحية المادية تسير من سيّء إلى أسوأ، ولذا اقترح عليهم علي يوسف، احد متعهدي الحفلات، ان يتفقوا مع منيرة المهدية، التي كانت مشهورة في عالم الغناء آنذاك، على أن تتعاون مع الجوق، فتخرج من دائرة الغناء إلى دائرة التمثيل، وتقدم في كل ليلة فصلاً من إحدى مسرحيات الشيخ سلامة حجازي الغنائية[٢٩]. ويقال انهم بدأوا العمل معها على مسرح سينما باتيه بشارع بولاق (فؤاد الأول،

ثم ٢٦ يوليو) ، يوم السبت ١٤ آب (اغسطس). فمثّل الجوق مسرحية «المهرج بلفجور» ، وقدمت منيرة الفصل الخامس من «شهداء الغرام» ، وغنت فيه قصيدة «سلام على حسن يد الموت لم تكن لتمحوه أو تمحو هواه من القلب»[٣٠] . واستهلت الحفلة بغناء اربعة أبيات اولها : «سلام على قومي وآل عشيرتي» تحيي بها الجمهور وتخبره باعتزامها الالتحاق بمهنة التمثيل[٣١] .

وفي ٢٦ آب (اغسطس) قدم الجوق مسرحية «المدموزيل جوزيت مراتي» ، على مسرح برنتانيا ، ومثلت منيرة الفصل الثالث من «صلاح الدين الأيوبي» وفيه تغني قصيدة: «أن كنت في الجيش ادعى صاحب العلم/فانني في غرامي صاحب الالم»[٣٢] . وافتتحت الحفلة بلحن استقبال من تلحين كامل الخلعي[٣٣] .

وتهافت الجمهور على المسرح وارتفع الدخل ارتفاعاً غير منتظر. ولكن لم تمض مدة طويلة حتى شعرت منيرة انها هي وحدها المقصودة بهذا الاقبال ، وان اسمها هو الذي يجذب الناس إلى ارتياد المسرح ، وانه من الغبن ان تكون شريكة في الايراد بالنصف فقط ، ومن ثم صممت على فصم الارتباط[٣٤] . وعندما انسحبت منيرة عاد الجوق إلى كازينو الشانزلزيه ثانية وعاودته أيام البؤس[٣٥] . وظل الدخل يتضاءل يوماً بعد يوم حتى اضطر إلى ان يلحق نفسه بجوق عكاشة .

مع جوق عبد الله عكاشة واخوته (١٩١٥-١٩١٦) :

بعد انسحاب منيرة وتعثر الجوق وانفضاض الجمهور من حوله ، قرر الانضمام إلى اولاد عكاشة ، الذين كانوا يعانون ما يعانيه من منافسة جوق أبيض وحجازي. وتم الاتفاق بين الجوقين على العمل معاً مع بقاء كل منهما مستقلاً عن الآخر ، بمعنى ان يتناوبا ليالي التمثيل ، على ان يقسم الايراد مناصفة بينهما[٣٦] .

بدأ الجوق الجديد عمله في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ على مسرح دار التمثيل العربي[٣٧] .

ولم يزدهم وجودهم مع العكاشيين-كما يقول الريحاني-الا خبالا[٣٨] ، فقرروا حوالي منتصف ابريل ١٩١٦ الانسحاب من الجوق المشترك. واتفقوا مع الحاج مصطفى حفني على أن يمثلوا على مسرح برنتانيا وخاصة في اشتراكات أيام الجمعة. فمثل عدداً من المسرحيات منها «بسلامته ما دخلش دنيا» و «الكابورال سيمون» و «عيشة المقامر» وغيرها[٣٩] .

وفي منتصف ايار (مايو) انفصل الريحاني عن الجوق ، واخذ يترقب الفرص التي تتيح له ان يظهر على المسرح في عمل يبرز فيه مواهبه الحقيقية ويتيح له من النجاح والشهرة مما لم يتح له من قبل. واختفت اخبار عزيز عيد فترة من الزمن ، ظهر بعدها منافساً صغيراً لزميله القديم الريحاني.

وقبل ان نتحدث عن هذه الفترة من حياته الفنية لا بد لنا من الحديث عن الحملة الصحفية التي اثارتها مسرحيات عزيز الفودفيلية في موسميه الاخيرين.

حملة صحافية

بدأ هذه الحملة الكاتب د.ن.ج. الذي علق على مسرحيات الجوق عامة تعليقاً موجزاً قال فيه :

«علمتم ولا شك بتأليف جوقة جديدة باسم الكوميدي العربي وتمثيلها رواية خلي بالك من أميلي ، التي مثلت ليلتي الخميس والسبت من الاسبوع الماضي. ومع تقديري التعب الذي بذله افراد هذا الجوق الأدباء حق قدره ، اقول ان هذا النوع من الروايات سيفضي إلى ضرر كبير من وجهين : الوجه الأول انه ازاء ما نعلمه من حب الجمهور في مصر للنكات الهزلية والروايات المضحكة ، نخشى ان يؤثر هذا النوع من التمثيل وينصرف الجمهور اليه. والوجه الثاني ان هذا الجوق الجديد قد أبتدأ بسلسلة روايات جديدة وهزلية ، وطلب من الاوانس والسيدات ان لا يحضرنها. وهذا كاف للدلالة على موضوعها»[٤٠] .

وبعد ذلك بقرابة اسبوعين نشر كاتب وقع باسم «سهيل» مقالاً ضافياً بعنوان «حركة التمثيل العربي» ، هاجم فيه اتجاه الجوق في اختيار المسرحيات وتعريبها وتمثيلها ، وبعد ان تحدث عن الفودفيل بوجه عام ، ختم مقاله قائلاً :

«لم ان تلك اللغة التي يستعملها الجوق في رواية «ضربة مقرعة» واشباهها ليست بالعربية العامية كما يتوهم اصحابها. بل الغالب فيها شيء من أساليب الاعاجم اذا تكلموا لغتنا العامية. فاذا كانوا مضطرين إلى استعمال العامية فليقلدوا عثمان بك جلال فيما عربه

من روايات موليير. ولا بد لحضرات الممثلين ان يتحاموا في تمثيلهم تلك الحركات والاشارات المتناهية في الخلاعة. أما اذا كان ذلك كله فوق طاقتهم فالأولى ان يعدلوا عن نوع الفودفيل»[41].

وبعد يومين ردّ عليه أمين صدقي، وفند آراءه فيما يتعلق بالاختيار والتعريب. فردّ عليه كاتب آخر بتوقيع «محب للتياترو» ردّاً عنيفاً جاء فيه تعليقاً على مسرحية «خلي بالك من اميلي».

«تريد بهذه الرواية ان تضحكنا وتهذب اخلاقنا، لانك شعرت بان مصر ينقصها الأخلاق وانت رجل أخلاقي يهمه ذلك جداً. انك ترجمت رواية عبارة عن سلسلة جرائم لم تريد ان لا نستهجنها. ومن الشجاعة ان تقول ان مثل هذه الرواية تثير في النفوس شيئاً من الفضيلة كما تثير الأستعارة المقلوبة هذه شجاعة لم يتصف بها كاتب واحد من مؤلفي الفودفيل انفسهم.

لا احاسبك على استعمال اللغة العامية، فهناك عدد كبير من الكتاب والمصححين الذين يرقون لغة الأمة كل يوم، ولكن احاسبك على استعمال سلاح هادم للأخلاق. وليس في مصر إلا نفراً قليلاً من الأخلاقيين وقد يفوتهم غلطك لانه يختفي تحت اسم تمثيل».

وينهي مقاله، محرضا الرقابة عليه، فيقول:

«قد آن لقلم المراقبة الأخلاقية ان يشمل روايتك بعنايته خدمة للفضيلة»[42].

ولم يسلم نشاط عزيز الفودفيلي أثناء عمله مع العكاكشة من نقد، فقد غمزه الكاتب فرح انطون غمزاً رفيقاً في جريدة الوطن، في معرض رده على مقال لميخائيل ارمانيوس في موضوع الفودفيل. قال:

«... فالكتاب والادباء الذين كتبوا في هذا الموضوع يخطئون في طلب مداخلة الحكومة لمنع هذه الروايات، ويجب الاكتفاء بمداخلة الرأي العام. وقد كان الرأي العام ذا تأثير فعال في هذه القضية، لان جوق حضرات عبد الله عكاشة واخوته اضطروا ان يوقفوا وقتياً تمثيل روايات الفودفيل بعد ما شهدوه من قيام الناس عليهم. ثم ان هناك خطأ آخر ارتكبه بعض القائمين على الفودفيل وهو تحريمهم نوعه كله وطلبهم مصادرته مطلقا. والحال ان الفودفيل قسمان، قسم نظيف وقسم خليع. فالقسم النظيف لا شيء فيه مما يمس الآداب، وأما القسم الآخر فأساسه غير ذلك، فلو كان جوق عبد الله عكاشة واخوته والممثل البارع عزيز عيد يأخذ بالقسم الأول ويترك القسم الثاني لما كان يتوجه على عملهم أقل اعتراض. وقد يقولون انهم مثلوا الفودفيل النظيف في روايات مباغتات الطلاق، والأبن الطبيعي فلم يقبل عليه الناس لان الناس لا يقبلون الا الروايات التي تتألف من ضروب المجون. والجواب ان هذا أقبح ما يوجه إلى الجمهور المصري»[43].



عبد الله عكاشة.

في كازينو دي باري والابيه دي روز (١٩١٦-١٩١٧):

في أول حزيران (يونيو) ١٩١٦ انضم الريحاني إلى صديقه استفان روستي في كازينو الأبيه دى روز ليقدم معه اسكتشات ايمائية أشبه بخيال الظل أولا، ثم ليطور هذه الاسكتشات في الشكل والموضوع ويستخرج منها هزلياته القصيرة التي تدور حول شخصية كشكش بك عمدة كفر البلاص، التي اصبحت علما عليه فيما بعد. وافتتح بها عهد التنافس الفودفيلي الذي شارك فيه عزيز عيد وكميل شمبير ومصطفى أمين وعلي الكسار وأمين عطا الله وعمر وصفي ومحمد ناجي وسواهم.

أما عزيز فقد تخاذل عن منافسة صديقه القديم، ولم نسمع باسمه فترة من الزمن. ولكن عندما اتصل نجاح الريحاني في الابيه دي روز تحرك اصحاب الملاهي

الأخرى بدافع الحسد، وحاولوا منافسة الريحاني بتقديم مسرحيات شبيهة بمسرحياته. فاختارت مدام مارسيل لانجلو صاحبة كازينو دى باري عزيز عيد وأمين صدقي اللذين ضما اليهما روز اليوسف ويوسف وهبي ودولت القصبجي (أبيض). وتروي لنا السيدة روز اليوسف حكاية هذه التجربة الطريفة فتقول:

وانفقت مدام مارسيل مبلغاً ضخماً للدعاية للفرقة. وانهمك عزيز عيد في توزيع الادوار وعمل البروفات. وكانت دولت أبيض تمثل دور سيدة اجنبية. وأدت الممثلة الناشئة (روز اليوسف) دور «بنت بلد» تلبس البرقع والملاءة. وكان دور يوسف وهبي ان يلقي بعض المنولوجات خلال المسرحية. واذكر بهذه المناسبة ان عزيز كان يصر على ان يوسف ممثل كوميدي لا درام.

وارتفع الستار في الليلة الأولى، وفوجئ الممثلون بان الصالة غاصة إلى آخرها بالجنود الانجليز. لم يكن في الصالة كلها غير طربوش واحد لم يلبث الجنود ان تضايقوا من وجوده بينهم فاعتدوا على صاحبه ومزقوا الطربوش وطردوه.

ومضى الممثلون يؤدون أدوارهم والجنود الانجليز في واد آخر... يضحكون ويسكرون ويعربدون، لا يفقهون من الرواية شيئاً ولا يلقون اليها بالاً. وكان الممثل من افراد الفرقة لا يكاد يدخل إلى الكواليس حتى يسقط مغشياً عليه من هول ما رأى في الصالة. ومن فرط ما ضغط على أعصابه ليستمر في أداه دوره.

أما مدام مارسيل فكانت في غاية السرور. فالصالة ليس فيها موضع لقدم، وهذا هو كل ما تريد. والجنود يضحكون ويعربدون ويسكرون... وهي لجهلها باللغة العربية تحسب ان ذلك كله بسبب نجاح الرواية نجاحاً باهراً.

ومضى يوم ويومان واربعة والفرقة تمني نفسها بان الجمهور المصري سوف يقبل على الرواية تدريجياً. وفي الليلة الخامسة كان الجنود الانجليز قد ازمعوا امراً. فدخلوا الى الصالة محملّين بكميات هائلة من البيض والطماطم وبأكاليل ضخمة من البرسيم. وارتفع الستار وبدأ التمثيل... واخذت القذائف تتوالى على المسرح... لا يظهر ممثل على خشبة المسرح الا وينهال عليه من البيض والطماطم... كان يوسف وهبي يغني منولوجاً يقول فيه: امسكوه... امسكوه حين أصيب اصابة



منيرة المهدية.



عمر وصفي.

مباشرة في جبهته من بيضة نزل سائلها على وجهه وملأ حلقه. ولبست دولت أبيض اكليلاً باهراً من البرسيم. وكان حظ عزيز عيد من كل هذه الخضروات باهراً... لم تفلت من الأذى في تلك الليلة سوى الممثلة الناشئة لانها كانت تمثل بنت البلد بالملاية اللف... فلا

نجيب الريحاني.

تكاد تظهر على المسرح حتى يصفق جنود الخليفة ويصفرون.

وفي الصباح ذهب عزيز عيد إلى المسرح ليجد ثيابه وثياب تلاميذه ملقاة على الرصيف بناء على أمر مدام مارسيل، التي أدركت في تلك الليلة–للمرة الأولى–أن المسرحية فاشلة.[٤٤].

وبعد أن باءت هذه التجربة بالاخفاق، لم تكف مدام مارسيل عن المحاولة وظلت تبحث عن العناصر الكوميدية الناجحة حتى اهتدت إلى مصطفى أمين وزميله علي الكسار[٤٥]، وهذا ما سنتحدث عنه فيما بعد.

وبعد أن ترك الريحاني الابيه دي روز وانتقل الى مسرح الرينسانس[٤٦]، حلّ محله عزيز فترة من الزمن، قدم اثناءها عدداً من الفودفيلات القديمة والجديدة، منها «هز يا وز»، «كل بعضك»[٤٧] و «ليلة الدخلة»[٤٨] و «عندك حاجة تبلغ عنها»[٤٩] و «أم اربعة واربعين» و «يا ستي ما تمشيش كده عريانة»[٥٠] و «دخول الحمام مش زي خروجه» و «بسلامته ما دخلش دنيا»[٥١] و «عقبال البكاري»[٥٢]، و «جتا–بتا–كتا» التي الفها أمين صدقي الذي انضم إلى جوق عزيز بعد انفصاله عن الريحاني بسبب الاختلاف على المرتب[٥٣].

ثم اختلف عزيز مع روزاتي، صاحب الابيه دي روز، فانفصل عنه ومعه روز اليوسف وانضم إلى زميله الريحاني في الرينسانس فترة من الزمن[٥٤] ●

(يتبع)

الهوامش

(١) انظر اخبار هذا الجوق في كتاب المسرحية في الأدب العربي الحديث للمؤلف (ص ص ١٢٩–١٣٢).

(٢) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ١٦ شباط (فبراير) ١٩٠٦.

(٣) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ٥ آذار (مارس) ١٩٠٦، حيث يمتدح تمثيل عزيز لهذا الدور وينبهه إلى بعض اخطائه الفنية.

(٤) نقد فؤاد سليم لتمثيل هذه المسرحية في المقطم ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٠٦.

(٥) المقطم والأهرام ١٩ تموز (يوليو) ١٩٠٧.

(٦) مذكرات الريحاني (ص ص ٢٥–٢٦).

(٧) الاهرام ٢١ آب (اغسطس) ١٩٠٨.

(٨) انظر الاهرام ٧، ١٤، ١٩ أيلول (سبتمبر)، والجريدة ٩ من الشهر ذاته، والمقطم في ١٤ منه ١٩٠٧.

(٩) انظر المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٧١–١٧٢، والمقطم ١٤، ١٩، ٢١ أيلول (سبتمبر) ٩، ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١ تشرين الأول (أوكتوبر)، ٣٠ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٠٧، و ١١ كانون الثاني و ٨، ١٣، ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٨. والجريدة ٩، ١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧، و ١٤ ايار (مايو) ١٩٠٨. والاهرام ١٤، ١٩، ٢١ أيلول (سبتمبر)، ٣، ٤، ٧، ٩، ١١، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر)، ١، ٢٠، ٢٥، ٢٩ تشرين الثاني (نوفبر) ١٩٠٧، ١٥ نيسان (ابريل)، ١ ايار (مايو) ١٩٠٨.

(١٠) انظر المقطم ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) والأهرام ٣١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٨.

(١١) انظر المقطم ٢٥ كانون الثاني (يناير)، و ٣ شباط (فبراير). ١٩٠٩.

(١٢) انظر: المسرحيــة في الأدب العربي الحديث ص ص ١٣١-١٣٢، والمقطم ٦، ١٨، ٢٦، ٢٧ شباط (فبراير)، ٤، ٦، ٩، ١١، ١٢ آذار (مارس) ١٩٠٩.

(١٣) المقطم ٧ آب (اغسطس) ١٩٠٩.

(١٤) انظر: المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٤١-١٤٣.

(١٥) المقطم ١٧ كانون الثاني (يناير ١٩١١).

(١٦) انظر: المسرحية في الأدب العربي الحديث ص ص ١٤٢-١٤٣.

(١٧) روز اليوسف: ذكريـــــــات ص ص ٢٣-٢٥.

(١٨) انظر لسان الحال ١٢ تموز (يوليو) ١٩١٢.

(١٩) انظر المقطم ٢٨ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١١، ٨ شباط (فبراير) ١٩١٢.

(٢٠) انظر رأي عزيز في ظهور جورج أبيض في مذكرات الريحاني ص ٣٦.

(٢١) مذكرات الريحاني ص ص ٥١-٥٤، ٥٩.

(٢٢) مذكرات الريحاني ص ٥٤.

(٢٣) الأهرام ٢٧ ايار (مايو)، ١٩١٥؛ ومذكرات الريحاني، ص ٥٦.

(٢٤) المقطم ٢ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٢٥) مذكرات الريحاني ص ص ٥٩-٦٠.

(٢٦) كان صاحبه عبد الله غزالة (المقطم ١٣ تموز-يوليو ١٩١٢).

(٢٧) مذكرات الريحاني ص ٣٦.

(٢٨) انظر: مذكرات الريحاني ص ٦٤، والأهرام ٢ حزيران (يونيو)، ٢٢ تموز (يوليو)، والمقطم ٢٢ تموز (يوليو)، ٢٥ آب (اغسطس)، والوطن ٩ آب (اغسطس) ١٩١٥.

(٢٩) مذكرات الريحاني ص ٦٥.

(٣٠) مسجلة على اسطوانة اوديون رقم ٤٥٢٤٢ بصوت الشيخ سلامة.

(٣١) مــــذكرة في فن التمثيـــــل ص ص ١٢٤-١٢٥. ولم نجد لهذا الخبر سندا في المراجع الأخرى التي بين أيدينا.

(٣٢) مسجلة على اسطوانة اوديون رقم ٤٥٢٣٢ بصوت الشيخ سلامة. وعلى اسطوانة بيضافون بصوت منيرة المهدية.

(٣٣) الوطن ٢١ آب (اغسطس)، والمقطم ٢٥ آب (اغسطس) ١٩١٥، ومذكرات الريحاني ص ٦٥.

(٣٤) المذكرات ص ٦٢.

(٣٥) انظر المقطم ١١ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٥.

(٣٦) مذكرات الريحاني ص ٦٧.

(٣٧) المقطم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥.

(٣٨) مذكرات الريحاني ص ٦٨.

(٣٩) انظر المقطم ٢٧ نيسان (ابريل)، ٥، ١٢، ١٩، ٢٦ آيار (مايو)، ١ حزيران (يونيو) ١٩١٦، وجريدة الافكار في التواريخ نفسها.

(٤٠) الأهرام ٢٧ أيار (مايو) ١٩١٥.

(٤١) الأهرام عدد ١١٣٨٩، ٨ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٤٢) الأهرام عدد ١١٣٩٢، ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٥.

(٤٣) الوطن ١٠ آذار (مارس) ١٩١٦.

(٤٤) ذكريات روز اليوسف ص ص ٢٠-٢١.

(٤٥) مذكرات الريحاني ص ٨٥.

(٤٦) نفسه ص ص ٨٦-٨٧.

(٤٧) الأهرام ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦.

(٤٨) نفسه ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٧.

(٤٩) نفسه ٩ شباط (فبراير) ١٩١٧.

(٥٠) نفسه ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٧.

(٥١) نفسه ٢٣ شباط (فبراير) ١٩١٧.

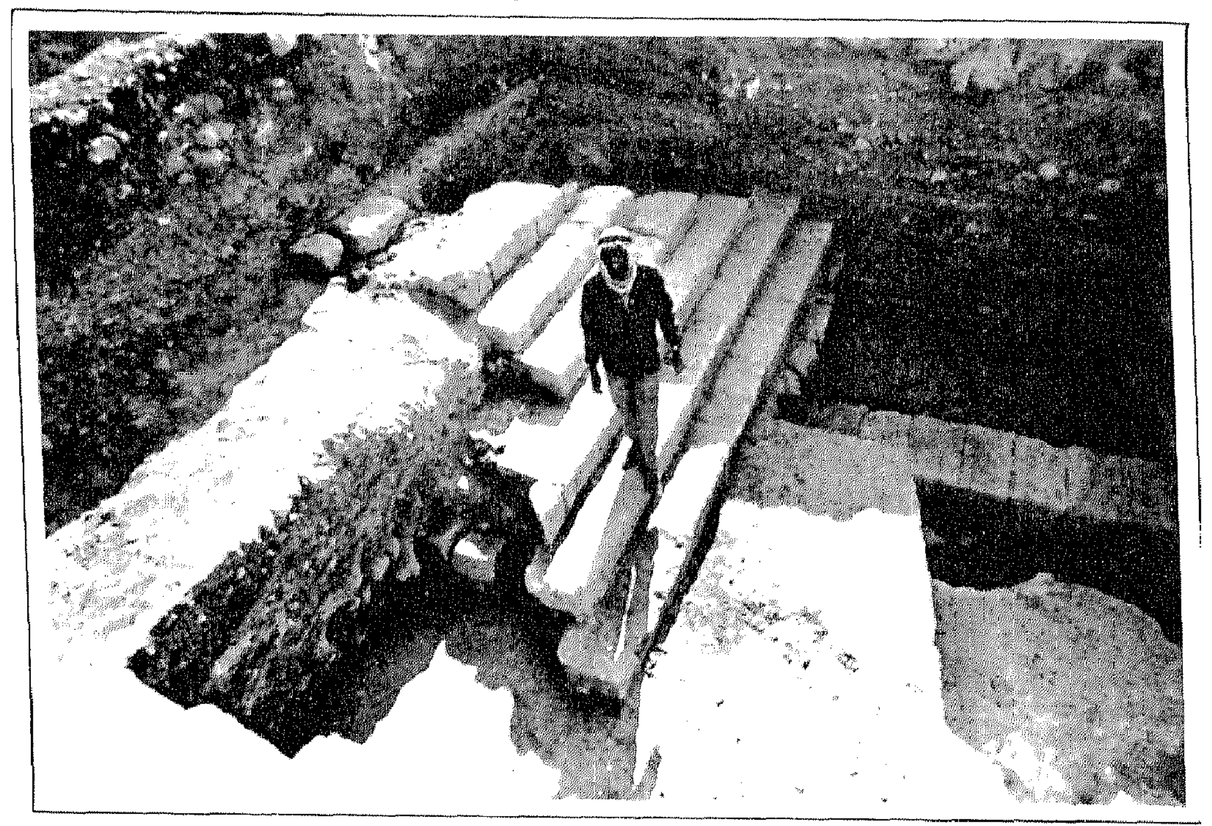
(٥٢) نفسه ٥ آذار (مارس) ١٩١٧.

(٤٣) نفسه ١٣ آذار (مــارس) ١٩١٧ ومذكرات الريحاني ص ٩٥.

(٥٤) الأهرام ١٥ نيسان (ابريل) ١٩١٧.

العُصور الحَجَرّية في الأردن

د. نقولا زيادة



عمليات نبش الآثار في تل حسبان قرب مادبا

● لو أتيح لنا أن نرتفع في الجو بحيث نتمكنُ من القاء نظرةٍ على الأردن بكامله، لاتضح لنا ان تضاريس هذا البلد الطبيعية بينةُ المعالم والحدود. ذلك اننا نرى أمامنا سلسلة من المرتفعات والهضاب، التي تحتضن سهولاً صغيرة. وان هذه المرتفعات والهضاب تتكون من ثلاثِ مناطقَ يفصل بين الواحدة والأخرى واد عميق يمتد من الشرق إلى الغرب. فمنطقةُ عجلون تنتهي جنوباً بوادي الزرقاء الذي يحمل مياهَه إلى نهر الأردن. وبين وادي الزرقاء ووادي الموجب، الذي قد يُنْزِلُ الرعبَ في الفرس والفارس، تمتد منطقةُ البلقاء. ويحصر وادي الموجب ووادي الحسا بينهما جزءاً من المنطقة الجنوبية التي تمتدُّ في الواقع إلى مشارف الحجاز.

والمناطق الثلاث تنحدر نحو الغرب انحداراً فجائياً إلى غور الأردن أو البحر الميت أو وادي عربة. أما في الجهة الشرقية فان انحدارها يكون تدريجياً، فتذوب في البادية.

ومع أنّ الأودية التي ذكرنا عميقة فانها لم تكن في يوم من الأيام حاجزاً في سبيل الاتصال بين الشمال والجنوب على الطريق المعروف بطريق الملك، والذي يمتد من إربد شمالاً إلى العقبة جنوباً مروراً بجرش وعمان أو السلط ومادبا والكرك والطفيلة والشوبك ووادي موسى والقويرة. وهذا الطريق كان، في الأساس، طريق التاجر.

وثمة طريق آخر يكاد يكون موازياً للطريق الأول، وهو الطريق الذي يتبع سيفَ البادية، من المفرق شمالاً إلى المدورة جنوباً، مروراً بالمشتى والقطرانة وجرف الدراويش ومعان. وهذه يصلها فرع من هذا الطريق بالعقبة، هذا الطريق الصحراوي كان يستعمل للتجارة أيضاً، لكن منذ أنْ ظهر الاسلام وانتشر في بلاد الشام، أصبحت لهذا الطريق أهمية خاصة لأنه كان درب الحاج الشامي. وجدير بالذكر انه لما بنيت سكة حديد الحجاز في مطلع هذا القرن اتبع هذا

الطريق في القسم الأكبر منها.

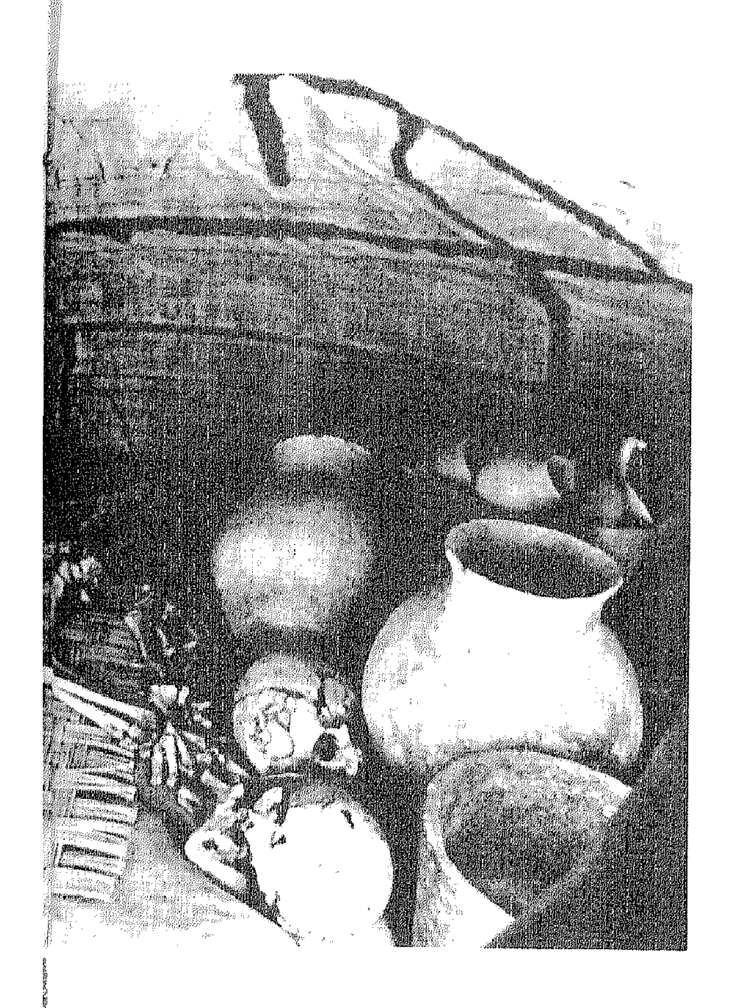
يضاف إلى هذا كله انه كانت ثمة طرق تقطع البلاد من الشرق إلى الغرب فتصلها بموانئ فلسطين ولبنان. كما كانت هناك طرق تمتد شرقاً في شمال وشرقاً في جنوب وتكون حلقات اتصال بين الأردن وانحاء البادية السورية والصحراء العربية.

والأردن من حيث الوضع العام هو الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد الشام. فهو مسرح صغير بالنسبة إلى المسرح الشامي الكبير. وكلاهما يكون جزءاً من مسرح أكبر هو منطقة الشرق الأوسط. في هذه المنطقة الواسعة تفاعلت الحضارات، وبذلك نال الأردن حصته من التأثر، كما قام بدوره في التأثير في هذه التفاعلات الحضارية.

انسان الأردن الأول:

وقد خلف الانسان آثاره في كل بقعة من بقاع الأردن. بعض هذه الآثار لا يزال ظاهراً على سطح الأرض، ولكن الكثير من آثار الانسان طمره الزمن تحت طبقات من التراب المتراكم من تهدّم الأبنية التي قامت دوراً بعد دور، وجيلا بعد جيل. وقد وصل الباحثون الى تقسيم للعصور التي وجد فيها الانسان في الأردن الى قسمين رئيسيين: الأول هو أزمنة ما قبل التاريخ، وهذه تمتد منذ أن بدأ الانسان يتخذ من الصوان أدوات يستعملها في حاجاته المختلفة، الى حول سنة ٣٠٠٠ ق.م. وفي هذه السنة تبدأ العصور التاريخية. ويبدو ان هذا الوقت يتفق مع اعتماد الانسان على البرونز لصنع آلاته، ويمتد العصر البرونزي الى حول سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد حين يبدأ العصر الحديدي.

كانت البادية مصدراً رئيسياً من مصادر العناصر البشرية التي زودت بلاد الشام اجيالاً بما يمكنها أن تقبله وتحتضنه، هذه هي الشعوب السامية، ولعل الكنعانيين أبعدها صيتاً وأكبرها اثراً، خاصة بتفرعاتهم المختلفة. وكان ثمة جماعات دخلت بلاد الشام من الشمال والشمال الشرقي، ولا بد ان فئات منها تسرّبت إلى الأردن. وفي العصور اللاحقة والواضحة نسبياً، وبسبب وجود النقوش والكتابات، نعرف انه جاءت بلاد الشام جماعات من الغرب عن طريق البحر كالفلسطينيين واليونان والرومان. وقد وصلت من هذه فئات إلى الأردن، وتركت آثارها في أرضه.

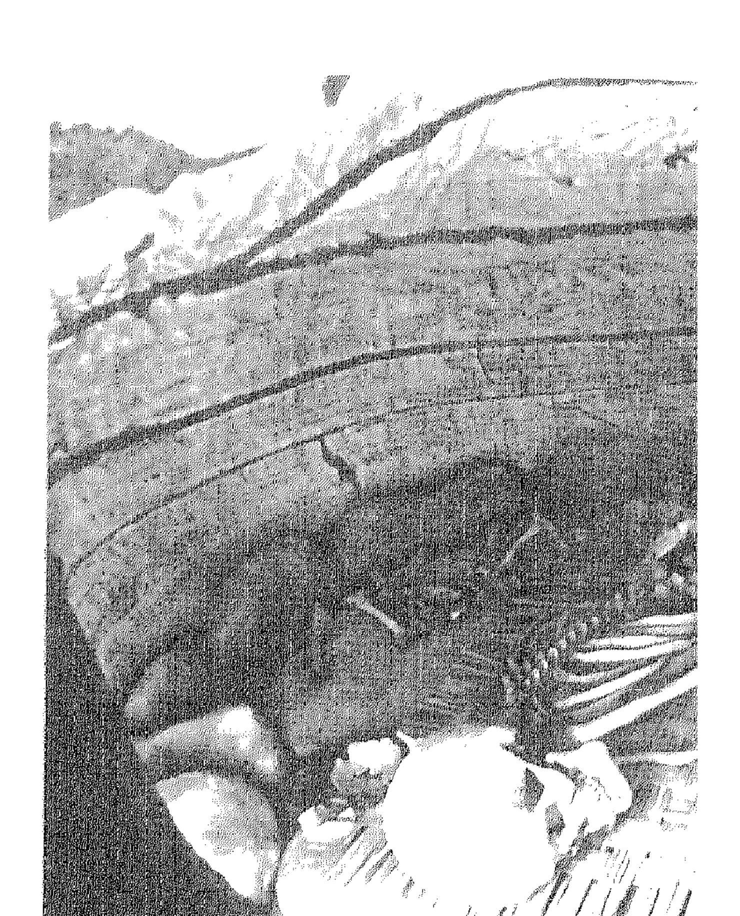


لكن العنصر الأهم الذي بدأ يدخل الأردن قبل ألفين وخمسمائة سنة على الأقل هو العنصر العربي. واقدم جماعة تاريخية هم الانباط وبعدهم جاء الغساسنة، ثم ازداد العدد واستمر بعد الفتح العربي.

حياة القرية وموتها:

صياد، قناص، راع - هذه الكلمات الثلاث تصف الانسان الأول الذي سكن ربوع بلاد الشام وغيرها، وطبعاً نزل الأردن. وقد كان رجلاً يطارد فريسته، فاذا ظفر بها أعمل أدواته الصوانية أو غيرها فيها مفيداً من كل ما يحصل عليه. فاللحم للأكل والجلدُ للكساء والعظام للأدوات الصغيرة. وهو إلى ذلك راع، بعد أن دجن بعض أصناف الحيوان، يسير مع قطعانه من مرتع كلأ إلى مرتع كلأ ومن مكان ماء إلى مكان آخر.

لكن هذا الانسان انتقل، حتى في عصور ما قبل التاريخ، بل حتى قبل ان يهتدي إلى صنع الفخار، إلى حياة لها من الاستقرار نصيب، وذلك حيث كان الماء متيسراً. صحيح انه كان بادئ بدء يكتفي بالاقامة الموسمية، لكنه بعد حين أقام باستمرار.



آثار تعود إلى ثلاثة آلاف سنة جنوب عمان

وهكذا فقد انتقل من حياة الصيد والقنص والرعاية إلى الزراعة. لكن هذا لا يعني ان الصياد والقناص والراعي انتهى امرهم. لقد ظل هؤلاء إلى جانب الزارع.

والمهم في الزراعة ان يتوصل الانسان إلى استغلال الأرض. وهذا لا يتم إلا اذا دجن الانسان بعض النبات. ويبدو، على ما يقول علماء الآثار، ان المكان الأول الذي دجن فيه الانسان القمح هو أريحا في غور الأردن ، ولعله دجن أصنافاً أخرى من الحبوب. وقد تم له ذلك قبل تسعة آلاف سنة.

والذي يسّر لأولئك الذين استقروا في أريحا ان يتابعوا أعمالهم الزراعية هو وفرة المياه هناك ، فكان المترتب على السكان ، عند إقامة القرية ، وهي مكان التجمع الأقدم عهداً في التاريخ ، أن ينظموا استغلال المياه بحيث تحمل في قني إلى حيث تتم الزراعة.

لكن الأغرب من ذلك ان تقوم قرى في أماكن لم تتوفر لها المياه على نحو ما توفرت لأريحا. ومثلنا على ذلك البيضا في جنوب الأردن ، على نحو ساعة ونصف الساعة مشياً على الأقدام إلى الشمال من البتراء. وتقع البيضا على ضفة واد موسمي هو سيل. ويبدو ان الانسان اتخذها أصلاً مكان يلجأ إليه مع صيده ليستمتع به ، لكنه لم يلبث ان استقر هناك.

وقد اظهرت أعمال الحفر هناك ان أربع قرى قد أقيمت الواحدة فوق الأخرى. والأقدم منها ، وهي التي في أعمق ما وصل إليه المنقبون ، أقيمت قبل نحو ثمانية آلاف سنة !

ان التل الذي تمت فيه أعمال الحفر طوله سبعون متراً وعرضه ستون ؛ والذي توصل إليه المنقبون الى الآن هو ان القرى الأربع القائمة واحدتها فوق الأخرى ، تمثل نماذج مختلفة من البناء ، مما قد يدل على ثقافات متنوعة ، ومن ثم يقوم ذلك دليلاً على تباين الموجات السكانية التي جاءتها. لكن يبدو أيضاً ان هذه الموجات السكانية لم تهبط المنطقة بهجوم مخرب ، بل لعل مجيئها كان تدريجياً ، واستيطانها كان فيه تجاور بين فئة قديمة وفئة جديدة. ومع ان القرية الرابعة ، السفلى ، قد أحرقت ، فليس ما يدل على ان ذلك تم بفعل هجوم تخريبي.

بين أريحا والبيضا :

والأبنية القائمة في القرية الرابعة ، والتي وصل الرفش والمعول إليها ، تبدو انها كانت مستطيلة ، ولها حيطان مقعرة قليلاً ، ويتوصل المرء إليها بالنزول ثلاث درجات أو ما يقارب ذلك. وجدران الغرف في هذه الأبنية جميلة البناء ، وقد استخدمت حجارة رملية لذلك. وكانت الأبنية تخص الأفراد وعائلاتهم ، أي انها لم تكن أبنية مشتركة.

وثمة الكثير من الشبه بين ثقافة سكان أريحا وسكان البيضا ؛ ولو ان هذه النواحي يبدو انها كانت أسبق في أريحا منها في البيضا. ولعلّ أهم ما لفت نظر الباحثين من نواحي التشابه هو دفن الموتى. فالميت كانت تقطع رأسه قبل الدفن ، هذا إذا كان قد بلغ الحلم. أما الأطفال فقد ظلت رؤوسهم في أماكنها. لكن هناك فرقاً حتى في هذا الأمر. ففي أريحا كان الميت ، بعد أن تقطع رأسه ، يدفن كما تأتى ، أما في البيضا فقد اتضح انه كان لكل ميت قبر خاص به.

وثمة تشابه في الأدوات الصوانية والحجارة المصقولة والأدوات العظمية والأرحاء أي الطواحين. كما ان الجدران مقصورة في أريحا وفي البيضا. ويمكن القول أيضا بأن البيوت المنفردة المستطيلة الشكل موجودة في

المكانين. لكن البيضا فيها شيء لم يعثر على مثيل له في أريحا الى الآن. وهو ممر طويل تقوم على جانبه غرف صغيرة جداً، لعلها كانت مصانع لانتاج الأدوات الصوانية والعظمية. وهذه موجودة في القرية الثالثة وفي القرية الثانية.

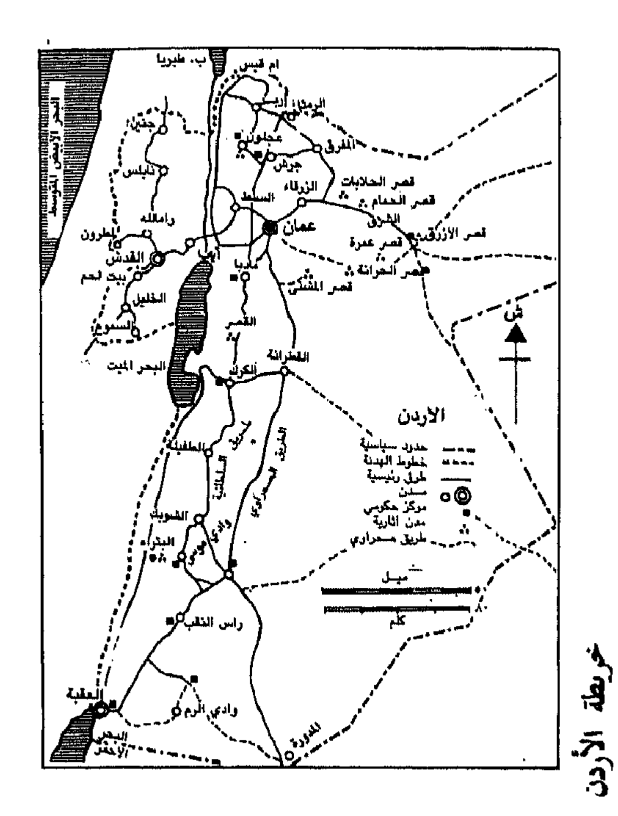
ان أريحا ظلت، منذ ان سكنها الانسان الأول مستفيداً من مائها، موزعاً هذا الماء على الأرض المحيطة بها، مركزاً للحياة، وانتقل بها من قرية إلى مدينة. أما البيضا فقد انتهى دورها قبل آلاف السنين، وأحدث آثار فيها، وهي قليلة، ترجع إلى أيام الانباط أي إلى قبل ألفين وخمسمئة سنة. فما هو السر في ذلك؟

مصادر المياه الدائمة:

ليست البيضا الوحيدة بين القرى الأولى التي قامت في الأردن وفلسطين وسورية ولبنان والتي انتهى أمرها قبل قرون. هذه القرى أكثر عدداً في المناطق الداخلية من بلاد الشام منها في السواحل والسهول. ونحن إذا سرنا من قصر الحلابات في الشمال الأردني إلى المدورة مثلاً، عبر مرتفعات الأردن وهضابه وسيف صحرائه، وجدنا عشرات من التلول التي كانت في يوم من الأيام مراكز لتجمع سكاني أو قرية. وقد كان السكان يحتفظون بكل ما يسقط من المطر في موسم الشتاء لينتفعوا به في أيام الجفاف. هذه التلول تخلى عنها سكانها، لأن أماكن أخرى جذبت إليها طريقاً كان يمر هنا، أو لأن موجة سكانية غاشمة هجمت على هذه القرى فدمرتها، ومرت بها. واذا دمرت السدود التي كانت تمنع انفلات الماء، وعجز القوم عن اصلاحها، عزت المياه وتفرّق القوم.

أما الأماكن التي كانت المياه فيها غزيرة، وأريحا مثل طيب على ذلك، فان الهجوم الخارجي أو التدمير بسبب الزلازل، أو أيّاً من هذه الأمور لا يحمل السكان على الرحيل. الماء والأرض موجودان والعمل يثمر حالاً، أو نسبياً على الأقل. وهكذا بقي السكان وتزايد عددهم، وانتقلوا تدريجاً بقريتهم إلى المدينة.

على انه حري بنا أن نذكر أن موت قرية في بقعة ما لم يكن يعني بالضرورة زوال معالم الحضارة من المنطقة. فموت قرية كان يتبعه، في الأغلب من الأحوال، حياة لقرية جديدة. فالعنصر البشري في هذه البقعة من الأرض كان يتجدد دمه بسبب ما كان



خريطة الأردن

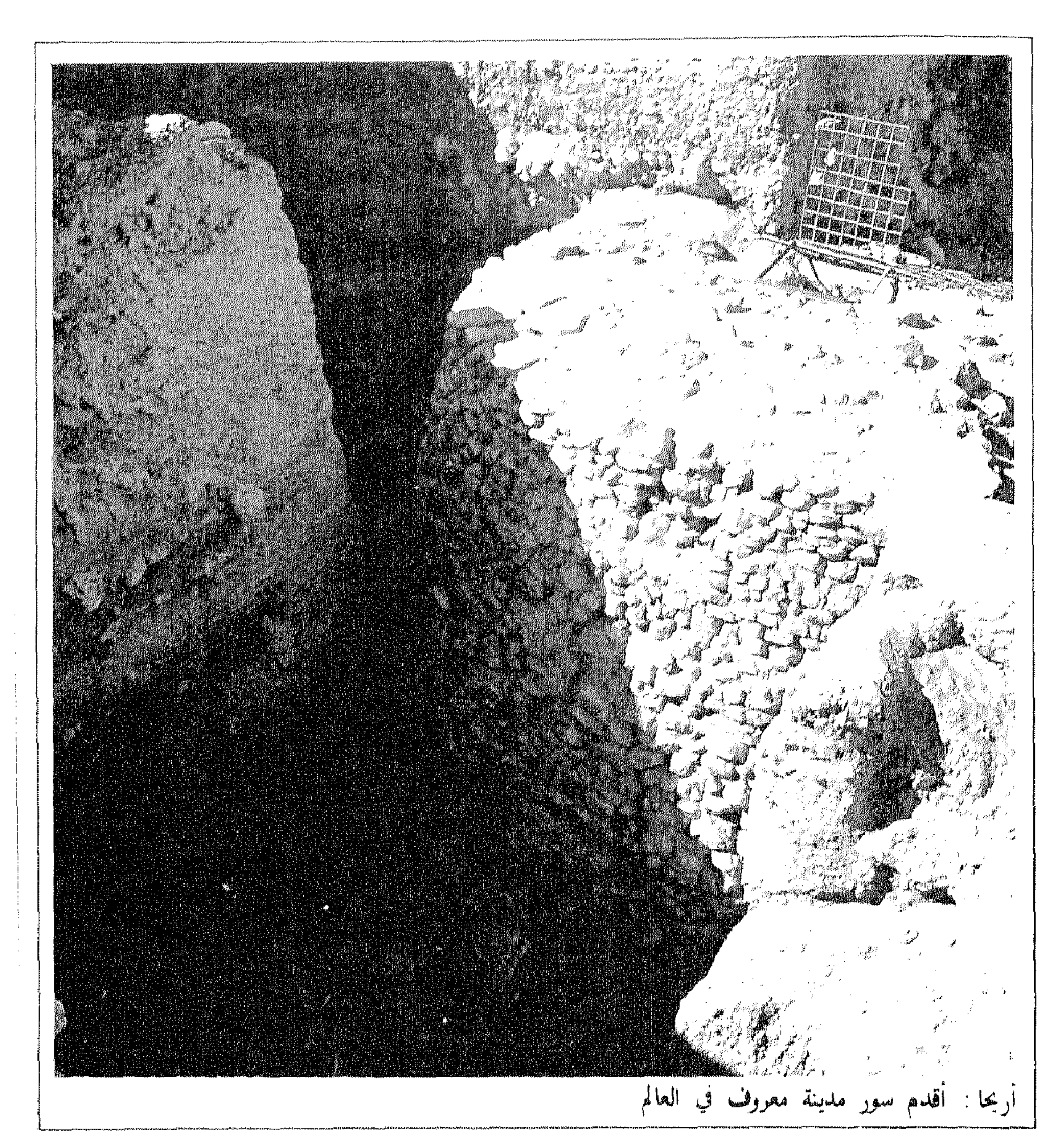
يفد إليه من رَفْد، وكان النشاط يتجدد تبعاً لذلك؛ والماء يجمع في مكان كما كان يجمع من قبل في مكان آخر.

المدن الأولى

أما عن الفترة الممتدة بين ٣٠٠٠ ق.م. و٩٠٠ ق.م، فيسمي الباحثون الجزء الأول منها، أي من نحو ٣٠٠٠ ق.م إلى ١٢٠٠ ق.م. العصر البرونزي بسبب ان الانسان غلب استعماله للبرونز لصنع أدواته وآلاته. أما في سنة ١٢٠٠ ق.م. فقد أخذ الحديد يحل محل البرونز في صناعة هذه الأشياء. ومع ان العصر الحديدي يمتد إلى فتوح الاسكندر لبلادنا، فاننا سنكتفي بالوقوف عند الدور الأول منه.

وهذه الفترة تبدأ معها ما نسميه بالعصور التاريخية والسبب الرئيسي لهذه التسمية هو ان الكتابة عرفت في المنطقة، وقد دونت بها أمور كثيرة على نحو ما أظهرته وثائق تل الحريري وحجر ميشع من قبل، ووثائق تل مروريخ أخيراً.

وحري بالذكر انه في هذه الفترة شهدت أرض الرافدين ومصر تقدماً زراعياً وصناعياً كبيرين جعلا من البلدين منطقتين مصدرتين، كما انهما احتاجتا إلى مواد خام كانت بلاد الشام غنية بها وأهمها الأخشاب. ومن ثم فقد كثر التبادل بين بلاد الرافدين والشام من جهة،



أريحا : أقدم سور مدينة معروف في العالم

وبين مصر وبلاد الشام من جهة ثانية ، وبين مصر وبلاد الرافدين ، عبر بلاد الشام من جهة ثالثة.

وفي أول هذه الفترة ظهر الكنعانيون على مسرح التاريخ الشامي ، كما ظهر العموريون في الألف الثاني ق.م. وقد أثر كل من هذين الشعبين في الأردن ، كما أثر في ربوع الشام كلها. ومع ان الهكسوس كان لهم تأثير كبير في سورية وفلسطين ، فان الاردن لم يقع تحت تأثيرهم إلا قليلاً.

تفرغ البنائين

ووجد الباحثون ان الصفة البارزة للحياة العامة في هذه الفترة هي ظهور المدن في بلاد الشام. وقد أظهر المسح الأثري للأردن أن قمم الهضاب الشرقية المحاذية للغور كان فيها مواقع كثيرة لها صفات المدن. وثمة أعمال حفر اخرى تمت في أماكن مثل جاوة في شمال البلاد وسحاب في وسطها وباب الزراع على لسان البحر الميت أدت إلى النتيجة نفسها. ومعنى هذا ان مفهوم المدينة قد تبلور على شكل لم يعرف في البلاد من قبل. وانتشرت المدن ودويلاتها في فلسطين والأردن في الألف الثالث قبل الميلاد.

ونحن عندما نتحدث عن المدن فاننا نركز اهتمامنا على أمور ثلاثة لارتباطها بالوجود المدني : وهي الأسوار والمعبد والماء. فالظاهرة الأساسية لوجود المدن هو أنها

أصبحت مسوّرة، وذلك للدفاع ضد الأعداء المهاجمين. ولا يقل أهمية عن ذلك وجود المعبد. ولهذين الأمرين دلالة اقتصادية اجتماعية خاصة. فسكان القرية القديمة كانوا يقومون بالانتاج الزراعي وحتى الصناعي على أساس أن كل فئة تنتج حاجاتها. لكن بناء الأسوار والمعابد كان معناه أن تتخصص فئة من سكان المدينة بذلك، وتعفى من العمل في الحقل أو المصنع، أي تقوم فئة تنفق عليها المدينة لتتمكن من انشاء ما تحتاجه من سور للدفاع ومعبد للعبادة.

وترتب على ذلك ان بناء الأسوار أصبح عملاً هاماً بالنسبة للمدينة. ومع انه كان أولاً يعتمد على النتوء والتكور في المواقع التي تقوم المدن عليها، فانه لم يلبث أن اصبح أمراً يعتمد على الهندسة. فالأساس أما صخر أو بناء صخري معين. والأسوار نفسها اما من الحجر الخام أو من الآجر القوي. وقد تقام الأبراج في الأماكن المختلفة من الأسوار لتقويتها وتسهيل الدفاع.

والمشكلة التي جابهت القوم هي مشكلة الحصول على الماء وخاصة في حالات الحصاد. ونحن إذا تابعنا نتائج التنقيب الأثري لوجدنا ان الأماكن التي كانت ينابيع المياه قريبة منها، حفر أهلوها نفقاً يوصلهم إلى الماء. ومن أطرف الأمثلة على ذلك تل المتسلم أو مجدو الواقعة بين حيفا وجنين. فقد كان ثمة نبع غزير يقع في المنحدر الجنوبي الغربي من المدينة. ومصدر الماء هذا ظل خارج السور. ولكننا نجد ان السكان حفروا حفرة عمقها خمسة وثلاثون متراً، أحيطت بدرج. وعند نهاية الحفرة نقر الصخر ثلاثة وستين متراً حتى وصل الناس إلى النبع. وختم على النبع من الخارج ببناء متين. وعندها أصبح بامكان نساء مجدو ان ينحدرون مع الدرج ثم يسرن في النفق إلى النبع، دون أن يتعرضن للخطر ودون أن يتمكن العدو من قطع الماء عن المدينة.

• أول السدود؟

ومع ما في هذا العمل من مهارة هندسية، وهو ليس الوحيد، فهناك مثل أكبر أهمية على الافادة من مياه الأمطار وحدها. في جاوا، الواقعة في شمال الأردن، والتي تعتبر منطقة بركانية بازلتية لا ينابيع فيها، قام السكان ببناء سد للافادة من هبة السماء. ويقع هذا الموقع الأثري الهام على مرتفع تبلغ مساحته حوالي أربعة عشر دونماً، بين وادي راجل في الشرق ووادي جاوا في الغرب. وقد بنى القوم سداً كبيراً في الوادي يبلغ ارتفاعه نحو عشرين متراً، وجمعوا خلفه ما يتساقط من مياه المطر، ثم سيّروا الماء في قنوات إلى المنطقة السكنية – بيوتها ومزارعها. ونحن نعرف أن البيضا، في جنوب الأردن، كانت فيها قرية مزدهرة في العصور السابقة، وذلك بسبب تجميع المياه من سيل عقلات، ولكن جاوا كان فيها، على حسب التقديرات بين أربعة آلاف وخمسة آلاف نسمة.

والمدن التي قامت في فلسطين والأردن في الفترة التي نتحدث عنها كثيرة. وعندنا، على سبيل المثال، في الأردن سحاب وجاوا وباب الذراع وتل المزار.

ويغلب على هذه المدن ان تقصر أرض البيوت فيها، وان تكون البيوت مستطيلة الشكل، وان تطلى الجدران بطبقات من الجبس التي تحمل أشكالاً ملونة. أما الموجودات بين الآثار فتشمل على مجموعات من الفخار وبعض أنواع من الحبوب مثل القمح والشعير. وقد جاء في تقرير مختصر عن حفريات جاوا ان طوبغرافية الموقع ساعدت على بناء تحصينات عثر على بعض أجزائها. وتتكون هذه التحصينات من جزأين بحيث تقسم المدينة إلى قسم علوي وقسم سفلي. وللقسم العلوي ثلاثة مداخل وأربعة ممرات جانبية. أما التحصينات المنخفضة والتابعة للقسم السفلي من المدينة فتتصل بالسد وبركة الماء. وقد كشف عن بقايا أبنية نصف مستديرة تشبه الأبراج.

أما قليلات الغسول، على لسان البحر الميت غربي الكرك، فقد عثر فيها على بناء مستطيل لعله كان مركزاً دينياً. وعثر في داخله على مجموعة من الأواني الفخارية ومجموعة هامة من الأشكال التي تستعمل غالباً في الطقوس الدينية.

وقد بنيت المدن في أكثر الحالات كيفما اتفق، فكانت شوارعها وأزقتها متعرجة ضيقة، وكانت المدن مزدحمة بالسكان بسبب ضيق رقعتها. ولم تكن للمدن ساحات عامة، فكانت الأعمال من لقاء وبيع وشراء تتم حول الباب الرئيسي للمدينة، أما خارجه أو داخله. ومن الأمثلة على ذلك تل الفارعة التي تعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وكانت هذه المدن في حرب تكاد تكون دائمة فيما بينها، وهذا على صغر رقعتها، التي قلما تجاوزت، مع القرى التابعة لها، خمسة وثلاثين كيلو متراً في قطرها ●

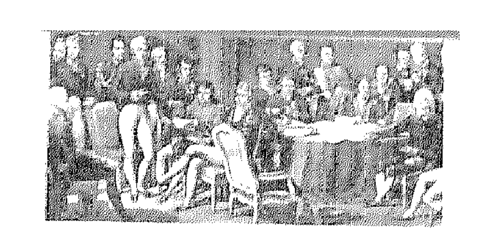
مؤتمر فيينا (١٨١٥)

المؤتمر الذي تقاسم أوروبا بعد هزيمة نابليون

سعيد كريدية



مؤتمر فيينا، ويبدو أعضاء الوفود يحيطون بمترنيخ.



● على أثر انهزام نابليون ونفيه إلى جزيرة إلبا، التأمت الدول المنتصرة في فينا عام ١٨١٥ لتعيد تنظيم خريطة أوروبا بعدما غيرتها المطامع النابليونية. وقد أختيرت فينا بالذات نظراً لموقعها الجغرافي في وسط أوروبا وتقديراً للدور الذي لعبته النمسا في محاربة فرنسا.

اشترك في هذا المؤتمر كل الدول الأوروبية، ولكن بروسيا وروسيا والنمسا وبريطانيا كان لها نفوذ ودور خاصان في توجيه أعمال وسياسة المؤتمر. والجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تشترك في هذا المؤتمر رغم سيطرتها على مناطق شاسعة في أوروبة الشرقية كالبلقان واليونان وبعض شطآن الأدريتيك وتحكمها بمضيقي البسفور والدردنيل. وكانت روسيا هي المعارض الأول لاشتراك العثمانيين في هذا المؤتمر كي تحصر خلافها مع السلطان في دائرة خاصة بعيدة عن أعين وآراء الدول الأخرى. وهناك سبب آخر كان القاسم المشترك بين كل الدول الأوروبية وهو إبعاد الأتراك المسلمين عن اجتماعات ومقررات أوروبا المسيحية.

ساد المؤتمر جو من الحقد والغل على المشاغب الأكبر فرنسا وعلى الآراء التقدمية التي بثها إبن الثورة الفرنسية في براعم أوروبا. وكانت كل دولة تريد حصة الأسد من قالب الحلوى الفرنسي. ولعل القضية البولندية - الساكسونية كانت من اعقد المسائل التي واجهت المؤتمرين. إذا كانت كل من روسيا وبروسيا يطالبان بضم بولندا للأولى وساكسونيا للثانية. لكن النمسا عارضت ذلك كي لا تقوي جارتيها فتصبحان خطراً عليها.

لكن ممثلي الدول الكبرى أدركوا خطورة الانشقاق والخلاف. لذلك قاموا بالتسوية ووضعوا مخططاً لأوروبا جديدة عائمة على مياه السياسة المحافظة والحقد على نابليون.

كيف تمت التسوية؟

وافق المؤتمر على اعلان بولندا دولة ملكية ذات كيان سياسي خاص وأن يمنح عرشها لقياصرة روسيا. ويعني ذلك ان روسيا فازت بالاستيلاء على بولندا بصورة غير مباشرة.

كما وافق المؤتمر كذلك على سلخ فنلندا عن السويد وضمها إلى روسيا.

وقد عوض للسويد عن فنلندا بضم النرويج إليها بعد سلخها عن الدانمارك التي أعطيت مقاطعتي الشلزفيك والهولشتاين الألمانيتين بدلاً عن النرويج.

أما بروسيا فقد أرضوها بنصف سكسونيا وعوضوها عن النصف الآخر الذي كانت تطالب به بمنحها منطقة بوزنان البولندية ومناطق واسعة على ضفتي نهر الراين.

وبقيت ساكسونيا دولة مصغرة تحتل مكانها على خارطة أوروبا الجديدة.

أما النمسا فقد سلخت عنها ممتلكاتها في الأراضي المنخفضة وضمت إلى هولندا. وقد عوضها عن ذلك منحها جمهورية البندقية التي كانت قبل حروب نابليون دولة مستقلة. واستردت النمسا أيضاً لومبرديا في ايطاليا وممتلكاتها السابقة على شاطئ دلماشيا كما استعادت نفوذها السياسي في بعض المناطق الأخرى.

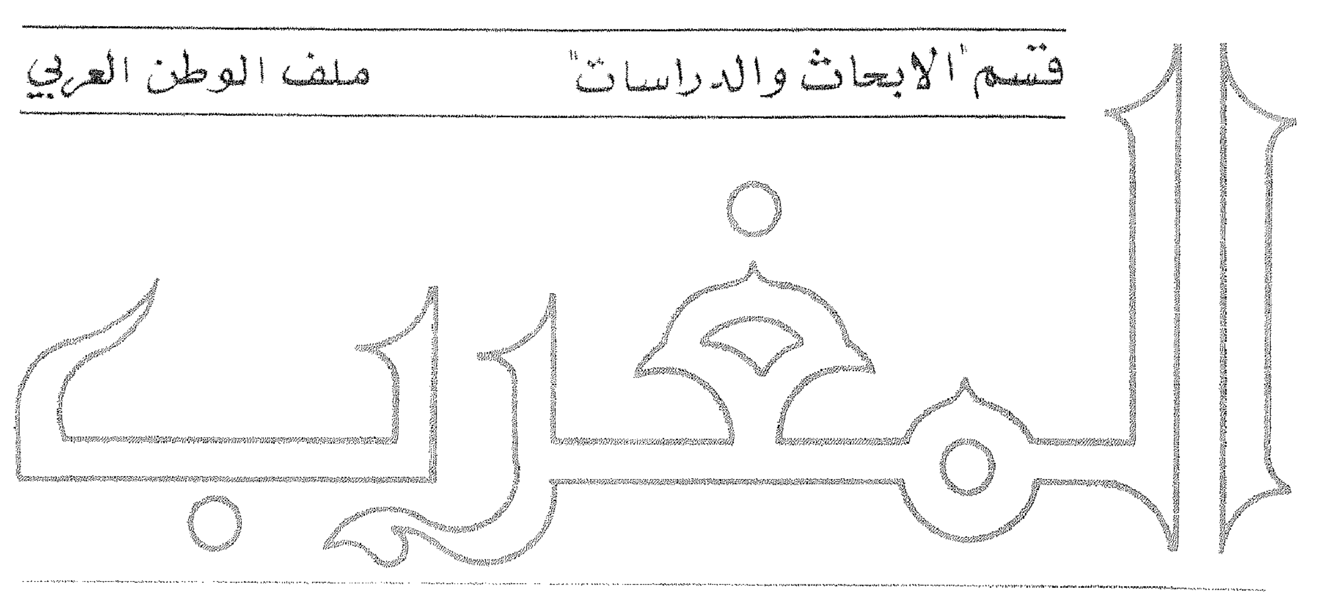
أما بريطانيا فلم يكن لها مطامع أقليمية في أوروبا. لذلك نالت حصتها عدداً من المواقع الاستراتيجية المهمة في أنحاء العالم مثل مستعمرة رأس الرجاء الصالح وجزيرة سيلان، وجزيرة مالطا وجزيرة هاليفولاند في بحر الشمال.

ومن الاجراءات التي قرروا اتخاذها أيضاً: انشاء مملكة الندرلند أو الأراضي المنخفضة والمؤلفة من هولندا وبلجيكا اللتين كانتا تابعتين للنمسا. كما أعلنوا استقلال سويسرا وتعاهدوا على احترام حيادها.

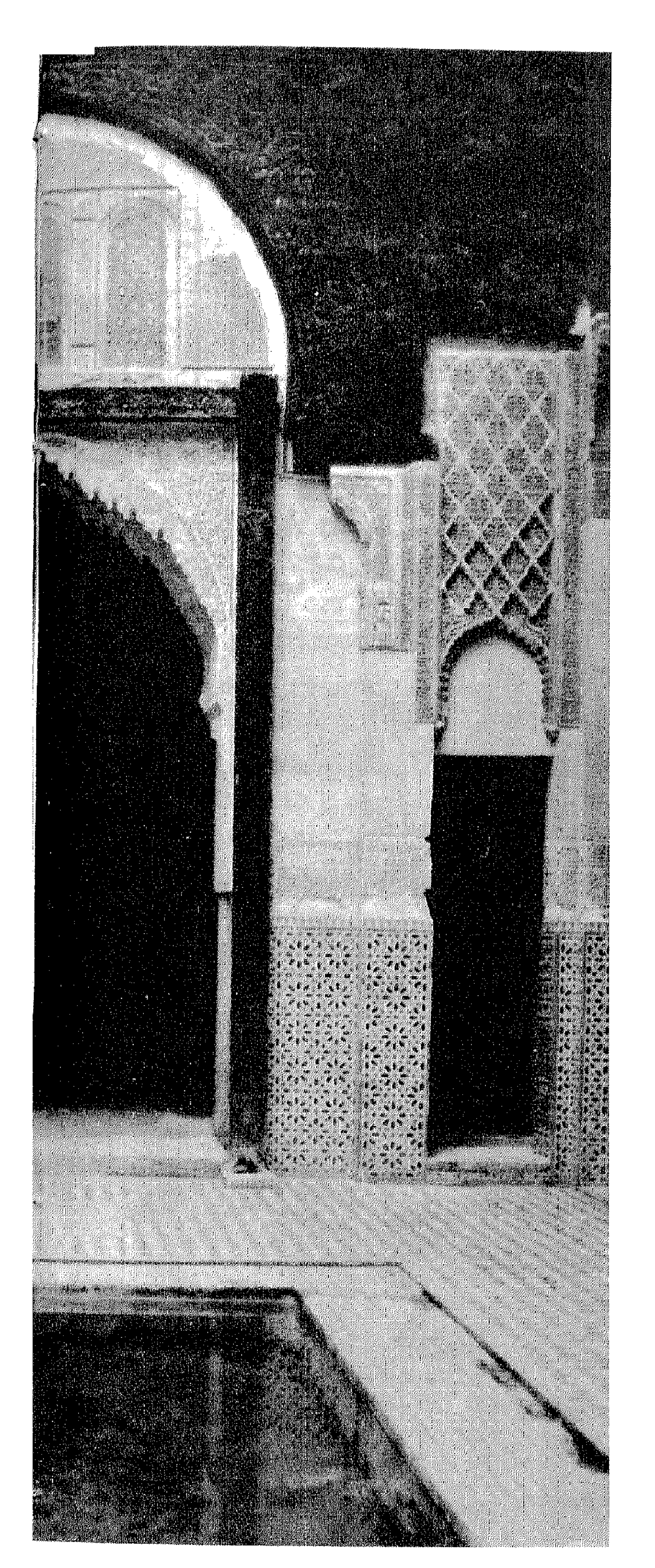
وفي اسبانيا أعيدت أسرة بوربون إلى الحكم بعد أن تربع فرديناند السابع على عرش اسبانيا.

أما ايطاليا فبقيت مشتتة غير متحدة إذ شكلت كل من سردينية ونابولي - صقلية وممتلكات الباب دولة صغيرة تتحكم بها الدول الكبرى.

هذه أهم التغيرات الأقليمية التي طرأت على خارطة أوروبا والعالم بعد مؤتمر فينا. ومن الملاحظ أن المؤتمرين عاملوا سكان أوروبا كأنهم أدوات تنتقل ملكيتها من شخص إلى شخص بسهولة. كما كبتوا جميع أماني الوطنيين القوميين وطعنوا كل الآراء التقدمية والتحريرية التي بشرت بها فرنسا. لذلك لم يشف هذا المؤتمر جراح أوروبا بل فتحها وجعل جبالها وسهولها عرضة لحروب قاسية ●



من عُقبة بن نافع الى عبد الكريم الخطابي



● في سنة ٦٨٢ (٦٢ – ٦٣ هـ)[1]، كان حشد عظيم من أشجع الفرسان يجر خلفه غمامة هائلة من الغبار، ويتقدم بثبات نحو المحيط الأطلسي.

ويصل حشد الفرسان إلى الشاطئ فيتوقف. ويتقدم منه رجل في أوائل الخمسينات من العمر، على قسمات وجهه مسحة من البطولة لا تتكرر. وينزل الرجل بفرسه إلى الماء حتى يصل منه إلى الخصر. ثم يرفع سيفه نحو السماء ويصرخ قائلاً:

«اللهم أشهد اني قد بلغت المجهود. ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك، حتى لا يعبد أحد سواك».

كان ذاك عقبة بن نافع الفهري، الرجل الذي قيض له أن يفتح المغرب الأقصى، ويثأر لقرطاجة من روما بعد ألف سنة، الرجل الذي اختط القيروان حاضرة الفتح العربي في المغرب، والذي مهد لتثبيت الفتح العربي، بعد ان ظل هذا الفتح عقوداً لا يخرج عن كونه عمليات كر وفر وجس نبض. الرجل الذي كان من أقداره أن يقص الجناح الغربي للامبراطورية البيزنطية، بعد ان كان جناحها الشرقي قد هيض.

ولا عجب، فعقبة هو ابن خالة عمرو بن العاص داهية العرب وقائدهم الفطن. وهو سليل الأيكة الفهرية التي كان لها سهم كبير في فتح المغرب والاندلس. وقد أمضى عمره في فتح المغرب منذ ان دخل برقة مع ابن خالته وهو في الرابعة عشرة، حتى استشهد في تهودة وهو في الخامسة والخمسين، في خراج واحة بسكرة الرائعة (الجزائر حالياً) في ما يعرف إلى اليوم بمقام «سيدي عقبة»: والذي هو في مكان متوسط من المغرب الكبير الذي كان مسرحاً لصولات عقبة.

واذا كان عقبة بن نافع هو أول من دخل المغرب الأقصى فاتحاً، فان الأمر لن يستتب للفاتحين على الفور. وستظل السيطرة على المغرب مداولة، بين العرب والبيزنطيين ومن أنضم من البربر المحليين إلى هذا المعسكر أو ذاك، منذ استشهاد عقبة سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ أو ٦٨٤م) وحتى تولية موسى بن نصير القائد الكبير، ولاية المغرب، عام ٨٩ هـ (٧٠٨م). هذا التابعي (اللخمي بالولاء) الذي قيل فيه انه لم يهزم له جيش قط. استطاع أن يقضي على المقاومة البيزنطية والحليفة، وان ينهي الثورات، فلا تأتي سنة ٩٢ هـ

(٧١١م) الا ويكون مولاه طارق بن زياد يدخل الأندلس مظفراً. فلماذا ثبت فتح المغرب مع موسى؟

لعل في التوقف عند شخصية أبي عبد الرحمن موسى بن نصير، فرصة لمعرفة العوامل الشخصية التي قيّضت له أن يثبت الفتح العربي للمغرب الأقصى نهائياً، الشيء الذي لم يقيض لعقبة. فعقبة كان مجاهداً بالسيف قبل كل شيء. ولم يسع كثيراً إلى تأليف قلوب زعماء القبائل في البلاد، فكان استشهاده على يد واحد منهم. لكن موسى، وهو القائد العسكري الصلب. كان في الوقت ذاته محنكاً وحذراً. يدل على حنكته استعماله زعماء البربر على البلاد المفتوحة، حتى كان مولاه طارق بن زياد (الذي ترجح المصادر أصله البربري) هو قائد جيوشه إلى فتح الاندلس. ويدل على حذره انه لم يجز إلى الاندلس إلا بعد حليفه يوليان القوطي، ثم قائده طريف بن مالك، ثم قائده طارق. ولعله ورث الاعتدال عن والده نصير الذي كان على حرس معاوية بن أبي سفيان. ورفض مقاتلة علي ابن أبي طالب.

هذان إذن هما صانعا عروبة المغرب الأولان: عقبة وموسى بن نصير.

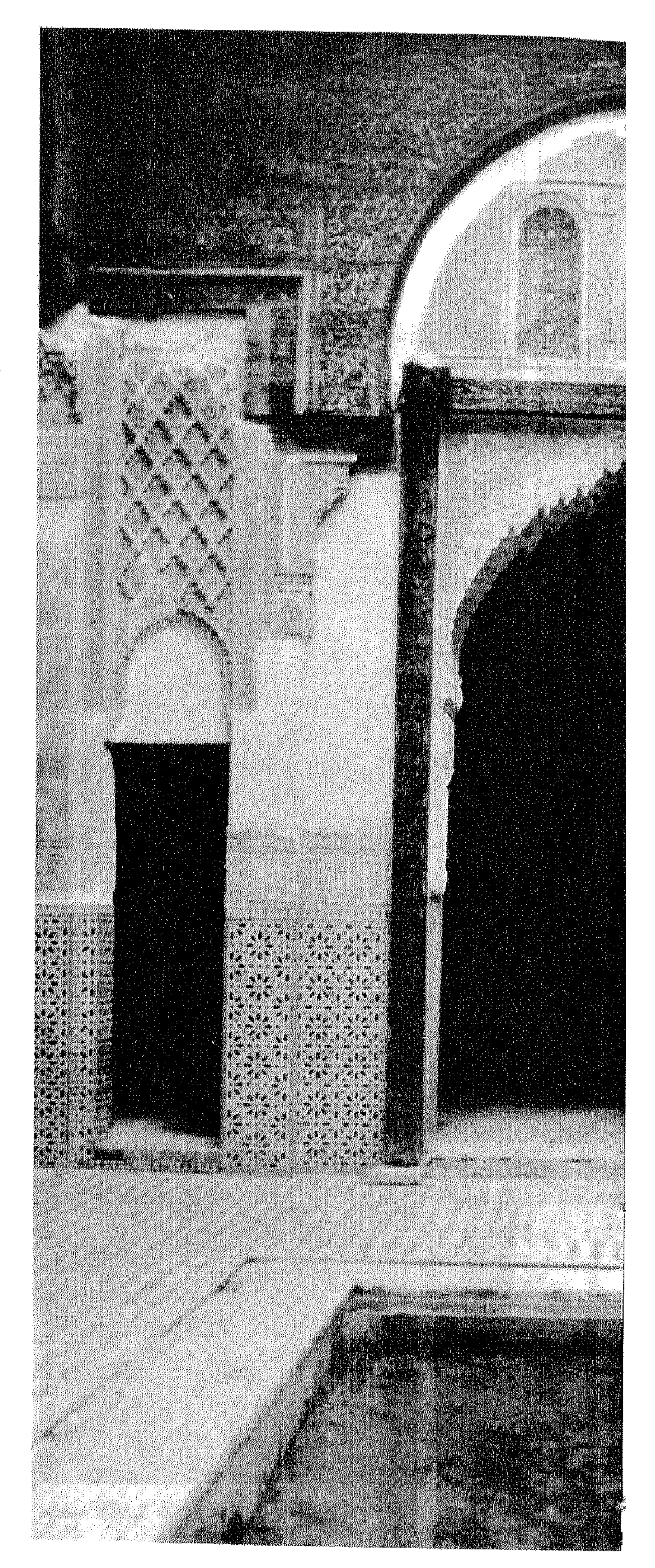
موقع استراتيجي

يتميز المغرب بموقع جغرافي ومناخي واستراتيجي جعله على مر التاريخ في موقع جيد من الاهتمامات الدولية في هذه المرحلة التاريخية أو تلك مما أثر تأثيراً بارزاً في حياة شعبه وتراثه الحضاري وتقاليده العربية والاسلامية الموروثة حتى يومنا هذا.

مساحته نصف مليون كيلومتر مربع ويسكنه الآن حوالي ١٧ مليون نسمة (احصاء ١٩٧٦) سيرتفع عددهم في العام ٢٠٠٠ إلى حوالى ٣٥ مليوناً (احصاءات البنك الدولي - ١٩٧٨). وقد لا يعرف كثير من العرب ان أعلى قمة جبلية عربية توجد في المغرب. إذ يرتفع جبل توبكال (أو طوبقال) إلى الجنوب من مدينة مراكش، إلى ٤١٦٥ متراً، ويتشح ببياض الثلوج. وفي جبال المغرب غابات أرز جميلة للغاية.

جناح مغربي قديم

نشأت أولى الحضارات المعروفة لدينا في البلاد التي تعرف اليوم بالمغرب على أيدي الفينيقيين منذ القرن



الحادي عشر قبل الميلاد. ومنذ دخول الرومان القدماء البلاد بدأت تشهد هذه المنطقة تحولات متسارعة على جميع الصعدان وخصوصاً من ناحية التطور غير المتجانس بين شمال البلاد وسواحلها (وطولها اليوم ١٧٠٠ كلم) ووسطها المكوّن من الجبال الوعرة التي شكلت دوماً الحاجز المنيع أمام التغلغل الأجنبي الاستعماري.

غير انه من الفريد أن الفتح الاسلامي قوبل بالترحاب والقبول السريع نسبياً فاعتنقت معظم قبائل البربر الدين الجديد كما اعتنقه العرب القادمون من المشرق وذلك لتعبيره عن انعتاقهم وتطلعهم إلى حياة عادلة. وقد ظل البربر منذئذ بالتالي، مع مواطنيهم العرب، مرهفين جداً تجاه كل ما يهدد هذه الحياة العادلة والكريمة التي أقامهم عليها الفتح الاسلامي.

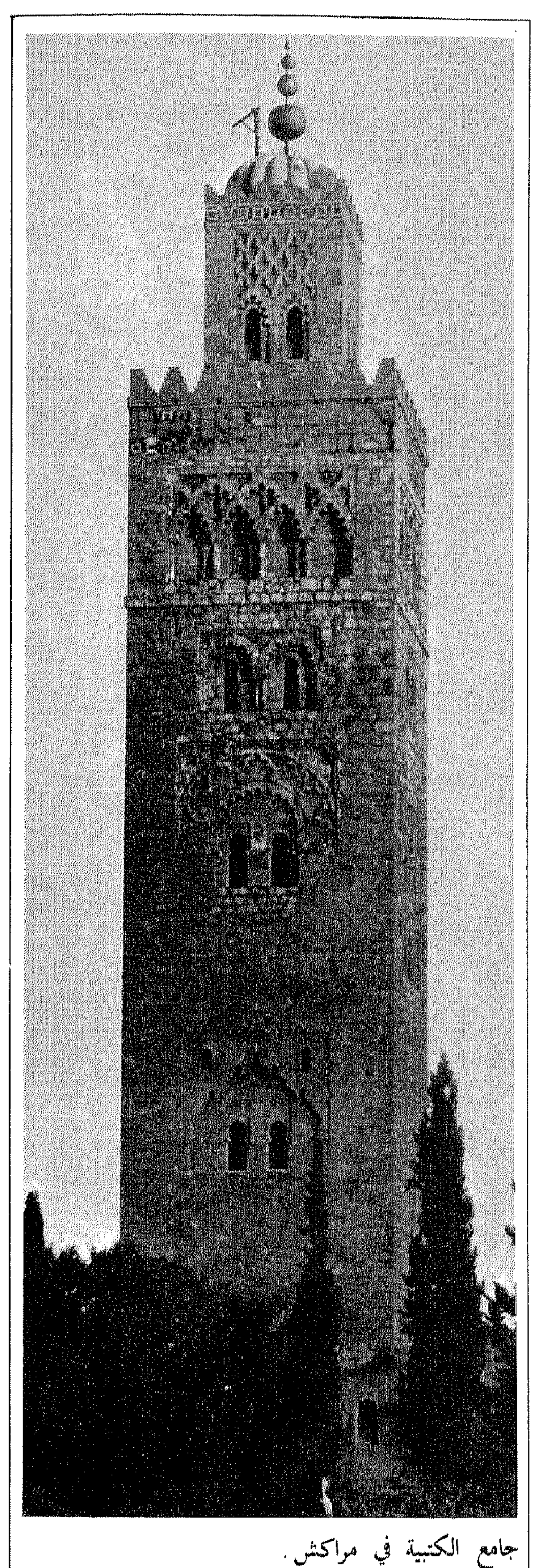
ولم يكن غريباً أن يدخل التاريخ ضمن أعظم رجالات المغرب، قائد يرجح أنه بربري هو طارق ابن زياد الفاتح العظيم.

رجالات في التاريخ المغربي

وطارق بن زياد من أشهر الشخصيات المغربية في التاريخ بلا شك. ويرجح المؤرخون انه من قبائل البربر. استعمله موسى بن نصير على طنجة عند فتحها، ومنها جاز إلى الاندلس، إلى الجبل المعروف باسمه حتى اليوم.

ويشك المؤرخون في أمرين مما عهد عنه في الروايات. فالمأثور أنه عندما جاز المضيق أحرق سفنه، وقال في المقاتلين خطبته الشهيرة: «أيها الناس، أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم»... الخ. وحرق السفن والخطبة مأثوران مشكوك فيهما. ذلك انهما لم يظهرا في ما تقدم من روايات تاريخية عن الاندلس. ولم تأت على ذكرهما إلا الروايات المتأخرة. وفي ذلك سبب للاعتقاد انهما من نسج الرواة والخيال الأدبي.

وواقعة حرق السفن شائعة في الأدب العسكري التاريخي، مثلما هي شائعة واقعة الطفل الذي يضعه ذووه في سل ويتركونه في النهر، فيأخذه أحدهم ليربيه (وقد يصدف ان يكون مربيه ملكاً). وللدلالة على شيوع قصة حرق السفن، ان الرواية الاسبانية تذكر مثلاً واقعة مشابهة عن فرنان كورتيث، فاتح المكسيك سنة ١٥٢٠م (٩٢٦ - ٩٢٧هـ).



جامع الكتبية في مراكش.

أما الخطبة فثمة سببان للشك فيها: الأول ان طارقاً كان على الأرجح من أصل بربري. ومن غير المرجح أن يكون قد اكتسب بهذه السرعة من البلاغة ما يجعله قادراً على قول خطبة كهذه. الثاني هو ان طارقاً، حتى لو كان من أصل عربي، فانه ما كان ليلقي في الجنود خطبة عربية بليغة، ومعظمهم من البربر.

من أسس فاس؟

ومن أهم شخصيات المغرب ادريس الأول وابنه ادريس الثاني مؤسسا فاس.

وتثير قصة تأسيس مدينة فاس مشكلة تاريخية بسبب خطأ وقع فيه على ما يبدو الجغرافي العربي الشهير ابن حوقل أو ناسخو كتابه. فهو أول من قال، على الأرجح ان ادريس الثاني بن ادريس الأول، هو الذي أسس هذه المدينة، فأحاط كلا من جزأيها بسور مستقل، يمر بينهما نهير شديد التيار.

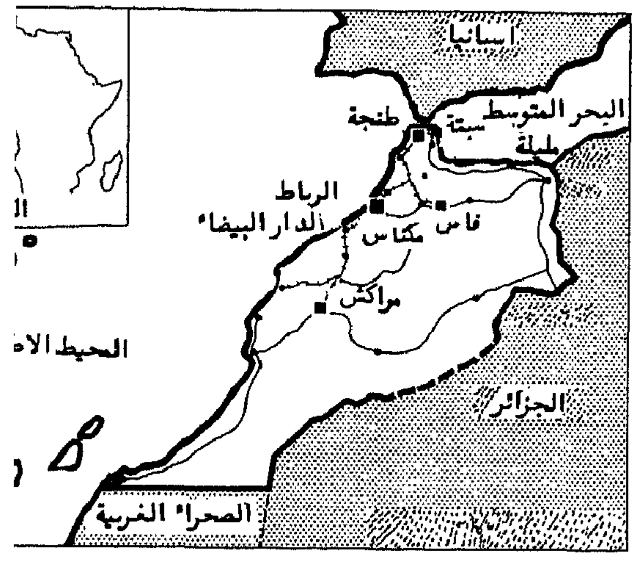
وقد خصص المؤرخ الفرنسي الكبير ليفي بروفنسال محاضرة لهذا الموضوع وخلص إلى نتائج قاطعة في هذا الشأن.

كانت فاس اذن من ضفتين: الغربية ضفة القرويين (سكنها جمع أحضروا من القيروان) والشرقية ضفة الاندلسيين (سكنها الاندلسيون الذين أبعدهم الحكم الربضي الأموي أمير الاندلس، بعد ثورة «الربض»، الحي الجنوبي من عاصمته قرطبة).

ولعل خطأ ابن حوقل أوقع من بعده في الخطأ ذاته. فقال المؤرخ والجغرافي الاندلسي أبو عبيد البكري ان ضفة الاندلسيين تأسست سنة ١٩٢ هـ (٨٠٨هـ) وضفة القرويين سنة ١٩٣ هـ. (٨٠٩م) في عهد ادريس الثاني.

والواقع ان هذا هو الاعتقاد السائد حالياً بين سكان فاس أنفسهم، وبين جمع من المؤرخين. أما ليفي بروفنسال فانه بدأ انطلاقاً من شكه في الحكمة من بناء مدينة واحدة، عاصمة لملك واحد، ضمن سورين منفصلين. وقيل في تبرير ذلك، ان ادريس الثاني أراد أن يفصل بين عناصر اجتماعية متباينة سكنت الضفتين. لكن هذه الحجة الضعيفة، والقراءة المتعمقة لكتاب «روض القرطاس» لابن أبي زرع المؤرخ، أوصلا ليفي بروفنسال إلى نتيجة أخرى.

فادريس الأول هو الذي أسس ضفة القرويين



خريطة المغرب

سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨-٧٨٩). وهي سنة تأسيس دولة الادارسة أيضاً. مما يضفي سبباً آخر لترجيح هذه الفرضية. وأسس ابنه ادريس الثاني ضفة الاندلسيين سنة ١٩٣ هـ. فكيف تحول تاريخ تأسيس الضفة الأولى من ١٧٢ إلى ١٩٢؟

يلاحظ ليفي بروفنسال ان الخطأ كان يمكن أن يبدأ خطأ في تصحيف الكلمتين سبعين وتسعين. فاهمال تنقيط الحروف، وهو ما كانت تجري عليه الكتابة العربية أولاً، لم يترك فارقاً كبيراً بين سبعين وتسعين.

ولم يكتف ليفي بروفنسال بهذه الحجة بل استعان بمجموعة من النقود الادريسية، بعضها كانت في حوزته (رحمه الله)، وبعضها في متحف مدينة خاركوف (إحدى مدن أوكرايينا في الاتحاد السوفياتي). فثمة درهم في هذا المتحف ضرب في فاس سنة ١٨٥ هـ (٨٠١م). وهذا يقطع بأن المدينة تأسست قبل سنة ١٩٢هـ (٨٠٨م)، ويثبت نظرية الخطأ في اعتماد التصحيف.

وقد توحدت فاس، فيما بعد، على يد مؤسس دولة المرابطين، يوسف بن تاشفين.

دولة المرابطين.. ومؤسسها

وابن تاشفين هو أيضاً من أهم الشخصيات التاريخية في المغرب. فهو مؤسس دولة «المرابطين» (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي)، التي شحنت المغرب الغربي بقوة جديدة بعد وهن، وقضت على الطوائف التي فرخت في العدوتين المغربية والاندلسية،

وتمكنت من رد الهجمات عن الاندلس، فمددت بقاء العرب في اسبانيا أربعة قرون أخرى. وإبن تاشفين عاش تسعين سنة، وحكم طوال خمسين سنة، ولم يدانه في ذلك غير أمير الاندلس عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموي لكن حكمه لم يمتد في البداية إلى المدى الذي اتخذه فيما بعد عند دخول المرابطين إلى الأندلس. ويوسف هو مؤسس مدينة مراكش.

واشتغل ابن تاشفين شخصياً في بناء المدينة. وكان متواضعاً متقشفاً متشدداً في الدين وفي استبعاد البدع. وقد بنى دولة المرابطين على عصبية قبائل صنهاجة البربرية، فسموا بالمرابطين لأنهم تتلمذوا على عبد الله بن ياسين في رباط أنشأه للدرس والعبادة في صحراء المغرب حيث تقيم قبيلة لمتونة الصنهاجية. ويتفق اللمتونيون على ان أصلهم حميري عربي من اليمن.

وحارب ابن تاشفين ملوك الطوائف في الاندلس، فوحدها بعد تفتت ثم انتصر على الفونسو السادس الذي كان قد تقدم شوطاً بعيداً، في موقعة الزلاقة، بعد حرب نفسية بدأها الفونسو بإنفاذ رسالة تهديد إلى يوسف، فكتب يوسف على قفاها رده: «أما بعد فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك. والسلام على من اتبع الهدى»، ثم أضاف بيتاً لأبي الطيب المتنبي:

ولا كتب إلا المشرفية والقنا
ولا رسل إلا بالخميس العرمرم

وقد جرت المعركة بينهما في الزلاقة (ساغراخاس الاسبانية اليوم) في ١٢ رجب ٤٧٩ هـ (٢٣ تشرين الأول - أوكتوبر ١٠٨٦ م). وبدأ الفونسو هجومه وقت صلاة ظهر الجمعة، في مسعى واضح للمباغتة. غير ان المباغتة كانت من نصيبه فالجيوش التي هاجمها كانت جيوشاً أندلسية. فلما التحم الجيشان أسرع يوسف بجيوش المرابطين إلى محاصرة الاسبان. ولا شك في ان الجمال التي كان يحارب عليها المرابطون وأصوات طبولهم الهائلة (التي أخذوها عن الزنوج) أحدثت رعباً في خيول العدو، فجمحت براكبيها واضطربت الصفوف. ويقول المستشرق اشباخ إنه لو استطاع ابن تاشفين ان يستغل انتصاره المدوي هذا لكانت أوروبا تدين بالاسلام ولرأينا القرآن يدرس في جامعات موسكو وبرلين ولندن وباريس.

وثمة دولة أخرى لم يؤسسها صنهاجي هذه المرة بل مصمودي هو محمد بن تومرت، الذي خلفه تلميذه عبد المؤمن الموحدي وأبناؤه. تلك هي دولة الموحدين (١٠٥٥م - ١٢٦٩م) التي ازدهرت في عصرها زوايا المتصوفين ومدارس الفقه. وكانت هذه الزوايا تتحول إلى مراكز عسكرية ورباطات، فور قيام غزوات ومخاطر من جانب الاسبان.

وقد نشأت في المشرق ظواهر مماثلة تماماً. إذ قامت مدارس الصوفيين وزواياهم بدور تجمعات دفاعية لمواجهة مخاطر المغول والصليبيين أيضاً، وذلك في الفترة ذاتها. وهذا تأكيد واضح على وحدة الوطن العربي في ذلك الوقت وتشابه المناخات الفكرية والسياسية فيه، من أقصاه إلى أقصاه.

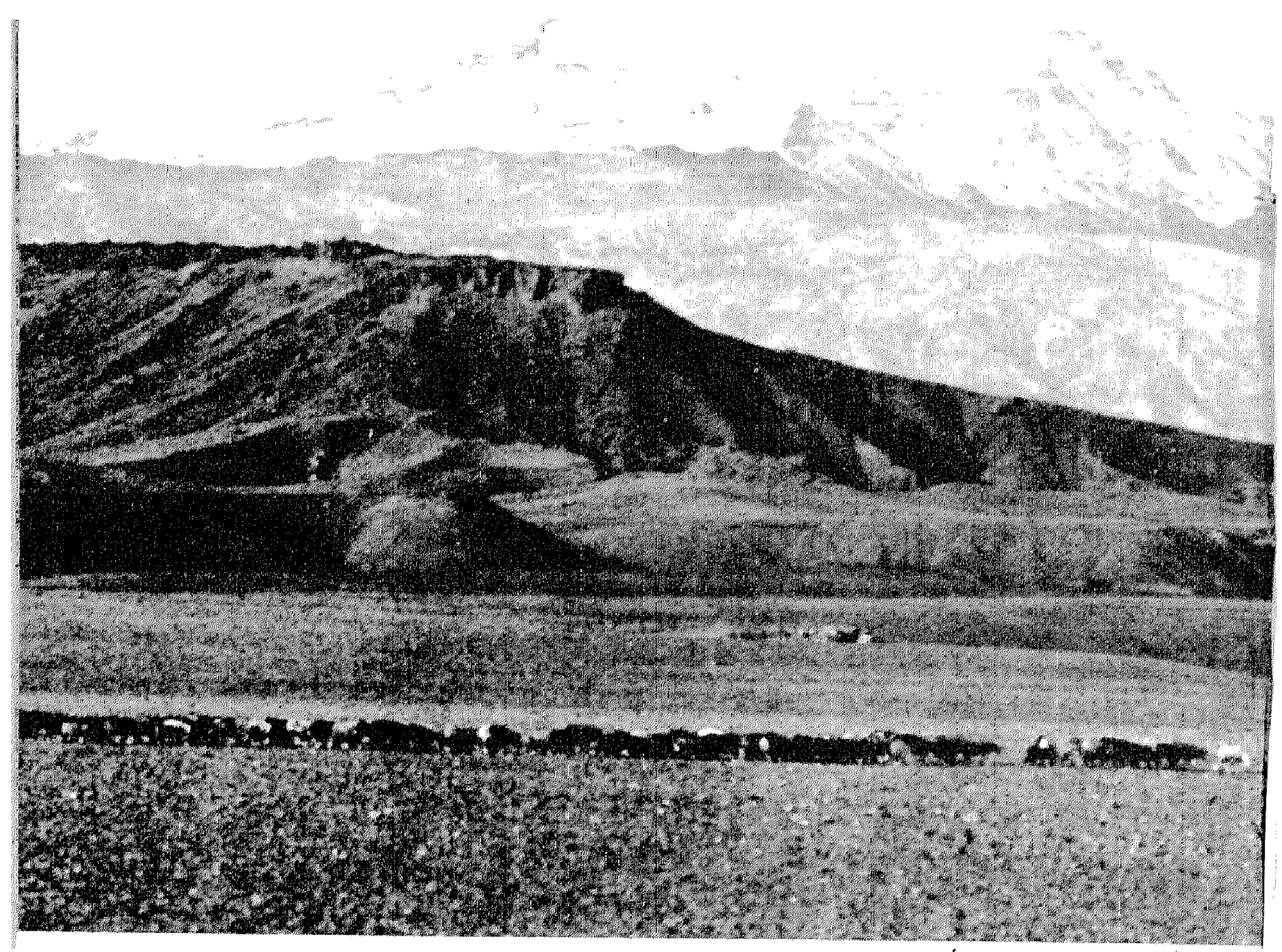
الاستعمار الحديث

واستمر الحكم الاسلامي في المغرب حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي. ثم بدأ البرتغاليون يتوسعون في سيطرتهم على البلاد وخصوصاً في المواقع الساحلية الاستراتيجية فيها. ومنذ ذلك الحين دخل المغرب مداولة، في دوامة التنافس الغريب بين اسبانيا وفرنسا والبرتغال خصوصاً ثم بينها وتركيا العثمانية.

وبين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين سيطر البرتغاليون على ساحل مراكش الغربي وسيطر الأسبان على مواقع استراتيجية على الساحل الشمالي بينما تمركز الانكليز في طنجة.

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي تمَّ إجلاء البرتغاليين عن مراكش بينما استفاد الأسبان من الظروف السياسية الجديدة للتوسع في بقية أنحاء المغرب مما أدى إلى سلسلة حروب أهمها «الحرب الاسبانية - المراكشية» (١٨٥٩ - ١٨٦٠م) التي أدت إلى سقوط «تطوان» في يد الغزاة. وسميت هذه الحرب «معركة تطوان».

أما فرنسا فان غزواتها للمغرب بدأت منذ أواسط القرن التاسع عشر. وأبرز المعارك التي شنتها هي «معركة ايسلي» (١٨٤٤م) التي استخدمت القوات الفرنسية فيها أكثر من عشرة آلاف رجل و١٦ مدفعاً. وكانت القوات الفرنسية المتمركزة على الحدود الجزائرية - المغربية عبرت الحدود إلى المغرب لملاحقة أنصار البطل الجزائري عبد القادر والمجاهدين معه من المغاربة. واستطاعت هذه القوات الغازية ان تتغلب على المغاربة وتشلّ حركتهم في الرابع عشر من شهر آب (أغسطس) ١٨٤٤.



أعلى الجبال العربية : الأطلس.

وبعد الحرب العظمى الأولى بدأت حرب الفرنسيين ضد البربر. واستمرت حتى العام ١٩٣٤ تاريخ احتلال تندوف وهو الموقع الأخير الذي كان بيد المقاومين المغاربة. واحتلال تندوف أمّن اتصال القوات الفرنسية في المغرب بالقوات الفرنسية في موريتانيا.

ولكن إذا كانت فرنسا نجحت في إخماد ثورة المقاومين سنة ١٩٣٤م فذلك لأنها تحالفت مع حليفة قوية يومها هي اسبانيا إضافة إلى نجاحها في تأليب أبناء الوطن بعضهم على البعض.

على ان انتصار الاستعمار المؤقت لم يتحقق بسهولة. فقد عرفت اسبانيا أشد الهزائم على رغم تفوقها العسكري كماً ونوعاً. وذلك على يد المناضل الكبير عبد الكريم الخطابي قائد «معارك الريف» (١٩٢٠ - ١٩٢٦م).

موقعة أنوال العظيمة

ومن الجولات العسكرية التي انتصر فيها الخطابي نشير إلى معركة «أنوال» الشهيرة (آب - أغسطس - ١٩٢١م) التي اشترك فيها الخطابي نفسه بمؤازرة مجموعات صغيرة من المقاومين المغاربة. ورغم تفوق الغزاة الاسبان بقيادة الجنرال سيلفستر استطاع الثوار الانتصار في هذه المعركة. وفقدت القوات الاسبانية ١٥ ألف رجل بين قتيل وأسير ومفقود وثلاثين أل ب بندقية وكميات كبيرة من الذخيرة والامدادات والمؤن. وكانت هذه الأسلحة والمعدات أهم تسليح وصل يومها إلى أيدي الثوار. وقد ساعدهم هذا على مواصلة مقاومة الغزاة طوال أكثر من ١٣ سنة.

كان الخطابي من أجرأ المجاهدين في تاريخ المغرب الحديث وكان شعاره المأثور: «إذا لم تذهب لملاقاة عدوك فسوف يأتي هو لملاقاتك».

وبدلاً من أن يشرب الجنرال سيلفستر «الشاي في دار عبد الكريم» كما وعد. شربت اسبانيا الكأس التي بدلت مجرى تاريخها الحديث على حد قول تشارلز بتري في كتابه «تاريخ اسبانيا»: «ولو ان هذه الكارثة لم تقع لما قامت الدكتاتورية. ولو ان الدكتاتورية لم تقم لما قامت الجمهورية الثانية. وبالتالي ما وقعت الحرب

(الأهلية الأسبانية ١٩٣٦ - ١٩٣٩).

أهم الآثار المغربية

يرجع تاريخ وجود الانسان في المغرب إلى أبعد العصور قبل التاريخ. وتشهد على ذلك الآثار الحجرية التي عثر عليها في مراكز عديدة من البلاد.

وشهدت بلاد المغرب تعاقب حضارات كثيرة تركت كل منها بعضاً من آثارها حتى اليوم: فالآثار الفينيقية ما زالت ظاهرة إلى الآن في المدن الساحلية ولا سيا في طنجة والعرائش والرباط وتاموسيده وبناسة ووليلي.

أما الآثار الرومانية فان معظمها اندثر على مر التاريخ ولم يبق بارزاً منها اليوم سوى بعض الآثار في تطوان وفي وليلي. في هذه المدينة الأخيرة توجد أطلال رومانية عمرها ٢٠٠٠ سنة منها خصوصاً «الكابيتول» (قلعة رومانية) و«البازليك» (قاعة المحكمة والمعاملات)...

أما في شالة فيوجد موقع أثري كامل يعرف بالحي الروماني.

اضافة إلى ذلك نجد العديد من الآثار البرتغالية في مدينة أصيلة (وكانت قاعدة حربية برتغالية في القرن ١٦ م. السادس عشر الميلادي ويجاورها ما يعرف «بقصر الريسوني»)، والجديدة (وكانت في القرن السادس عشر الميلادي مركزاً استراتيجياً. وفيها حتى اليوم كنائس وابراج عظيمة ومنها برج المطفية) وأسفي (حيث يوجد الحصن الكبير والقصر الذي يسمى دار البحر).

ولعل أبرز الآثار الموجودة في أروع حلة لها اليوم في المغرب هي الآثار العربية الاسلامية المنتشرة في عواصم البلاد التاريخية الأربع: مراكش والرباط ومكناس وفاس.

في مراكش التي أسسها «المرابطون» في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي نجد:

- جامع «الكتبية» الذي تعلوه صومعة مشهورة ارتفاعها ٦٠ متراً ووشح أعلاها بثلاث رمانات ذهبية ذكر ان زوجة المنصور أذابت حليها لصنعها.
- قصر «الباهيه» الذي بني في القرن التاسع عشر الميلادي وهو كان المقر الصيفي للحاكم العسكري الفرنسي الماريشال ليوتي خلال العقد الثاني من القرن الحالي.
- مدرسة ابن يوسف المعروفة بمحرابها البديع.
- مقبرة السعديين وهي آية من آيات الفن المعماري العربي.

وأهم أثر تاريخي في الرباط التي بنيت سنة ١١٥٠م هو جامع حسّان وصومعته الشامخة بشكلها المعماري البيزنطي.

وفي مكناس التي تأسست في القرن العاشر الميلادي نجد اثر باب المنصور الضخم الذي يحتفظ إلى اليوم برونقته والوانه.

امّا مدينة فاس، اقدم العواصم في المغرب، وتحيط بها اليوم اسوار، فيها اربعة ابواب، فتضم مجموعة ضخمة من الآثار المهمة:

- جامعة القرويين.
- مدرسة ابن عنان بساعاتها الشمسية الغريبة ومصاريع ابوابها النحاسية.
- مسجد الاندلس وبابه الضخم.
- زاوية المولى ادريس.
- مقابر المرينيين.

وزراء مغاربة

«من اعظم فصول تاريخ المغرب العربي، ذلك الحشد من العباقرة الذين تولوا الوزارة فيه. على رأسهم ابن طفيل، ابو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي المولود سنة ١١٠١م (٤٩٧هـ)، او سنة ١١٠٦م (٥٠٢هـ)، والذي كان وزيراً لدى الخليفة الموحدي اي يعقوب بن عبد المؤمن. وهو صاحب «رسالة حي بن يقظان» الفلسفية.

«وقد كان ابن طفيل واسطة ابن رشد إلى هذا الخليفة المغربي سنة ١١٦٩م (٥٦٧هـ). وابو الوليد محمد ابن رشد المولود في قرطبة سنة ١١٢٦م (٥٢٣هـ)، هو اعظم من ترجم وطور فلسفة ارسطو. كما أن افضل مؤلفاته في الطب كتاب «الكليات في الطب»،

←

يضم فصولاً في التشريح وعلم وظائف الأعضاء وتشخيص المرض والعقاقير وغيرها ونظريته الفلسفية مهّدت لنظرية النشوء والتطور. وقد أصبح ابن رشد بعد وفاته (سنة ١١٩٨ - ٥٩٧هـ) محرّك الفكر الأوروبي على مدى ثلاثة قرون، فأخذ عنه دانتي وتوما الاكويني وغيرهما الكثير. وقد كان وزيراً لابن أبي يعقوب الخليفة الموحدي.

• أما عبد الرحمن بن محمد بن خلـــــدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) (١٣٣٢ - ١٤٠٦ق.م) فهو أشهر أن يعرّف. وهو الذي ينسبون إليه اليوم أنه مؤسس ثلاثة من علوم عصرنا: التاريخ، والاجتماع، والبيئة. وقد تولى الوزارة في فاس في عهد دولة بني مرين، وتقلّب من ولاء إلى ولاء في فترة تميزت بالاضطراب السياسي. وترك لنا في أثناء أربع سنوات من الاعتزال والصفاء الذهني «مقدمته» التي هي واحد من أعظم نتاجات الفكر البشري.

المصادر

- د. أحمد مختار العبادي: «في تاريخ المغرب والأندلس»، دار النهضة العربية، بيروت - ١٩٧٨.
- د. حسن ابراهيم حسن: «تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي»، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٧، ط٧.
- ليفي بروفنسال: «الاسلام في المغرب والأندلس»، مجموعة محاضرات، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة - ١٩٥٦.
- عبد الواحد المراكشي: «المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، من سلسلة «المختار من التراث العربي»، رقم ٦، دمشق ١٩٧٨.
- المختار من التراث العربي: «من مقدمة ابن خلدون»، دمشق - ١٩٧٨.
- د. عبد الله العروي: «تاريخ المغرب، محاولة في التركيب»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - ١٩٧٧.
- ابن طفيل الأندلسي: «رسالة حي بن يقظان»، تحقيق د. محمد عزت نصر الله، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت - ١٩٧٠.
- د. فيليب حتي: «صانعو التاريخ العربي»، دار الثقافة، بيروت - ١٩٦٩.
- د. فيليب حتي: «تاريخ العرب»، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت - ١٩٥٣.
- روبرت فورنو: «عبد الكريم أمير الريف»، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق - من غير تاريخ محدد.
- قـاموس لاروس الموسوعي، لاروس، باريس.



(١) المصادر والمراجع المستعان بها لكتابة المقال لا تحدّد دائماً اليوم والشهر، لذلك أوردنا احتمالين للسنة الهجرية. وعندما يتكرر هذا الأمر في المقال فللسبب المذكور ذاته أو لكون الحدث المعني قد امتدّ على شهور.

حريق القاهرة

أحمد مرتضى المراغي

في الذكرى السابعة والعشرين للثورة المصرية بقيادة جمال عبد الناصر، في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢، تنشر «تاريخ العرب والعالم»، هذا المقال لأحمد مرتضى المراغي عن حريق القاهرة، الذي اعتبر واحداً من الأحداث الأبرز التي كانت بشيراً للثورة. وفي المقال يقدم المراغي وجهة نظره في الجهة التي تقف وراء الحريق أو التي تمنع حدوثه. ومن الواضح أنه يعتبر الحريق نتيجة للتضارب بين الملك والحكومة. على أنه لا بد من التحفظ في أخذ كل ما في المقال من وقائع، نظراً الى أن المراغي هو من وزراء ما قبل ١٩٥٢، وهو يقلل من دور النقمة الشعبية في الحادثة.

● في يوم ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢، كنت في منزلي جالساً أحتسي قدحاً من الشاي. ويقع منزلي في حي زيزينيا بالاسكندرية، وكنت محافظاً لها، وكنت أشعر بشيء من الحمّى. فتناولت مع الشاي حبة من الاسبرين وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء والى جانبي جهاز الراديو. ففتحته لاستمع الى أخبار محطة لندن. وأول خبر سمعته هو وقوع اصطدام بين قوات الشرطة المصرية أو ما يسمى «بلوك» النظام وبين القوات الانجليزية في مدينة الاسماعيلية على قناة السويس. وأن القوات الانجليزية بدباباتها ومدافعها الثقيلة اشتبكت مع رجال الشرطة المسلحين ببنادق من طراز رمنغتون القديمة. وهاجمت ثكنتهم، وأنهم لم يستسلموا الا بعد أن نفدت ذخيرتهم ودكت القنابل ثكنتهم وبلغ عدد ضحاياهم ستين جندياً.

قمت من مقعدي وأخذت أذرع الغرفة ذهاباً وجيئة ثم عدت وجلست أفكر. أن في الاسكندرية عدداً كبيراً من قوات «بلوك» النظام. وحين يسمعون قتل زملائهم فلن يهدأ لهم بال. والجماهير لا بد أن تقوم بتظاهرات واحتجاجات عنيفة والاسكندرية هي مركز تموين النفط. وفيها أكبر مخازن الغلال والقطن والاخشاب. وفيها أكبر مستودعات البترول. فاذا اندست عناصر التخريب بين الجماهير وأشعلت النار في تلك المستودعات فإن الأمر سينقلب الى كارثة محققة، ولن تجد مصر حاجتها من الغلال والأخشاب والبترول لمدة طويلة، وتفقد مصر ثروة عام من محصول القطن.

قررت أن أعمل فوراً. وطلبت قائد الشرطة اللواء يسري قمحه وقلت له بما سمعته وما فكرت فيه.

قال: وماذا نستطيع أن نعمل؟

قلت: ضع الاسكندرية من منتصف الليل تحت نظام طوارىء، وأرسل جنود البوليس يحتلون فوراً جميع المستودعات وصهاريج البترول. واجمع جنود «بلوك» النظام، وأرسلهم بلوريات شاحنات عند الفجر الى صحراء العامرية.

وكانت لهم علاوة طوارىء لم تصرف. فأمرت بفتح الخزينة الساعة الحادية عشرة مساء رغم احتجاج الرئيس المالي المسؤول عنها، بأن الصرف لا يكون الا بأمر وزارة المالية. وأعطيته تعهداً بمسؤوليتي، واتصلت بقائد حامية الاسكندرية. وطلبت منه المساعدة بانزال جنود الجيش لحراسة المرافق العامة كالماء والكهرباء

والبريد ومحطة السكك الحديدية. فاتصل بدوره بقائد الجيش الذي تردد كثيراً في الموافقة ثم وافق أخيراً. وطلبت من قائد الشرطة وقف وتفتيش القطار القادم من القاهرة الى الاسكندرية، والذي يبرح القاهرة الساعة الحادية عشرة مساء ويصل الى الاسكندرية الساعة الخامسة صباحاً. ولم يخب ظني، فقد كان في القطار حوالي خمسين شخصاً يحملون مواد حارقة ومعاول ومتفجرات. فقبضت عليهم الشرطة. وفي صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) كان الجيش والبوليس يشددان قبضتها على جميع المرافق بالاسكندرية، وجنود «بلوك» النظام كانوا في العامرية يمضون عند البحر وقتاً سعيداً ويشترون بالنقود المتوفرة معهم ما ترغب فيه نفوسهم، وظلت الحالة هادئة بالاسكندرية ولكن ما الذي جرى في القاهرة ذلك اليوم.

حريق القاهرة الكبير

في الساعة العاشرة من صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ أتصل بي تلفونياً وزير الداخلية فؤاد سراج الدين وسألني: كيف الحال في الاسكندرية؟

فقلت له: انه هادىء إلا بعض تظاهرات في الجامعة وبعض المدارس.

قال: وهل «بلوك» النظام مشترك فيها.

قلت: لا.

فقال: غريبة.

وسكت.

لفت نظري قول غريبة. فسألته: هل «بلوك» النظام في القاهرة يشترك في المظاهرات؟

قال: نعم.

قلت: وكيف الحال عندك؟

قال: توجد تظاهرات ولكن الموقف هادىء على وجه العموم. وانتهى الحديث التلفوني. وبعد ساعة بدأت الأنباء تتوارد من القاهرة. فندق شبرد الكبير يحترق والنزلاء يرمون بأنفسهم أو يرمى بهم من الادوار العليا للنجاة من الحريق. المتاجر الكبرى التي يملكها الأجانب تحترق وينهب ما فيها. البنوك تنهب من خزائنها الأموال وتلقى من النوافذ، ويملأ الناهبون جيوبهم والجماهير تقتسم الأموال. نادي الترف الانجليزي يهاجم ويضرب الانجليز داخله ويقتلون. بعض دور السينما قد احترقت. الملاهي والمقاهي تشتعل فيها النيران والارتيستات يلقى ببعضهن من أعلى الملهى الى الشارع. وأخذت الاشاعات تتضخم وتهول. الى أن انتهت بأن تصورنا أن القاهرة قد احترقت عن بكرة أبيها. لقد ظل حريق القاهرة الى الآن سراً مطوياً. ولعلي استطيع ان القي الكثير من الضوء على هذا الحريق—حريق القاهرة يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢.

في مساء ٢٧، أقال الملك فاروق حكومة النحاس وعهد الى علي ماهر بتشكيل الوزارة. وضمني علي ماهر الى وزارته، وعينت وزيراً للداخلية. وكانت هذه أول مرة أدخل فيها الوزارة. كان أول واجب علي أن أقوم به هو معرفة الفاعلين والمدبرين لحريق القاهرة. وعقدت اجتماعاً مع وكلاء الوزارة ومدير الأمن العام ومدير البوليس وحكمدار القاهرة ورئيس القسم السياسي فيها وناقشتهم. ولدهشتي العميقة لم أجد واحداً منهم يحدد بالضبط من الذي أحرق القاهرة.

قلت: لا شك أن الذي أحرق القاهرة ليس فرداً واحداً، ولكنها جماعة أو جماعات منظمة أعدت عدتها لذلك. ولا يمكن أن تكون أدوات الحرق وكسر الخزائن والأبواب وجدت أمام المتاجر والفنادق والبنوك جاهزة.

قالوا: لا شك.

قلت: ألم يكن عندكم علم من قبل بتلك الاستعدادات.

سكتوا. وهنا قال حكمدار القاهرة:

لقد فوجئنا باشتراك قوات «بلوك» النظام في المظاهرات وفقدنا عنصراً أساسياً لحفظ الأمن.

قلت: ألم يكن في تقديركم أن يحدث ذلك.

قال: لم يخطر ذلك في بالنا.

قلت: هل أخرج من الاجتماع بنتيجة أنكم لا تعرفون من الذي أحرق القاهرة؟ اني اذا خرجت بهذه النتيجة فسوف لا تكون في مصلحة أي منكم، لأن معنى ذلك أنكم مقصرون في أداء واجبكم، وأنا لا أطمئن الى العمل مع القصر. لقد أطلعت منذ ساعة على تقارير طلبتها عن حريق القاهرة قبل أن أجمعكم وأناقشكم. أتعرفون ماذا وجدت في هذه التقارير؟ لا شيء غير دفتر أحوال المطافئ عن زمان كل حريق وقيام عربة المطافئ اليه. فمثلاً الساعة الحادية عشرة ذهبنا الى إطفاء حريق مقهى بديعة ومنعنا المتظاهرون



تظاهرة جامعة «فؤاد الأول» في الجيزة الساعة ١٠ صباحاً.

من استعمال خراطيم المياه. الساعة الثانية عشرة ذهبنا لاطفاء حريق فندق شبرد وحطم المتظاهرون عربة الحريق. إني أسألكم الآن: من هم هؤلاء المتظاهرون؟ وهل قبضتم على واحد منهم؟ إني أطلب معرفة المحرضين والفاعلين ولم أطلب معرفة جهود رجال الاطفاء.

قال الحكمدار: نحن في سبيل التحقيق. وقد قبضنا على عدد ممن اشتركوا في الحريق.

قلت: وما عددهم؟

قال: حوالي العشرين شخصاً.

قلت: هل يعقل أن يكون عدد من اشتركوا لم يتجاوز العشرين؟

قال: نحن في سبيل التحقيق. وسنقدم تقريراً. أرجو إمهالنا اسبوعاً.

قلت: سأعطيكم هذه المهلة. والى اللقاء.

بعد أسبوع تقدم إليّ رئيس المباحث بتقرير تلفيق تهمة مدعم برسم هندسي لبعض أحياء القاهرة، وأسهم تشير الى مواقع بعض الأبنية يصحبه رسم آخر عن قنابل حارقة ومعاول لم أر لها مثيلاً من قبل. أما التقرير فيشير الى الرسوم الهندسية لاحياء القاهرة والأماكن المشار اليها بأسهم لحرقها. والصور الموجودة في الرسم الآخر للقنابل الحارقة والمعاول وجدت جميعها في دار الحزب الاشتراكي، وكان يسمى من قبل «مصر الفتاة». وهذا الحزب يرئسه المحامي احمد حسين. وقد صب التقرير الاتهام بحريق القاهرة على الحزب الاشتراكي. أخذت أقلب الرسمين. فوجدت الافتعال واضحاً فيهما. إنهما مطبوعان بالزنكوغراف، ولما كنت أعرف خبيراً أجنبياً في الزنكوغراف، كنت أستعين به حين كنت مديراً للأمن العام استدعيته. ولما اطلع على الرسم قال أن رسم الزنكوغراف لا يمكن أن يكون قد تم بواسطة خبير في المباني أو في المفرقعات. وأنه يظن أنه يعرف المطبعة التي طُبع فيها الرسمان. وهي مطبعة بسيطة جداً في زقاق من حي الفجالة بالقاهرة.

طلبت من النائب العام أن يتولى التحقيق فارسل أحد وكلاء النيابة الى المطبعة. وأجرى تحقيقاً انتهى الى أن أحد ضباط القسم السياسي في محافظة القاهرة هو الذي حمل الرسم الى المطبعة وطبع هذه الوثيقة الزائفة.

اصبح السؤال الكبير هو: لماذا يريد السياسي أن يلقي التهمة على الحزب الاشتراكي وحده؟ لقد أمرت حكومة الوفد نتيجة تقارير البوليس بالقبض على أحمد حسين وعدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكي. وكانت من قبل قد عطلت صحيفة الحزب الاشتراكي.

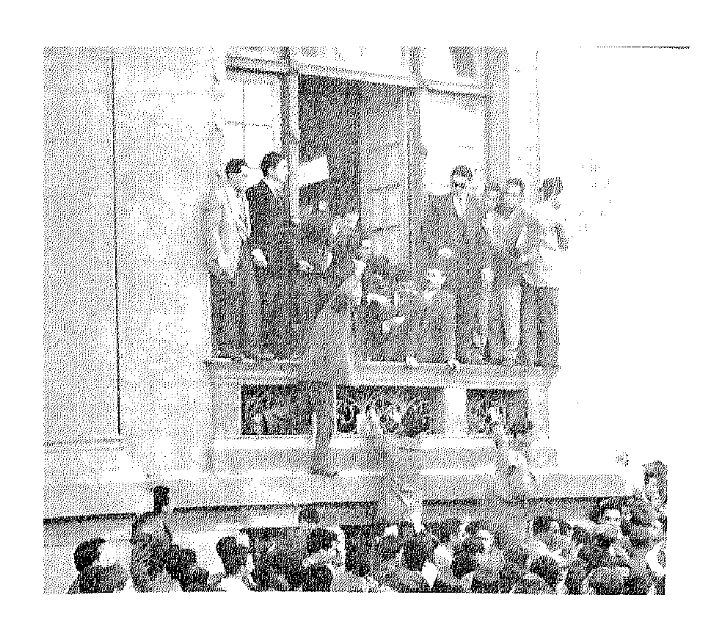
وفر أحمد حسين ولم يستطع البوليس القبض عليه.

أني أعلم من سابق خبرتي أن الحزب الاشتراكي لا يستطيع وحده ولا تسمح إمكاناته بالقيام بعمل

كبير، ويحتاج الى تنظيم دقيق وكبير لمثل حريق القاهرة. لقد جرّ أحمد حسين الى نفسه هذا الاتهام لأنه كان ينادي دائماً بأنه لا بد من التدمير حتى يتم الاصلاح. وقد وجدت عند مبنى دار الحزب الاشتراكي بواسطة النيابة أوراق استند اليها رجال المباحث في اتهام أحمد حسين. منها لافتات مكتوب عليها (يدير هذا المحل الانجليز الذين يقتلون إخوانكم بالاسماعيلية). ومنشور بأن سينما مترو يديرها يهودي اسمه جوستان زينك. وأن سينما ريفولي انجليزية (وقد جرت محاولة احراقها يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير). وخطاب بالانجليزية من سكرتير نادي الترف الانجليزي الى بكر أحمد عبد الجواد يطلب منه إقامة خيام وفرش سجاجيد بالنادي، ومرفق بعقد اتفاق بالانجليزية والعربية بين المستر توماس السكرتير وبكر عبد الجواد الذي هو عضو في الحزب الاشتراكي. وموضع الغرابة في هذا الاتفاق أنه يجري بين سكرتير نادي «الترف» الانجليزي وعضو في الحزب الاشتراكي. ويظل من محفوظات الحزب، في حين أن الحزب يندد بالذين يتعاقدون مع الانجليز. كما وجد خطاب موجه الى رئيس الحزب. بأن بنك باركليز يعمل كقلم مخابرات للسلطات الانجليزية. ولكن جماعات أخرى كالاخوان المسلمين ينادون بمثل هذا. وتذكرت أن الأخوان المسلمين كانوا قد قاموا قبل حريق القاهرة باشعال بضعة حرائق في ملاهي الهرم. والغريب انه لم يقبض على أحد منهم رغم أن الأخوان أعلنوا أنهم هم الذين قاموا بذلك. فهل كانت حرائق ملاهي الهرم بروفة لحريق القاهرة.

ومن الذي قام بحريق القاهرة؟

نشرت وزارة الداخلية بياناً مساء ٢٥ كانون الثاني (يناير) أعلنت فيه أن القوات البريطانية اعتدت في منطقة القنال على رجال البوليس في المنطقة، وقتلت خمسين منهم وجرحت ثمانين واسرت ما يقارب الألف من جنود وضباط. وكان لهذه الاذاعة أثر فعال في نفوس رجال البوليس وبلوكات النظام، وخصوصاً الشعب بطبقاته كافة. وكان الأثر ما يأتي: في الساعة الثانية من صباح ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٢ وقع في مطار فاروق عصيان خطير من عمال المطار والجنود والمواطنين المدنيين حول أربع طائرات تابعة لشركة الخطوط الجوية البريطانية، إعلاناً لاحتجاجهم على



حادث الاسماعيلية. فمنعوا نزول الركاب وعددهم يفوق المائة ومنعوا تزويد الطائرات بالوقود. وتمكنت السلطات من أنهاء العصيان. وأقلعت الطائرات. وفي الساعة السادسة من الصباح تمرد جنود بلوكات نظام الاقاليم وخرجوا يحملون أسلحتهم وساروا من العباسية حيث توجد معسكراتهم الى الأزهر، حيث انضم اليهم الطلبة، فالى ميدان محمد علي حيث انضم اليهم بعض عساكر الجيش، فالى ميدان الاسماعيلية في الجيزة حيث جامعة فؤاد، واختلطوا بالطلبة وأخذوا يطلقون النار في الهواء. وقام عمال العنابر والسكك الحديدية بمظاهرة واندمجوا مع الطلبة وبلوكات النظام ثم توجهوا الى مجلس الوزراء. وخرج وزير الشؤون الاجتماعية عبد الفتاح حسن الى الشرفة ليخطب فيهم محاولاً تهدئتهم. صرخوا في وجهه وهتفوا بسقوطه. وقام أحد ضباط الجيش واسمه محمد علي عبد الخالق وكان محمولاً على أعناق المتظاهرين وصاح:

أيها الوزير. الجيش للحرب. لماذا لم ترسلونا الى القتال؟

زاد حماس المتظاهرين. وحاول عبد الفتاح حسن تهدئتهم فأخذ يهتف بسقوط الانجليز والاستعمار. اندفعت الجماهير في الشوارع وقد اندست فيها عناصر الشغب والتدمير تحمل القنابل الحارقة والمعاول، فحرقوا كازينو الاوبرا في الساعة الثانية عشرة وسينما ريفولي الساعة الواحدة والربع، وفي الواحدة والنصف تم حريق واتلاف سينما مترو ومحل اكسلسيور وفورد والترف كلوب وسينما ديانا ومطعم الكورسول، وفي الثالثة والدقيقة الثلاثين أتلف وأحرق ونهب بنك باركليز وشركات سيارات كايروموتورز وكرايزلر ثم سينما متروبول ومحلات شيكوريل وغروبي. وكانت بعض الحرائق مفاجئة

ورهيبة حتى أن نزلاء فندق شبرد كانوا يلقون بأنفسهم من الطوابق العليا والنار مشتعلة فيهم. والسؤال: أين كانت وزارة الداخلية؟

ادارة الأمن العام اتصلت بالوزير في منزله الساعة السابعة والنصف صباحاً، تخبره عن قيام تظاهرات ومعها جنود «بلوك» النظام. الوزير يطلب من مدير الأمن العام بأن يطلب من الجنود تفريق التظاهرات. لم يقل له مدير الأمن العام ان الجنود المطلوب منهم تفريق المتظاهرين هم متمردون ومتظاهرون. الساعات تمر حتى الثانية عشرة والنصف بعد الظهر، حيث بدأ المتظاهرون يشعلون الحرائق ويدمرون وينهبون. عندئذ أحس وزير الداخلية أن عليه أن يعمل شيئاً. فاتصل بقائد القوات المسلحة يطلب نزول الجيش. ووعد قائد القوات بعرض الأمر على الملك. ولكن وزير الداخلية حاول الاتصال في الساعة الواحدة بقائد القوات المسلحة ليبلغه أنه عدل عن طلب نزول الجيش لأنه اطمأن الى أن قوات البوليس تسيطر على الموقف. ولما لم يجد قائد الجيش الفريق حيدر اتصل برئيس الديوان حافظ عفيفي وأبلغه رأيه بالاستغناء عن الجيش. ولكن وزير الداخلية عاد في الساعة الواحدة والربع أي بعد ربع ساعة من عدوله يطلب نزول الجيش لأن المتظاهرين أشعلوا النار في سينما ريفولي وسينما مترو بينما رجال البوليس لا يقاومون.. فأين كان قائد الجيش الفريق حيدر؟

المادبة الملكية

في يوم ٢٥ وجه الملك فاروق دعوة عاجلة الى قائد الجيش وكبار ضباطه وجميع ضباط حامية القاهرة وكبار ضباط بوليسها لحضور مأدبة غداء في قصر عابدين حددت لها الساعة الواحدة والربع بعد ظهر يوم ٢٦! وكان غريباً أن وزير الحربية مصطفى نصرت أو وزير الداخلية فؤاد سراج الدين لم يدعيا الى هذه الوليمة التي أقيمت لضباط الجيش والبوليس. ويستوقف النظر كثيراً أن وليمة ملكية حدّدت بعد ٢٤ ساعة أو أقل من ارسال الدعوة، وأن الدعوة لم تكن مكتوبة في بطاقات ارسلت باليد أو بالبريد بل أبلغت تلفونياً الى قائد الجيش الذي أبلغها بدوره الى قواد الوحدات الذين أبلغوها الى الضباط، وأن الوليمة بدأت في الوقت الذي أخذت القاهرة فيه تحترق.

والسؤال الأول: هل كان الشكل الذي اتخذته الدعوة الى الوليمة طبيعياً؟ ولا شك ان الجواب على ذلك هو أنه غير طبيعي، وخصوصاً أن الداعي ملك وأن عدد المدعوين كبير جداً.

والسؤال الثاني: هل كانت مصادفة بحتة أن يدعى جميع ضباط حامية القاهرة الى وليمة تحترق القاهرة في اليوم المحدد لها؟ والجواب على ذلك أنه يمكن أن تكون مصادفة، لو أن الدعوة وجهت قبلها بعشرة أيام أو أسبوع على الأقل أو أن يوم ٢٦ هو مناسبة من المناسبات كعيد جلوس الملك أو عيد ميلاده أو عيد ميلاد ولي العهد. ولكن يوم ٢٦ لم يكن مناسبة من هذه المناسبات.

ثم سؤال آخر وهو: لماذا اقتصرت الدعوة على حامية القاهرة فقط ولم يدع اليها كبار ضباط حامية الاسكندرية أو القنال؟ وأخيراً:

أليس من الغريب أن تكون الدعوة إلى جميع الضباط حتى من صغار الرتب، وهو ما لم تجر عليه العادة في القصر الملكي؟

ولنترك التساؤل الآن ولنعد الى وزير الداخلية والى تصرفات الملك فاروق معه. وسيلقي ذلك مزيداً من الضوء على غرابة ما حدث في ذلك اليوم.

الملك في المأدبة والقاهرة تحترق

دخل الملك قاعة المأدبة في الساعة الواحدة والربع وقام الضباط وأدوا التحية العسكرية له، وكان مرتدياً ملابس المشير عابس الوجه. فرد التحية كأنه عسكري متمرس، وجلس الى جانبه الفريق حيدر والفريق عثمان المهدي رئيس الاركان. وفي الواحدة والثلث وصلت رسالة الى الفريق حيدر اطلع عليها ثم مال نحو الملك وأسر اليه بأنها رسالة من وزير الداخلية يطلب نزول الجيش. قال الملك له دعنا ننظر في أمرها بعد انتهاء المأدبة. وانتهت المأدبة في الساعة الثانية والنصف بعد أن وقف الملك ودعا الضباط الى الاقتراب منه وقال:

أيها الضباط أن حوادث خطيرة تحدث في البلد. وأنه لا بد من اتخاذ إجراءات حاسمة. وأنا أعتمد في ما سأتخذه على ولائكم وثقتي فيكم. لأن الحالة الخطيرة التي تجتازها البلاد لا يمكن أن تستمر.

وانصرف الضباط. ولم يقل لهم الملك أي شيء عن حريق القاهرة أو التوجه فوراً الى ثكناتهم. لأنهم قد يستدعون للنزول بجنودهم الى شوارع القاهرة.

أما وزير الداخلية فإنه لمّا لم يتصل به أحد من القصر، غادر مكتبه في الساعة الثانية والربع، فوصل الى القصر في الساعة الثانية والنصف ليستعجل الأمر. وقابل رئيس الديوان حافظ عفيفي وشرح له خطورة الحالة، وطلب اليه رفع الأمر الى صاحب الجلالة. فقام رئيس الديوان للتشرف بالمقابلة الملكية ومعه الفريق حيدر. وعادا اليه في الساعة الثالثة الا ربعاً وأبلغاه أن الملك أمر بنزول الجيش. فكيف نفذ الامر؟ وماذا صنع الجيش؟

اتصل الفريق حيدر بالفريق عثمان المهدي تلفونياً من قصر عابدين في الساعة الثالثة إلا ربعاً، وطلب منه أن ينزل الجيش بأكبر عدد من القوات. وسأله عن الوقت الذي يراه كافياً لنزول القوات.

الفريق مهدي: أن الأمر يقتضي اعداد اللوريات والجنود واستدعاء الضباط الذين توجهوا الى منازلهم إثر الوليمة الملكية. وهذا يستدعي ثلاثة ارباع الساعة. وعلى ذلك فالقوات ستنزل الى المدينة في الثالثة والنصف.

الفريق حيدر: أرجو أن تبدأ فوراً بالعمل.

ولكن في الساعة الرابعة اتصل محافظ القاهرة بوزير الداخلية في مكتب رئيس الديوان، وكان الفريق حيدر موجوداً وقال أن الجيش لم يصل بعد الى حديقة الأزبكية، حيث يتجمع هناك ليوزع على أحياء القاهرة، وطلب من الوزير الالحاح على قائد الجيش ليعجل بإرساله. وفي الرابعة والربع تكلم المحافظ والهلع يسيطر عليه عن انتشار الحرائق والتخريب. واستنجد بالوزير الذي ظل مرابطاً في القصر ثم أعاد المكالمة، وقد بلغ انزعاجه حده بعد ربع ساعة أخرى أي في الرابعة والنصف، فطلب الوزير من الفريق حيدر أن يستعجل الفريق المهدي. وفي الخامسة مساء وصل ١٥٠ جندياً الى حديقة الأزبكية ثم زيدوا الى ٢٥٠ في الساعة الخامسة والنصف. وبدأت القوات تغادر الحديقةفي طريقها الى شوارع المدينة. وفي السادسة والنصف اتصل المحافظ المسكين بوزير الداخلية ليقول له أن قوات الجيش التي نزلت الى المدينة تمر في الشوارع أمام المتظاهرين الذي يحطمون المحلات التجارية فيصفقون لها ويحيونها بالمعاول، وهي لا تطلق النار حتى في الهواء. فغضب الوزير وطلب من حيدر الاتصال بالمهدي. فردّ المهدي قائلاً ان قوات الجيش لا تستطيع اطلاق النار الا بأمر كتابي. وصرخ الوزير فزعاً وارتمى خائراً على مقعد ظل فيه حتى السابعة الا عشر دقائق مساء، ولم يصل اليه نبأ من الفريق المهدي ليطمئن قلبه. فغادر القصر الى رئاسة مجلس الوزراء حيث كان المجلس منعقداً لمناقشة الحال حتى الساعة التاسعة مساء، والقاهرة لا تزال تحترق الى أن دق جرس التلفون، وكان المحافظ. فهرع الوزير الى الهاتف علّه يسمع خبراً. ولكن يده تراخت مع السماعة حين قال له المحافظ أن عدد القوات المسلحة لا يزيد عن ٥٠٠، وانها ممتنعة عن اطلاق النار على المخربين. واستمرت الحرائق حتى الساعة الحادية عشرة مساء حين بدأ تدخل الجيش الفعلي باطلاق النار.

المحل الوحيد الذي أسرع الجيش اليه هو كازينو الاوبرج.

وقد ذكرت من قبل الحرائق الكبيرة التي حدثت قبل نزول الجيش. أما بعد نزوله فقد حدثت أيضاً حرائق كبيرة منها:

١ - الاعتداء على محلات أوروزدي باك (عمر أفندي) وهي على بعد خمس دقائق من حديقة الأزبكية، مركز تجمع قوات الجيش.

٢ - حريق عمارة الشواربي، وهي على بعد ثلاث دقائق من حديقة الأزبكية.

٣ - حريق محلات شملا، وهي على بعد دقيقتين.

٤ - حريق محلات بنزيون على بعد ثلاث دقائق.

٥ - حريق محلات شارع محمد علي على بعد ثلاث دقائق.

٦ - حريق نادي شل الرياضي على بعد ربع ساعة.

٧ - حريق كازينو الاوبرج في شارع الهرم بين الساعة السادسة والنصف والثامنة والنصف مساء. ومن الغريب أن الكازينو على بعد نصف ساعة على الأقل من حديقة الأزبكية، وأن قوات الجيش تحركت اليه بمجرد التبليغ، ووصلت في الساعة السابعة والربع مع المطافئ. وكازينو الاوبرج هذا هو الذي يمضي فيه الملك فاروق سهرته آخر الليل وصاحبه يدعى ادمون صوصة وهو من حاشية الملك المقربة!!

من الذي حرق القاهرة؟ وما دوافعه؟

يرى القارئ من الصور الفوتوغرافية أن ضابطاً من

الجيش هو محمد علي عبد الخالق يسير علناً في التظاهرات محمولاً على الأعناق وهو يوبخ وزير الدولة عبد الفتاح حسن في مجلس الوزراء، وأن جنوداً من سواري الجيش أيضاً في التظاهرات وقد حملوا على الأعناق. وثمة تقارير للبوليس تقول أن الشيخ محمد فرغلي من زعماء جماعة الأخوان المسلمين كان يحرض الجماهير على حرق دور اللهو والفنادق.

وتقارير البوليس تقول أن بعض الشيوعيين اشتركوا أيضاً في التظاهرات واشعال النار وقد ذكر إسما فتاتين شيوعيتين هما عايدة السحيمي وإجلال السحيمي واسم الطالب عبد المنعم تمام. أما الحزب الاشتراكي فنال نصيب الأسد من تقارير البوليس.

ولا أريد أن أترك هذا الموضوع قبل أن أبدي دهشتي من اشتراك ضابط الجيش محمد علي عبد الخالق وجنود السواري بهذه الصورة العلنية. فليس من المعقول أن يجرؤ ذلك الضابط وهؤلاء الجنود على السير في تظاهرة. لأن قوانين الجيش تحظر ذلك. والتظاهرة كانت تظاهرة تمرد من قوات مسلحة هي قوات بلوكات النظام. والعقوبة صارمة جداً. فما هي الدوافع التي جعلت الضباط والجنود لا يخشون مغبة ما أقدموا عليه؟ في اعتقادي أنهم ارسلوا حتى يظهر للبوليس والشعب أن الجيش معهم، فلا يخشون تدخل الجيش ونزوله الى المدينة بقوته الحربية الرهيبة. ويبقى السؤال: ومن أرسلهم؟ وتجيب عن ذلك السؤال وليمة القصر ظهر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) الذي احترقت فيه القاهرة. وأذكر حادثتين لها دلالتها: الأولى، أني سمعت أن السلطانة ملك (زوجة السلطان حسين وكان فاروق يعتبرها بمثابة أم ويستشيرها في الكثير من الأمور) اتصلت بالملك على أثر حادث الاسماعيلية وسألته عن تفاصيله. ولما أخبرها قالت أن الحادث خطير والبلد سائر الى منزلق خطر. فقال الملك أوافقك ياسيدتي. ولكن لا بد من إيصالها الى أخطر منزلق حتى يمكن أصلاحها بعد ذلك.

والثاني، أن حافظ عفيفي أتصل بي ذات يوم، وقال إنه يود مقابلتي. فقابلته. وما أن سلمت وجلست حتى قال ضاحكاً وغليونه في فمه:

إنت تاعب نفسك كثير في موضوع حريق القاهرة.

قلت: وهل هذا عجيب؟ وأي شيء أخطر منه؟

قال: هذا شيء أنتهى وفات. والبلد لها مسائل كثيرة أخرى تستحق النظر أكثر من حريق القاهرة. أن كثيرين من موظفي وزارة الداخلية لا يزالون خائفين من أن تحملهم المسؤولية. لقد عاقبت بعضهم ممن ثبتت عليه مسؤولية التقصير ويكفي ذلك. أرجو أن تقفل ملف حريق القاهرة. هذا رجاء يا استاذ مرتضى وأنت حر في ما تقرره.

قلت: يا حافظ باشا. هل هذا رأي شخصي أم هو رأي الملك؟

فابتسم وقال: لا تنسى أني رئيس ديوانه.

وخرجت وأنا أفهم أسباب النصيحة. وكنت قد عاقبت بعض رجال الأمن الذين ثبت عليهم تهمة الاهمال من تحقيقات النيابة.

وترددت كثيراً قبل توقيع العقوبة. لأنهم كانوا تحت ظروف قاسية يحاولون القيام بشيء لوقف الدمار. ولكن موجته كانت أعلى من قاماتهم. ولكنني وقعتها ضماناً للمستقبل حتى لا يقصر من تقع عليهم المسؤولية، اتكالاً على أنهم سيكونون بمنجاة من العقاب.

لقد قبضنا على ضابط الجيش محمد علي عبد الخالق وجنود السواري الذين عرفت شخصيتهم من الصور الفوتوغرافية. ولكن قيادة الجيش والفريق حيدر تدخلا لدى النيابة وطلبا تسليمهم الى سلطات الجيش لتتولى محاكمتهم عسكرياً. وسلموا الى الجيش. وعلمت وتأكدت أن أحداً منهم لم يعاقب. وخرجت بنتيجة واحدة وهي أن القصر كان يتربص بحكومة الوفد للخلاص منها، وحانت له الفرصة يوم ٢٥ كانون الثاني (يناير) حينما اصطدمت القوات البريطانية بقوات بلوكات النظام، فدعيت حامية القاهرة بجميع ضباطها الى وليمة القصر يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) وانبث دعاة القصر يحرضون جنود البوليس على الثورة ويرسلون جنوداً وضباطاً من الجيش للاشتراك في التظاهر. وبذلك أصبحت القاهرة صباح ٢٦ خالية من أية قوة نظامية تحفظ الأمن. ولما انتهت مأساة الحريق خرج الجيش، وبدأ خروجه في الساعة الخامسة من مساء اليوم المذكور ولم يطلق النار حتى الساعة الحادية عشرة بعد أن تم الخراب والدمار ●

(من كتاب «غرائب من عهد فاروق وبداية الثورة المصرية» دار النهار للنشر، بيروت)


أشهر جاسوس
في الحرب العالمية
الثانية
الان ديكو
ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

● ذات يوم من شهر آب ١٩٥٥، وبينا كان هواء اسطنبول الساخن يثير غباراً ذهبي اللون، كانت نوافذ الحجرة الأربع المقفلة لا تسمح بمرور سوى أصوات غامضة. فالسكون الثقيل لم يكن يعكره إلا انزلاق عجلات السيارات التي تأخذ منعطف شارع اكساراي بسرعة ٧٠ كلم في الساعة.

في هذا السكون السائد، لم ألبث أن طرحت سؤالاً على الرجل الجالس أمامي، المتكئ بصلابة إلى مقعده. وكان على جوابه يتوقف نجاحي أو فشلي.

وفجأة، ودون ظهور أي مقدمات على قسمات وجهه الجامد، يبتسم ويقول:

– نعم أنا شيشرون

أخيراً تكلم بصوت خافت ثم تابع الابتسام. هذه اللحظة أنستني كل شيء: اجتياز أوروبا، البحث المضني في مدينة مجهولة، والفشل الذي كنت أترقبه. نسيت كل شيء لأن رجلاً في الخمسينات اعترف لي وهو يبتسم:

– نعم، اني شيشرون.

مجهول أنقرة

شيشرون، انه اسم أطلق عليه قبل اثني عشرة سنة، وبالتحديد في ٣١ تشرين الأول (نوفمبر) ١٩٤٣. وقد عمّده شخصياً سفير الرايخ الثالث في أنقرة فرانتس فون بابن.

والقصة بدأت في ٢٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٣ في أنقرة.

في ذلك المساء، رقد الملحق الألماني موتسيش في سريره باكراً. ولم يكن يسكن في السفارة. كان يتقاسم مع زوجته شقة حديثة تطل على أنقرة، العاصمة الخارجة من الأرض حسب مرسوم اتاتورك.

كانت الأيام تبدو ثقيلة بالنسبة لموتسيش. لكن الأمر لم يكن كذلك عندما كانت أعماله كملحق تجاري تأخذ الكثير من تفكيره.

إلا انه بالاضافة إلى عمله كملحق تجاري، كانت للهر موتسيش وظيفة أخرى شبه رسمية كعميل للغستابو ومسؤول عن مصالح الأمن.

كان الهاتف يوقظه من نومه على غفلة. وبمزاج سيء كان يرفع السماعة. إنها مدام ينكه زوجة السكرتير الأول في السفارة تكلمه بلهجة قلقة ومقنعة في آن معاً.

– الرجاء، هل تسمح بالحضور حالاً لعندنا؟ ان زوجي يرغب في رؤيتك.

بعد ذلك ببضع دقائق، كان موتسيش يصل إلى السفارة التي تتألف من عدة أبنية ذات طابع جرماني.

كانت عائلة ينكه تحتل هناك منزلاً صغيراً. فتحت زوجة السكرتير الأول الباب بنفسها. وقالت ان زوجها لم يستطع استقبال «شخصية غريبة» كانت تنتظر في قاعة الاستقبال، فالمهمة تتطلب إذن ان يستقبله موتسيش.

– «انه يملك شيئاً يرغب ببيعه لنا»، أضافت مدام ينكه.

دخل موتسيش قاعة الاستقبال، وكان رجل ينتظر في مقعده دون حراك.

– من أنت؟

سأله بالفرنسية، وبصوت قلق.

– موتسيش.

أجابه باللغة نفسها. وبحركة منه أشار إلى مقعد قريب. إلا أن هذا الأخير توجه فجأة نحو الباب وفتحه بسرعة وعندما اطمأن عاد فجلس على مقعد تجاه موتسيش ثم ألقى عليه نظرة ثاقبة وتكلم:

– أتعطيني وعد شرف؟

– بالطبع أعطيك وعد شرف. تفضل بقول ما تريد قوله.

في هذا الوقت، ألقى موتسيش نظرة على ساعته، فبدأ الرجل منزعجاً إلا أنه قال:

– سوف تكرس لي وقتك كله عندما تعلم لماذا أنا موجود هنا.

ثم أضاف:

– ان في استطاعتي إعطاءك أوراقاً سرية للغاية، إنها أكثر الأوراق سرية.

عشرون ألف جنيه استرليني

وبحركة تمثيلية ترمي إلى مضاعفة الأثر، صمت قليلاً، ثم تابع هامساً: انها تأتي رأساً من السفارة البريطانية؟ ألا يهمك هذا الأمر؟

لقد كانت لهجة الرجل الغريب مزعجة إلى الحد

الذي تأكد فيه الانطباع الأول غير المريح لدى موتسيش وقد أحس الرجل بذلك فخاف أن يخسر الصفقة، وتابع قائلاً:

– لكنني أستطيع الحصول من جراء ذلك على المال، مال كثير... انني أريد عشرين ألف جنيه... جنيهات استرلينية انكليزية.

– هذا جنون.

– انني لست مجنوناً. لقد أمضيت سنوات للتحضير لهذا اليوم. لقد درست كل التفاصيل والآن حانت الفرصة للعمل. إذا كنت موافقاً؟ فهذا شيء جيد. والا....

وبأبهامه الأيسر، أشار إلى اتجاه يعرفه موتسيش جيداً. وكان هذا الاتجاه هو طريق السفارة السوفياتية.

– والا سأذهب في هذه الناحية، وأرى إذا كانوا يودون الحصول على وثائقي.

ولقد خيم بعد ذلك سكون عميق. حاول أثناءه موتسيش بصعوبة جمع ومقارنة انطباعاته...

من يكون هذا الشخص الغامض؟ وقبل أن يقطع موتسيش بالأمر، تكلم الرجل: في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) الساعة الثالثة بعد الظهر سوف يتصل هاتفياً وسيسمي نفسه بيار. وسيسأل اذا كان موتسيش قد تلقى جواباً بشأن بيار. فإذا كان الرد بالايجاب فسيلتقيان في اليوم ذاته الساعة العاشرة مساء، في مكان محدد، ليأخذ الرجل عشرين ألف جنيه نقداً، وفي المقابل يعطي موتسيش فيلمين. وكل فيلم يعطى فيما بعد يكون سعره خمسة عشر ألف جنيه.

– إذا كان الجواب بالنفي، فلن تراني أبداً.

لقد قبل موتسيش وماذا باستطاعته ان يفعل غير ذلك؟ لقد قبل، على الرغم من ان القضية كما اتفق عليها تبدو عجيبة. وقد اتفق على اللقاء قرب مستودع للأدوات قائم في طرف حديقة السفارة. وهناك قاد موتسيش الرجل. وعلى العتبة، امسك الرجل فجأة بذراع الألماني وتمتم:

– أتريد أن تعرف من أنا؟ أنا خادم في السفارة الانكليزية.

لفافتان من الصور

سنة ١٩٤٣ كانت سنة حاسمة في تاريخ الحرب العالمية. فالانزال تمّ بنجاح في ايطاليا، واستطاع الروس دحر الجيش الألماني الذي كان، لعدة أشهر خلت متقدماً حتى القوقاز. وبالنسبة لمراقب حيادي، كانت الأمور تبدو وكأنها قد انتهت.

لقد تعلق هتلر وأعوانه بأملين: أولها الأسلحة الجديدة، وثانيهما الخلاف بين الحلفاء. وقد امتلأت رأس فون ريبنتروب بتوقعات خيالية نتيجة معلومات خاطئة. وضمن هذه الحالة الذهنية، تلقى الوزير الذي كان قد قال ذات يوم: «سيعظمني التاريخ أكثر من بسمارك، تلقى في ٢٧ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩٤٣ الرسالة الآتية:

إلى وزير خارجية الرايخ. شخصي، وسري للغاية.

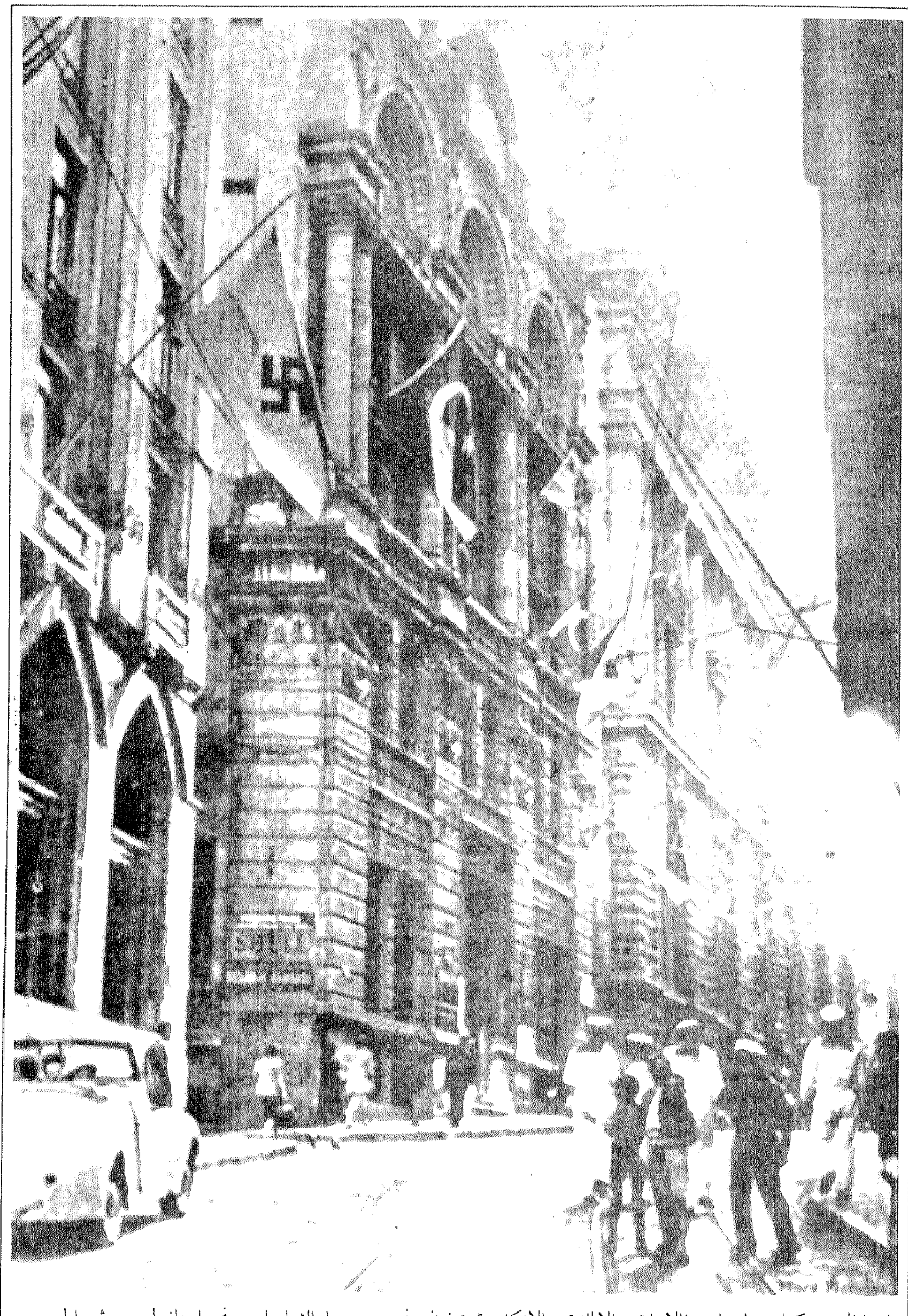
«لدينا عرض من موظف في السفارة البريطانية يزعم انه خادم السفير البريطاني، بامدادنا بصور ووثائق أصلية سرية جداً. والتسليم الأول يتم في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) مقابل عشرين ألف جنيه استرليني نقداً. وخمسة عشر ألف جنيه مقابل كل فيلم اضافي. تفضلوا باعلامنا إذا كان العرض مقبولاً. فاذا كان الجواب نعم، فانه يجب إرسال المبلغ المطلوب بواسطة البريد الخاص ليصل قبل ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) ليس لدينا هنا أية معلومات أخرى. بابن». لم يصل إلى أنقرة أي رد، لا في ٢٧ ولا في ٢٨. ويوم ٢٩ كان عيداً وطنياً تركياً. فرانتس فون بابن والملحقون الآخرون في سفارته وجب عليهم الذهاب باللباس الرسمي لزيارة رئيس الجمهورية. وعندما عاد بابن إلى السفارة الالمانية، سلمت إليه رسالة تمت ترجمتها حال وصوله:

– اقبلوا عرض الخادم البريطاني مع أخذ كل الاحتياطات الضرورية. بريد خاص سيصل أنقرة في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) قبل الظهر. نحن ننتظر تقريراً فور تسلم الوثائق. ريبنتروب.

في ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر)، الساعة الثالثة بعد الظهر، دق جرس التلفون. وشعر موتسيش بأن قلبه توقف عن الضرب، فقد اعترف هو نفسه بذلك. كان «بيار» على الهاتف وطرح سؤلاً واحداً:

– هل تلقيت رسائلي؟

أجاب موتسيش بالايجاب. وقرر الرجلان اللقاء في المساء نفسه وفي المكان المحدد.



احتفظت تركيا بحيادها. فالاعلام الالمانية والانكليزية ترفرف في حي بيرا الدبلوماسي في استانبول حيث الحرب السرية قائمة على اشدها.



ام ١٩٤٢، الرايخ الثالث يمثله فرانتس فون بابن بحضور العديد من الملحقين العسكريين والاميرال فون مارفيتس.

كانت الساعة العاشرة إلا دقيقتين عندما وصل موتسيش قرب مستودع الأدوات الواقع في طرف حديقة لسفارة، وكان الظلام دامساً.

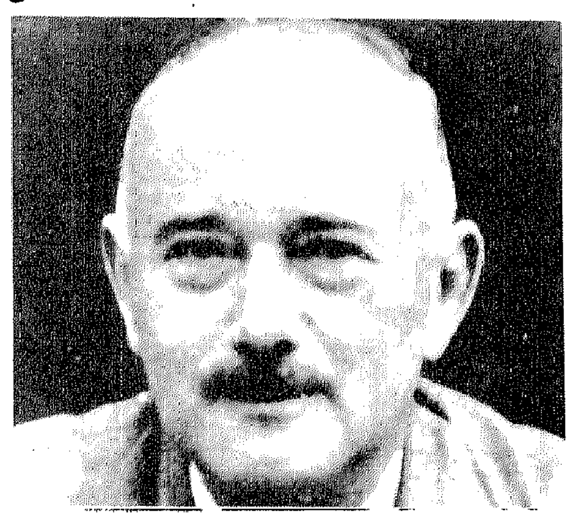
بعدها بدقيقة، ظهر رجل وقال:

– هذا أنا، بيار. هل كل شيء على ما يرام؟

ثم أضاف: هل معك المال؟

كان موتسيش يحمل بالطبع العشرين ألفاً. وبعد لحظات، تسلم موتسيش في مكتبه اللفافتين المعلن عنهما مقابل رزمة كبيرة من الأوراق النقدية، فبرلين كانت قد أرسلت المبلغ بأوراق نقدية صغيرة القيمة.

كانت الساعة الرابعة صباحاً عندما أنهى



سير كناتشبل – هيوغسن، سفير بريطانيا الذي جرى تصوير وثائقه لتشحن إلى المانيا.

موتسيش تظهير وتكبير اللفافتين. فهو لم يشعر إطلاقاً بالتعب، لكنه كان يشعر بنشوة الدهشة والحماسة. كانت تحت عينيه على الطاولة، اثنتان وخمسون صورة مكبرة. وهناك أمامه الأسرار المحفوظة بعناية من جانب العدو، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو عسكري وذو قيمة لا تقدر.

ليس هناك من شك حول حقيقة الوثائق. فقد كتب قائلاً «لدينا بين أيدينا نوع من الأوراق يحلم به طوال حياته أي عميل استخبارات، ولا يتصور يوماً أنه يستطيع الحصول عليه».

أسرار محفوظة جيداً

كيف يمكن تفسير وجود الأسرار المحفوظة جيداً منذ الحرب الأخيرة في خزانة السفير البريطاني في أنقرة؟ التفسير بسيط: فالسفير هيو كناتشبل – هيوغسن، كان يشغل منصباً من الدرجة الأولى في مدينة كانت هي نفسها مركز المؤامرات الدولية. وهذا يفسر انه في الصباح، عندما قدم موتسيش حصيلة حصاد الليل إلى رئيسه السفير فون بابن، صاح هذا الأخير:

رائع لا يصدق!

.. وعندها تلقى الرجل الغامض اسماً، جعله في ما بعد شهيراً. فقد فكر فون بابن قائلاً: ان الولد سيعمد، من أجل مراسلتنا. يجب أن نعطيه اسم

شيفرة. هل فكرت بذلك؟

– ليس بعد سيدي.

أجاب موتسيش.

– ما قولك «بيبار»؟ فهكذا يسمي نفسه. انني أكيد من ان هذا ليس اسمه الحقيقي.

– هذا لا يناسب يا بني. انه نقص في الخيال. يجب اعطاؤه إسماً لن يعرفه أحد. حتى ولا هو. قل لي، بما أن هذه الوثائق شديدة الوضوح والفصاحة. فلنسمه شيشرون!

وهكذا أخذ شيشرون يمد موتسيش بوثائق متلاحقة، كانت كلها مهمة مثل الوثائق الأولى.

في تلك الأثناء بدأت المشاكل تأتي من برلين. كل يوم، كان يتلقى موتسيش قائمة من الأسئلة تتعلق بشيشرون، وتتطلب أجوبة مفصلة ودقيقة: إن ما يجب معرفته. هو هوية شيشرون الحقيقية.

وبدأت الرسائل والأسئلة تأتي من رئيس الاستخبارات الالمانية السرية. كما ان هيئات أخرى تدخلت في هذه القضية. وقد وصل موتسيش إلى نقطة وجد نفسه فيها مضطراً إلى مجابهة الطلبات الآتية من ستة أجهزة. وكان يختصر إجاباته دائماً بأنه لا يعرف شيئاً عنه.

... بعد بضعة أيام. كان الرجلان يسيران في شوارع أنقرة الغافية في الظلام. كان موتسيش يقود السيارة. وكان شيشرون جالساً على المقعد الخلفي عندما قال بهدوء:

– اسمي لا يعنيك أبداً ولا يعني برلين. فلن أقوله لكم أبداً. إلا أن هناك شيئاً يمكنك قوله لبرلين: فأنا لست تركياً ولا البانياً.

بعد سكوت أجاب موتسيش:

– قلت لي ذات يوم انك تكره الانكليز. هل باستطاعتك أن تقول لي لماذا؟

لم يجب شيشرون على الفور، ثم قال بصوت أجش:

– لقد قتل أبي على يد انكليزي.

شك في برلين

في اليوم التالي، علم موتسيش بأنه مدعو على وجه السرعة إلى برلين. وقد أتت طائرة خاصة لتأخذه إلى صوفيا. بعد عدة ساعات وجد نفسه أمام الجنرال في الصاعقة كالتنبرونر. وما ان جلس حتى علم لماذا أرسلت إليه طائرة خاصة: فكالتنبرونر يود رؤيته قبل ريبنتروب. وبالفعل فان وزير الخارجية ورئيس شعبة الاستخبارات يكره أحدهما الآخر. إن قضية مثل قضية شيشرون تولد منافسة حادة بين الرجلين. إنها قضية شخصية: فريبنتروب الذي يطلب أن تكون «عملية شيشرون» خاضعة لشعبة استخباراته. لا يثق بحقيقة الوثائق.

لقد قال كالتنبرونر لموتسيش بأن ريبنتروب مقتنع تماماً بأن الانكليز أنفسهم قد أرسلوا له هذا الخادم وان كل هذا ليس سوى فخ. وفي الانتظار، فان معلومات ذات أهمية لا تصدق تتكدس في مكتبه ولا تستخدم لشيء اطلاقاً. ونحن ليس في استطاعتنا تحمل هذا الترف. ولدي النية أن أتكلم شخصياً إلى الفورر حول هذا الموضوع. وان أتدبر أموري لكي تكون هذه العملية تابعة لشعبة استخباراتي. بناء على ذلك، فانك في المستقبل، سوف تتلقى تعليماتك مني وليس من أي شخص آخر.

استقبل ريبنتروب موتسيش بعد ذلك بقليل.

استقبله واقفاً «الاذرع متشابكة على طريقة نابوليون».

– انك قابلت شيشرون. ما أود معرفته هو ما إذا كانت الوثائق حقيقية.

– كما ذكرت في تقاريري، سيدي، أجاب موتسيش، فان رأيي الشخصي هو أن...

قاطعه ريبتروب بجفاء فهو لا تهمه اطلاقاً الآراء الشخصية:

– هل باستطاعتك أن تأتي لي ببراهين؟ أم يجب أن أرسل شخصاً آخر إلى أنقرة؟

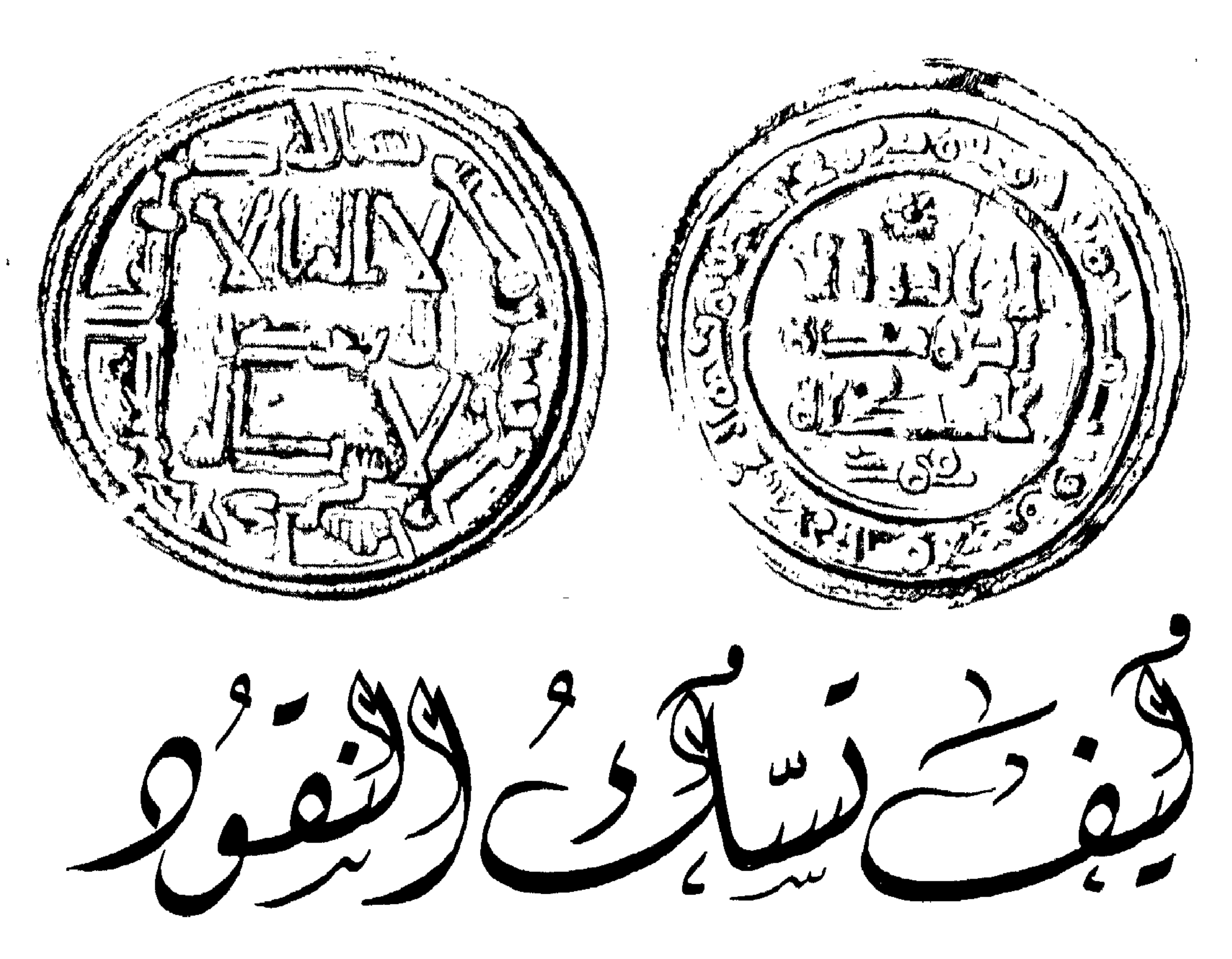
كان موتسيش ينظر إليه وهو يأخذ صور ووثائق شيشرون، ثم يبعدها بحركة عصبية، دافعاً إياها إلى طرف مكتبه، وتمتم قائلاً:

– هذا أجمل من أن يكون حقيقياً.

ثم أردف بسرعة:

– ستبقى في برلين حتى إشعار آخر. ●

(يتبـع)



كيف نشأت النقود

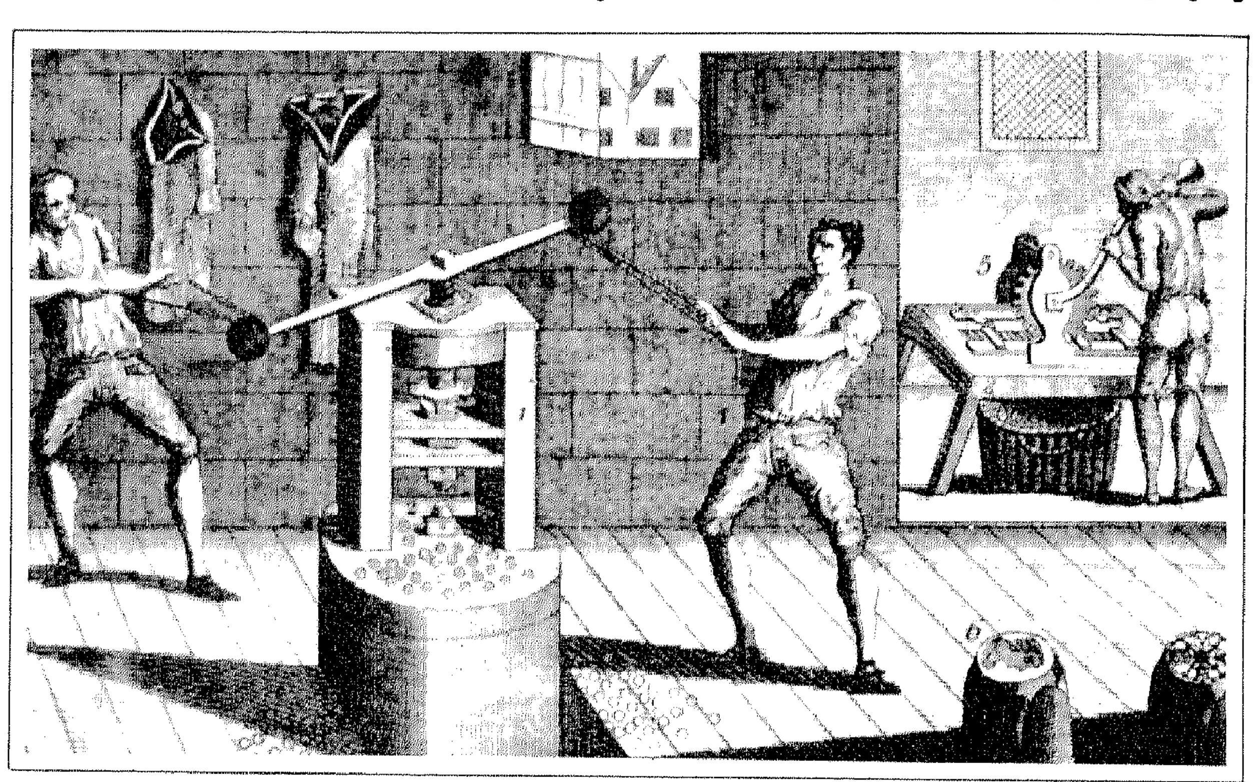
ت. هانسون

اعداد : "تاريخ العرب والعالم"





النقود المعدنية صناعة يزيد عمرها على خمسة وعشرين قرناً. وهي تتخذ هواية لدى البعض، ولدى البعض الآخر تاريخاً. ولقد كان عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، أول من سك النقود الاسلامية بعد الفتح. هذا الموضوع المهم: سك النقود، سيكون موضوع مقالتين تنشرهما «تاريخ العرب والعالم» تباعاً وفي الحلقة الأولى، في هذا العدد، تاريخ عام عن كيفية صناعة النقود وتطور أساليب سكها عبر العصور، على أن تتناول الحلقة المقبلة، تاريخ النقود العربية والاسلامية.



دار للسكة فرنسية من القرن السادس عشر.

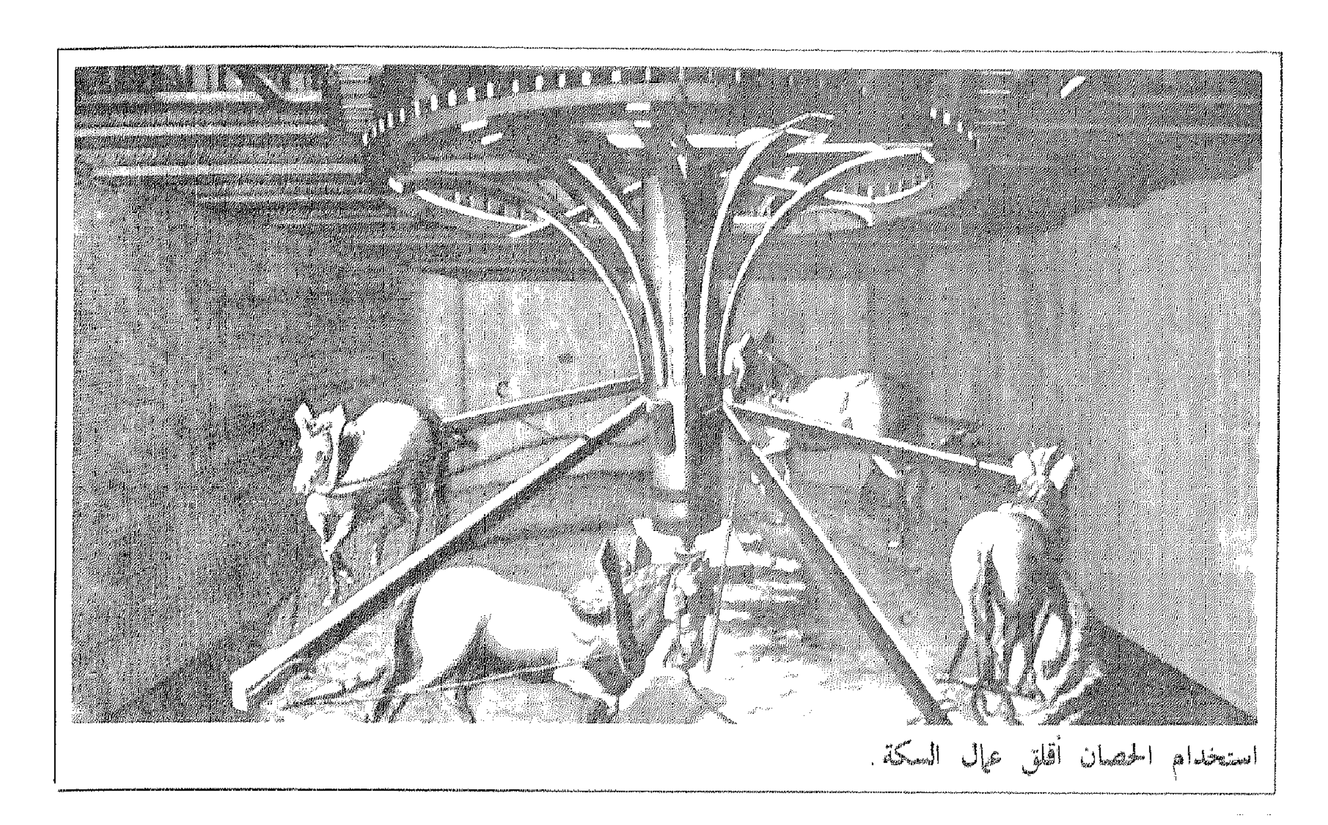
لاكتشاف مزيد من المتعة التي يمكن للنقود المعدنية أن توفرها للهواة، لا بد من معرفة كيفية صنعها. وعندما يفهم الهاوي كيف تسك النقود يصبح في مقدوره أن يقدر أكثر من ذي قبل جمال النقود الاغريقية الموغلة في القدم، أو سبب وجود معايب في بعض النقود الحديثة التي تقع بين يديه.

أساساً، النقود أو المداليات يمكن أن تصنع بواحدة من طريقتين. السبك في قالب، أو الضرب بين مطرقتين معدنيتين عليهما النقش المطلوب.

الطريقة الأولى هي، على الأرجح. الأبسط والأقل كلفة. ولكنه من المستحيل الحصول على نقش واضح فعلاً بواسطة السبك، خصوصاً إذا كانت النقوش دقيقة التفاصيل. لذلك يظل من الضروري، بعد السبك أن تعود يد الصانع إلى كل قطعة من أجل تنظيف النقش، ليصبح واضحاً.

ومن المؤكد ان هذه الطريقة تستغرق وقتاً أطول بكثير، عند انتاج أعداد كبيرة من النقود. ولذلك فان كل النقود والمداليات في أيامنا الحاضرة تصنع باسلوب الضرب.

ان تاريخ اختراع ضرب النقود كان دائماً موضع نقاش. ومعظم المؤرخين يميلون الآن إلى ان هذا التاريخ يتراوح بين ٦٤٠ و٦٣٠ قبل المسيح. وأقدم قطعة نقود



استخدام الحصان أقلق عمال السكة.

عثر عليها لها شكل حبة الفاصوليا. وقد طبع على أحد وجهيها رأس أسد وعلى الوجه الآخر علامات مربعة أربع.

ويمكن الافتراض ان ضارب هذا النقد احتاج إلى قالب واحد رسم عليه رأس الأسد. ويفترض ان كتلة المعدن وضعت على القالب وضربت بقدوم ترك عليها المربعات الأربعة. وكان طبيعياً أن يفيض المعدن عن القالب ويتخذ شكلاً غير مستدير. ولا شك في ان أصعب مراحل صناعة هذه النقود، هي صناعة القالب الذي نقشت عليه الصورة. وهذا القالب مصنوع من الحديد. وقد نقش الفنان الصورة عليه مقلوبة بالتأكيد.

مقتضيات المهنة

ويعتقد ان الفنان يدعى إلى صنع أكثر من قالب، ليس فقط لأن النقش الأول يبلى، بل لأن القالب نفسه تتسطح حافته تحت قوة الضربات المتلاحقة. وكثرة النقوش المطلوبة كانت تؤدي إلى تغيير تدريجي فيها، ومهما كان النقاش حريصاً. وقد أمكن للصناعة الحديثة أن تذلل هذه العقبات، كما سترى بعد قليل.

غير ان ضرب النقود بواسطة اليد استمر قروناً طويلة. ولم يطل الوقت حتى أصبح الصناع ينقشون نقشين للنقود، واحداً لكل من الوجهين. وهذا زاد صعوبات المهنة. وزاد الاقبال على القوالب المعدة للضرب، على حساب القوالب المعدة للسبك.

وفي القرون الوسطى كانت العادة قد جرت على أن يكون القالب التحتاني مختصاً بالنقش الأصعب والأعقد، فيما يحمل القالب الفوقاني النقش الأبسط.

وفي الحقبة النورماندية في انجلترا، ظهرت طريقة متطورة لصناعة القوالب. وبدلاً من أن يكون النقش كله مرسوماً على القالب، كان يجري دقه دقاً بواسطة مطارق مختلفة الاشكال. أما تلك الأجزاء من الوجه، التي لا يمكن دقها، فكانت تحفر بمظفار.

ولقد استعملت أشكال مختلفة من القوالب. والأشكال التقليدية كانت عبارة عن اسطوانات حديدية طرفها يستوعب النقش المطلوب ضربه. أما الطرف الآخر فكان عبارة عن لولب، لتثبيت الاسطوانة في كتلة خشبية. في تلك الأيام كانت الكتل المعدنية المنوي ضربها مسطحة، حتى لا تتدحرج عن مكانها. أما قبل ذلك فكان القالب التحتاني يقعر قليلاً، لمنع الكرة المعدنية من التدحرج، ولم يكن مستحيلاً أن تتحرك الكتلة المعدنية، فلا تأتي في مكانها بدقة، فيحصل الضارب على نقد لا يحتوي على النقش كاملاً. ولضمان عدم حصول ذلك، جهزت القوالب بملاقط.

أما وسائل انتاج القطع المعدنية المعدة للضرب فقد

تعددت كثيراً من عصر لآخر. وفي العصور النورماندية، كان المعدن الخام يذوب على الأرجح في أوعية فوق نار الفحم الحجري، فتبعد الأقذار وتؤخذ الفضة في رقائق. فاذا برد المعدن، ضرب إلى السماكة المطلوبة وقطع في اسطوانات بواسطة مقص. وفي بعض الأحيان كانت يد المقص تثبت لتمكين العامل من زيادة الضغط وقد وجدت هذه الطريقة ضرورية منذ ان تحسنت وسائل الصناعة في القرن الثالث عشر. وفي انجلترا، بدلاً من أن يذوب المعدن في رقائق، كان يصب في قوالب رملية بحجم النقد المطلوب تقريباً. وكان المعدن فيما بعد يقطع شرائح ويطرق ليتحول إلى شكل دائري قدر الامكان. بعد ذلك كانت النقود توزن. فاذا وجد بعضها أقل وزناً من المعدل. أعيد للصهر. أما ما فاض عن الوزن فكان يطرق من جديد ويقص الفائض منه. فاذا انتهت هذه العملية، أرسلت القطع إلى الناقش لينقش الرسمة المطلوبة.

توزيع الأدوار

وفي احدى الصور المرفقة بهذا الموضوع. تشاهد ورشة فرنسية نموذجية في القرن السادس عشر. المسؤول في الورشة يتسلم مجموعة من النقود أو المداليات القديمة من احد التجار. الذي سيتسلم بدلاً منها نقوداً جديدة



دار للسكة من القرن الثامن عشر.

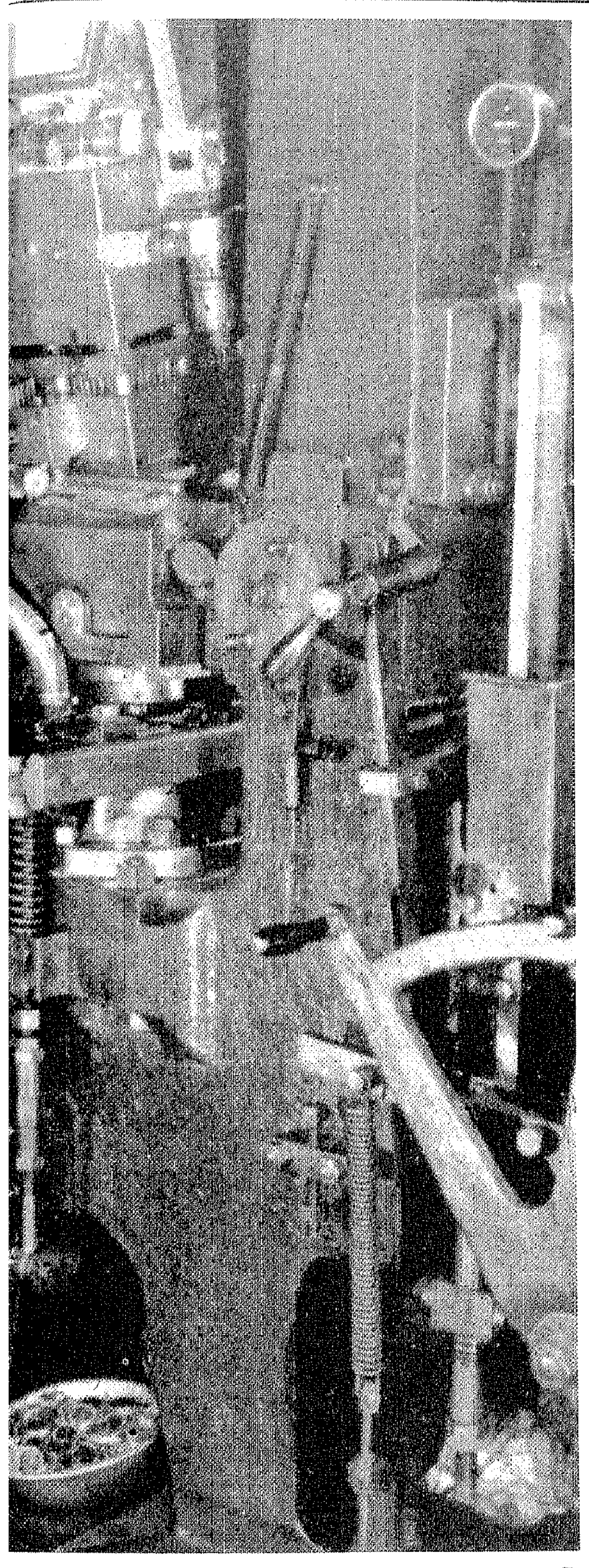
بعد حسم نسبة من القيمة كأرباح لورشة السبك. والى اليسار يبدو فرن وفي داخله عدد من البواتق. والعامل في وسط الصورة يطرق القطع المعدنية، بينما يجري قص القطع إلى اليسار. وإلى اليمين يبدو النقاش في المرحلة الأخيرة من العملية.

وقد كان لليوناردو دافنتشي فضل كبير على صناعة النقود. كما ان معاصره برامانتي اخترع مكبسة للسك. وقد استخدم بنفينوتو تشيلليني (١٥٠٠ - ١٥٧١م) أدوات مماثلة لتلك التي اخترعها دافنتشي وبرامانتي، ليضرب نقوداً للبابا بولس الثالث. وعندما وصل هنري الثاني إلى الحكم في فرنسا، استدعى أو بان أوليفييه، وهو صانع في أوغسبرغ، قيل انه يعمل لاختراع آلة تقطع نقوداً مستديرة تماماً، ومنحه ثلاثة آلاف ريال ليستكمل اختراعه. وفي أثناء حكم اليزابيت الأولى في انجلترا، استدعت الملكة ايلوي مستريل، وهو موظف سابق في دار سكة باريس، واستخدمته بخمسة وعشرين جنيهاً في السنة، وطلبت إليه أن ينقش نقوداً بواسطة أدوات استحضرها معه على ما يبدو من باريس. وقد استخدمت في هذه الصناعة لأول مرة قوة الحصان والمياه.

ومع ان النقود كانت أفضل بكثير من تلك المضروبة باليد، فان العمال خافوا على وظائفهم، من تلك الاختراعات الحديثة. وتبين ان الطريقة الجديدة أفضل انتاجاً، لكنها أبطأ. وقد شنق مستريل سنة ١٥٧٨ بسبب ذلك.

وفي سنة ١٦٤٥ حظرت فرنسا النقود المضروبة باليد. وتمكن فرنسي آخر هو بيار بلوندو، من نقش حافة النقود. وبذلك توقفت عمليات الاحتيال. فقد جرت العادة أن يقتطع المحتالون أطراف النقود ويجمعوا الفتات ويذوبوه ليبيعوه. لكن نقش الأطراف وضع حداً لهذه العملية، لأنه أصبح في الامكان معرفة قطعة النقود الكاملة بفضل طرفها المنقوش.

ويبدو ان بلوندو حفظ سر مهنته جيداً. والواقع ان يمين الحفاظ على السر كانت اجبارية لكل من يعمل في هذه المهنة. لكن الجمهور استطاع مع ذلك أن يتفرج على آلة سك نقود في باريس. وكان معروفاً ان آلة مماثلة توجد في لندن. وعلى الرغم من ذلك ظلت يمين كتمان السر اجبارية في دار سكة لندن حتى العام ١٨١١م.



آلة حديثة لضرب النقود.



وفي العام ١٨٣٩ ، تحققت خطوات أخرى في صناعة النقود. فاخترع الالماني أورلهون آلة تضغط النقش الفوقاني بهدوء على الاسطوانة المعدنية المنوي نقشها. وجرى تحسين هذه الطريقة على يد تونلييه. واستخدمت آلات من هذا النوع في دار سكة باريس عام ١٨٤٥ ، وفي داري سكة سيدني وملبورن في أوستراليا سنتي ١٨٥٣ و ١٨٦٩ على التوالي. واستخدمت مكابس من هذا النوع في لندن خلال السبعينات من القرن الماضي. وتبين انها أسرع وأقل ضجيجاً من سابقاتها بكثير.

وفي عام ١٨٨٢ وجدت دار السكة الملكية البريطانية ان الحاجة تدعو الى استخدام الكهرباء ، فاتخذت مولداً خاصاً بها. وفي العام ١٩٠٥ ، تم تحويل هذه الصناعة نهائياً إلى العمل بالكهرباء.

ومع اشتداد الحاجة إلى النقود، اشتدت الحاجة إلى أدوات ميكانيكية سريعة الانتاج دقيقة التصنيع. وقدر ان وسائل الضرب باليد كانت قادرة في آخر مراحل تطورها على انتاج عشرين ألف قطعة نقود حين يستهلك قالب ومطرقتان. أما الأسلوب الجديد فباستطاعته انتاج مائة ألف قطعة نقود ولا يستهلك إلا قالباً ومطرقة.

والفنانون اليوم يصنعون نموذجاً أصلياً لقطعة النقود يتراوح قطره بين خمسة عشر وخمسة وعشرين سنتمتراً. فتأتي نماذجهم بالجص دقيقة ونافرة. ثم يسبك النموذج معدنا. ويحول إلى آلة خاصة لتصغيره. وبهذا نحصل على قالب صغير شديد الدقة. وتأتي النقود صورة طبق الأصل عن النموذج الأول. ولا يختلف قالب عن قالب مهما كانت قطع النقود المطلوب سكها كثيرة. والواقع ان المعدن يذوب أولاً. ويجعل في رقائق بالسماكة المعينة ويقطع قطعاً بالوزن المطلوب بدقة لا يتعدى الخطأ فيها كسوراً غير ذات بال. وتكون القطع أسمك من النقود المنوي الحصول عليها ، كما ان قطرها أصغر. فاذا ضربت أخذت الشكل والسماكة المحددة. أما المعدن الزائد فيعاد إلى الصهر.

والآلات الحديثة تستطيع أن تنتج ما يتراوح بين تسعين ومائة وعشرين قطعة في الدقيقة. وبعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة الوزن والرقابة فلا يبقى بعدها إلاّ جمعها رزماً وتوزيعها.

بتصرف عن كتاب « جمع النقود » كولينز — لنـــدن

سلفادور دي مادارياغا   ترجمة "تاريخ العرب والعالم"

المقاومة

انتفاضة الازتيك الاخيرة

في وجه الاسبان ١٥٢٠

والاستسلام

● بعد استيعاب صدمة المفاجأة. أخذت المواجهة بين الغزاة الأسبان وأهل البلاد (المكسيك) الأصليين. في مطلع القرن السادس عشر. أخذت تغرق في مستنقع عدم الفهم. فالاسبان الذين اسكرتهم ثروات وذهب الأزتيك. بذلوا مجهوداً هائلاً لتحطيم آلهة الأزتيك. وحرموا عليهم اقامة الشعائر الدينية وحاولوا تبشيرهم بدينهم. أما الازتيك فقد شلتهم المفاجأة في البدء. لكنهم أخذوا شيئاً فشيئاً يقاومون بحزم. وفي أحد الأيام طفح الكيل. وثارت العاصمة تينو شتتلان على قادتها الذين استعبدوا. وطردت الحامية الاسبانية. وفي هذه المقالة يصف الكاتب الاسباني سالفادور دي ماداriاغا. الذي خصص أحد مؤلفاته لهيرنان كورتيث (زعيم الحملة الاسبانية الغازية). يصف وقائع المقاومة الاخيرة لشعب الأزتيك الأبي وسقوط عاصمة امبراطوريته المتألقة. لقد ارتد الغزاة الاسبان إلى المدينة المجاورة تلاكسكالا. التي كانت على الدوام. منافسة لعاصمة الأزتيك. واخذوا يجمعون الصفوف وينظمونها. وفي ٢٨ نيسان (ابريل) شنوا هجمتهم الأولى. وضربوا حصاراً على عاصمة الأزتيك. وبدأوا بذلك حرباً طويلة لا رحمة فيها. وآثر الأزتيك ان يقاوموا مفضلين الموت على الاستسلام.

وفي ١٣ آب (اغسطس). وبعد معركة أخيرة. لم يبق من المدينة الفاخرة. التي تجتازها القنوات وتزينها القصور والبساتين الساحرة. غير الخرائب ورائحة الجثث.

وكان هدمها وتركها طعمة للنهب. إيذانا باندثارها إلى الأبد. ودخولها التاريخ رمزاً للبطولة والاستشهاد.

على مدى سنة ونصف السنة. من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥١٩. إلى نهاية نيسان (ابريل) ١٥٢١. عاش كورتيث ورجاله ساعات مثيرة وحافلة. داخل اسوار مدينة مكسيكو-تينو شتتلان وعلى الأخص داخل أسوار القصر الذي وضع تحت تصرفهم. في هذه الأثناء كان الامبراطور موتيكوزوما قد أوقف ووضع في إقامة جبرية تحت رقابة الاسبان. وأحرقت سعة خمسمائة عربة من الأسلحة المكسيكية. من باب الاحتياط. كذلك أحرقت أوثان الهيكل أو حطمت. وهذا أثار سخطاً عاماً. وأدى إلى تأجيج غضبة عارمة. وتم اكتشاف كنوز اخفيت عن أعين الغزاة. وكان جزء منها يعود آليا إلى شارلكان الملك الاسباني. وفيما كان الاسبان يستولون على كل ما يجدونه من ذهب. كان شعب التلاكسكالتيك. العدو التقليدي للأزتيك. يتحدى هؤلاء ويواصل الأستيلاء على ما تيسر من يشب وريش ثمين. وهكذا أخذ التوتر يتصاعد.

الليلة «الحزينة»

ولحسن حظ الاسبان. جاءت من كوبا إمدادات على ثماني عشرة سفينة. لتدعم قوات كورتيث. وهي قوات أصبح تعدادها ١٢٠٠ رجل. ولو أنها لن تظل بهذا الحجم طويلاً. بسبب ضخامة الخسائر. يضاف إلى هذا التعداد تسعون حصاناً وحوالي ثلاثين مدفعاً.

وفيما كان كورتيث قد توجه إلى أساحل الخليج ليكرس سلطته على هؤلاء القادمين الذين جاءوا كمتنافسين، ثارت مكسيكو في أيار (مايو) ١٥٢٠ ضد زعمائها المستعبدين وضد الكابتن الفارادو. الذي بقي في المكان مع تسعين رجلاً. والذي ارتكب لتوه حماقة قتل المؤمنين الذين تجمعوا للقيام باحتفال ديني. رغبة منه في ارهابهم. أو ربما بسبب من رعونة وعدم تبصر. وقد حوصر في قصره. وفي ٢٥ حزيران (يونيو) ١٥٢٠. غداة عودة كورتيث وجيشه المدعم إلى العاصمة. شن المكسيكيون الهجوم العام. بعد ان عزلوا امبراطورهم وانتخبوا أخاه كويتلا هواك مكانه. على أية حال لم يطل الأمر بموتيكوزوما الثاني. حتى أعدم في ظروف غير واضحة. وفي مواجهة أعداد وحماسة المهاجمين. اضطر الاسبان إلى الهرب ومغادرة المواقع التي أصبحت غير قابلة للصمود. ولم يكن ممكنا أن يغطوا هربهم دون ان يدفعوا ثمناً باهظاً في «الليلة الحزينة» الشهيرة. ٣٠ حزيران (يونيو).

ستمائة رجل قتلوا في تلك الليلة. أو ضحي بهم على الأهرام. كان يجب إعادة الكرة من جديد. فالاسبان الباقون لم يتعدوا ٤٤٠ رجلاً معهم عشرون حصاناً و١٢ قذافة أسهم و٧بنادق. وبدأت اعادة التنظيم في تلاكسكالا التي تحولت إلى حصن. ولحسن حظ الاسبان مرة أخرى وصلت امدادات أخرى على خمس سفن آتية من جمايكا وكوبا: حوالي مائة رجل و٥٠ حصانا و٩ مدافع. وفي الفريق الآخر كان الامبراطور كويتلاهواك يموت بفعل الجدري. لم يكن

المرض معروفاً حتى ذلك الحين هناك لكن الوباء الذي أحضره عبد زنجي معه من كوبا كان يفتك آنئذ بالمدينة. ولم يدم حكم الامبراطور أكثر من ثمانين يوماً. واختير ابن عمه الشاب مكانه، واسمه كواوتيموك («العقاب الذي يسقط»، أو «الأصيل») وكأنه اسم اختير للمناسبة. كان الامبراطور الجديد، حسبما وصفه بيرنال دياز، «شابا في حوالي الخامسة والعشرين، أجمل من أن يكون هنديا (!) شجاعاً جداً. وكان من الحزم ما جعل رجاله يرتجفون أمامه. وكان متزوجاً من ابنة مويتكوزما، التي كانت امرأة أجمل من أن تكون هندية». وطوال أشهر. أخذ الاسبان يحضرون، حول البحيرة، عملية استعادة المدينة. وذلك بمساعدة حلفائهم التلاكسكالتيك. وبنوا ١٣ سفينة شراعية بصاريين. وجهزوها بالاشرعة والمدافع على بحيرة تكسكوكو. وأخيراً في نهاية شهر نيسان (ابريل) ١٥٢١. كان كل شيء جاهزاً.

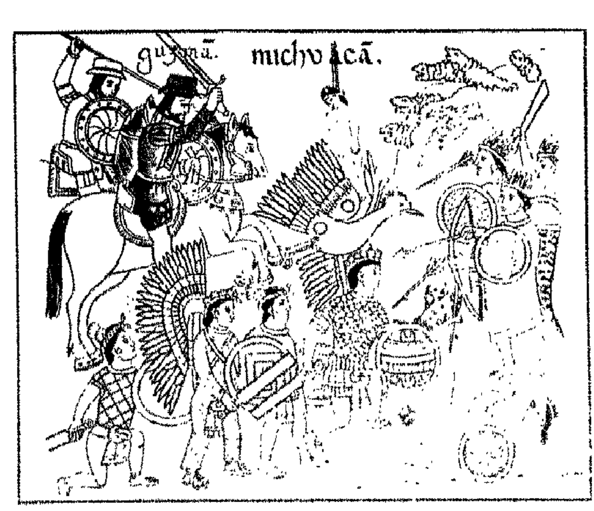
بداية المعركة

يوم الأحد ٢٨ نيسان (ابريل) اطلقت السفن الثلاث عشرة في البحيرة، بعد اقامة القداس وشعيرة المناولة. واطلق الاسبان للريح بطن أشرعتهم وأطلقوا عدة طلقات سمعها بألم المكسيكيون المهددون. ورددت صداها الأودية الآمنة. واستعرض كورتيث قواته: ٨٦ خيالاً. ١١٨ قواساً وحامل بندقية. وأكثر من ٧٠٠ راجل مسلح بالسيف والترس. ٣ مدافع حديدية ضخمة. ١٥ مدفعاً أصغر من البرونز وعشرة قناطير من البارود. ثم أخذ يشعل فيهم الحماسة. وكان حريصا على تماسكهم وعدم ترك اهوائهم المتضاربة تتفجر. حتى لا تتكرر المؤامرات التي كانت شائعة الحدوث بينهم.

بعد أيام. وصل حلفاؤه المحليون في قوة كبيرة من تلاكسكالا وشولولا وغواكسوسنغو. وكان جيش تلاكسكالا على الأخص. وعلى رأسه شيشيميكاتيكوتلي و كسيكوتنكاتل الشاب. كان هذا الجيش يتدفق حماسة.

وتقدم كورتيث للقياه مع بعض ضباطه. حالما عرف بمقدم كسيكوتنكاتل الشاب. وهذه مجاملة احتياطية. اقدم عليها في ضوء احداث ماضية كان لها مغزى خاص. ومرت الجيوش المحلية طوال ثلاث ساعات في شوارع تتزكوكو لتصل إلى معسكراتها.

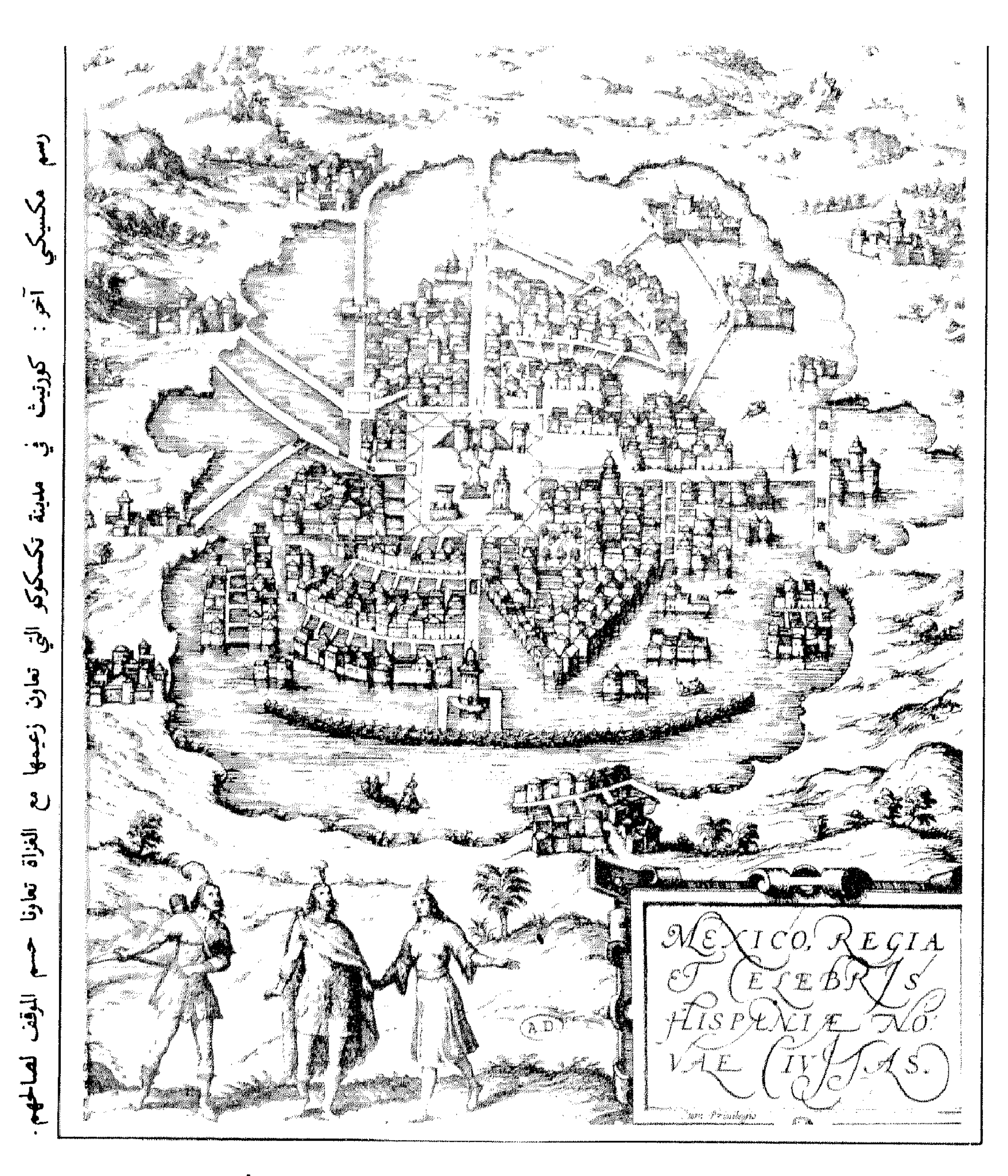
وقام كورتيث بوضع خرائط مفصلة للبحيرة





هكذا رسم الازتيك الغزاة الاسبان. الذين أبادوا في مدينة شولولا وحدها ستة آلاف نسمة.

ليضمن لسفنه ان تتقدم بأمان ويبدو أن ثمة صعوبة برزت في العثور على مجذفين. فالجميع كانوا يريدون القتال. ولكن أحداً تقريباً لم يكن يريد الاكتفاء بالتجذيف على ان بيرنال دياز أجبر المنحدرين من مدن ساحلية. الذين عهدوا البحر وعهدهم. على التجذيف. ووزع الرجال على السفن. ١٨ في كل سفينة. منهم ستة نبالين أو حملة بنادق و١٢ جذافاً. وأخذ بنفسه قيادة السفن. وقسم بقية الجيش إلى ثلاث فرق: بيدرو دي الفارادو مع ٣٠ فارساً و١٨ قواساً وحامل بندقية. و ١٥٠ رجلاً يدعمهم ٢٥٠٠٠ مقاتل تلاكسكالتيك. أرسلوا إلى تاكوبا. أوليد مع ٣٣ فارساً و ١٨ قواساً وحامل بندقية و ١٦٠ رجلاً



رسم مكسيكي آخر: كورتيث في مدينة تكسكوكو التي تعاون زعيمها مع الغزاة تعاونا حسم الموقف لصالحهم.

يدعمهم ٢٠٠٠٠ حليف محلي أرسلوا إلى كويواكان. أما ساندوفال. ومعه ٢٤ فارسا و ٤ حاملي بنادق و ١٣ قواساً و ١٥٠ رجلاً. يدعمهم ٣٠٠٠٠ حليف محلي. فكان عليهم ان يجتازوا مدينة ايزتابالابا. ويتقدموا بعد تدميرها على طول الممر الرئيسي نحو مكسيكو للاتصال بأوليد الآتي من كويواكان.

شنق الشيخ الشاب

وعلى الطريق إلى تاكوبا تشاجر القائدان الاسبانيان في شأن معسكرات قواتهما في اكولمان. وكان ذلك مثالا على سهولة لجوء الاسبان إلى المشاجرات. التي كانوا يجدون دائماً الوقت والهمة الكافيين لخوضها فيما بينهم. وكان الفارادو وأوليد قد سبق لهما التشاجر. وكاد جنودهما يحذون حذوهما. عندما عاد الجميع واستمعوا إلى نصائح العقلاء. وعلم كورتيث بذلك فلام ضابطيه بعنف. ولاحظ الفارادو ان كسيكوتنكاتل اختفى. وأسباب اختفائه غامضة وتختلف فيها الروايات. وعلم كورتيث بالأمر. فأرسل اليه يدعوه إلى العودة. ومن الواضح. مهما كان سبب غياب كسيكوتنكاتل. ان شيخ القبيلة الشاب كان مستاء جداً من سياسة الاسبان. وقد أرسل كورتيث أوخيدا إلى تلاكسكالا ليقول ان الجريمة التي ارتكبها الشيخ الشاب عقابها الموت في اسبانيا. فردوا عليه ان ما فعله هو عقابه الموت في تلاكسكالا. عندها صرخ كورتيث: «هذا



هيرنان كورتيث. كان في الثالثة والثلاثين عندما غزا مع جنوده المكسيك.

الشيخ الشاب لن يرعوي أبداً. انه لا يفكر الا بخياناتنا!» وأمر بالقاء القبض عليه. وتوسّل الفارادو الحلم. لكن كورتيث فيما كان يتظاهر بالعفو كان رجاله ينفذون أوامره ويعتقلون كسيكوتنكاتل ليشنقوه.

الموت ولا الاستسلام

خطة كورتيث كانت بسيطة: محاصرة المدينة. ولم يفته ان يترك ممراً يؤدي إلى تيبياك. على أمل ان يعمد المكسيكيون المحصورون في المدينة إلى اخلائها. لكن كورتيث لم يكن يشك في الواقع بأن سكان المدينة كانوا مصممين على واحد من أمرين: الصمود بأي ثمن. أو الموت ولا الاستسلام. فقد بحث قرار الحرب والسلم في المجلس القبلي (تلولاك) بناء على رغبة كواوتيموك. وانتصر الشبان. يساندهم الكهنة على جناح المطالبين بالرضوخ. والمفاوضة. وكان كواوتيموك بالطبع من أنصار عدم الرضوخ. واحتفل باتخاذ القرار. فجرت التضحية بأربعة أسرى من الاسبان. وبعدد من التلاكسكالتيك قدره توركيمادا بأربعة آلاف.

ووجد الاسبانيون في كواوتيموك زعيماً ذا اندفاع لا يلين. وفكر عسكري لا يستهان بقدرته. وكان الدفاع عن مكسيكو ضد الاسبان تحفة عسكرية ومثالا عالياً جداً من التفاني والجلد والمبادرة والتكيف بالطوارىء والعبقرية التقنية والبراعة التكتيكية والستراتيجية. وقام القائد الاسباني في المقابل بقيادة عملية الحصار بواسطة نظام الاشارات الذي عمل بفاعلية.

وبدأ الحصار بهجوم قام به اوليد والفارادو ضد جسور شابولتيبيك، حقق نجاحاً. وتشجع القائدان. فدفعا جنودهما على طريق تاكوبا في هجوم خطر على المدينة. وازدادت غضبة المكسيكيين على التلاكسكالتيك عملاء الاسبان. وكانوا يلقون اليهم بأيدي وأرجل الأسرى. ويصرخون في وجه الأسبان: «ايها الملاعين. دمكم سيهدىء الهتنا. وثعابيننا ستشربه. ولحمكم سيطعم نمورنا وأسودنا». وطوال مدة الحصار. ظل يهيمن على القتال طابع الحرب الشخصية والنفسية. وشبح الموت القرباني. وهذا طبع الحرب بطابع سوداوي لا يرفع ظله المقيت لا ليلاً ولا نهاراً. فسارت مجريات القتال باقدام وصلابة لا مثيل لهما في الجانبين.

وفي الجانبين كان تكتيك الحرب يتغير على مدار الأيام ومع تطور الخبرة. المدافعون بدأوا أولاً دفاعهم الستراتيجي بالهجوم المستمر والمتواصل. ورد الاسبان بهجمات متواصلة أخرى على الطرق. وعلى أسراب الزوارق التي كانت تهاجمهم من الماء. وفي بداية هذه المرحلة تم تدمير جسور شابولتيبيك في ٢٦ أيار (مايو) ١٥٢١. وفي ٣١ ايار (مايو)، استقر ساندوفال وجيشه في ايزتابالابا. التي اخلاها سكانها المكسيكيون على عجل. وانطلق كورتيث بسفنه الثلاث عشرة ليمد له يد المعونة. ولكنه قرر أثناء المسير. ان يستولي على صخرة تيبوبولكو. وهي قلعة طبيعية ترتفع في وسط بحيرة تيتزكوكو. وقد استولى عليها عنوة بفضل حيويته ومثابرته. على الرغم من صعوبة الموقع والمقاومة البطولية التي ابدتها الحامية. وكتب كورتيث للامبراطور شارلكان: «لقد جرحوا ٢٥ من رجالي الاسبان. لكنه كان انتصاراً عظيماً» ●

(الحلقة الثانية في العدد المقبل)

— عن مجلة «التاريخ للجميع» الفرنسية —

كلام الصور من مجلة «Histoire pour tous»

الفراعنة والرياضة

١

د. سيد كريم



المصارعة والسباحة والغولف وبنغ بونغ .. فرعونية الأصل

● صحة النفس من صحة العقل. وصحة العقل من صحة الجسد.

«الحكيم اني-كتاب الموتى-متون العقيدة»

هكذا احتلت الرياضة مكانها بين دساتير حياة المجتمع التي ربطها الفراعنة بالعقيدة فوضعوا تشريعات لاصولها ونظماً لقواعدها. أصبحت الرياضة ركناً من أركان العقيدة وضرورة من ضرورات الحياة، وضعوا لها قواعد ونظريات،بممارستها كعلم من علوم الحياة وفن من فنونها أضفت عليه العقيدة قدسيّة أسوة بمختلف المقومات التي أرست دعائم الحضارة المصرية القديمة وطبعتها بطابعها المميز الذي جمع بين الاصالة والاستمرار والخلود.

بذلك قدم الفراعنة للعالم أسس مثلث الرياضة والألعاب الرياضية الذي نطقت به حكمة العقيدة ذلك المثلث المرتبط الاضلاع الذي يتمثل في رياضة الروح أي الرياضة النفسية.. ورياضة العقل أي الرياضة

الذهنية.. ورياضة الجسد اي الرياضة البدنية. ظهرت جميعها مع أول شعاع في فجر الحضارة واستمرت عبر تاريخ البشرية تمسك قبضتها بشعلة الألعاب الأولمبية وتترك بصماتها على مباريات العصر الحديث.

الألعاب الرياضية:
الرياضة البدنية

● الصيد والرماية:

أقدم رياضة عرفتها البشرية .. نشأت مع الانسان كسنة من سنن الطبيعة ووسيلة للابقاء على حياته. مارسها بالغريزة كبقية كائنات المجتمع الحيواني الذي يحيط به ليدافع عن نفسه بما أمدته الطبيعة به من أسلحة في مقدمتها العقل، ويحصل على غذائه بما يقوم باصطياده وافتراسه ممن يشاركه عالم الغابة. رياضة تطورت بتطور المدنية. لقد تحول من الدفاع عن نفسه وبيته وأرضه من الحيوانات الضارية إلى الدفاع عن نفسه وبيته وأرضه من المغيرين والمعتدين من بني جنسه. تحولت أسلحته من أسلحة لرد عدوان الجنس الحيواني، إلى أسلحة لرد عدوان الجنس الانساني كوسيلة جديدة للابقاء على حياته تحولت رياضة صيد الحيوان.. الى رياضة صيد الانسان..

فرياضة الصيد والرماية في مصر القديمة هي أقدم رياضة مارسها المصري القديم.

كانت صحاري مصر عامرة بالحيوانات كما ظهرت بوفرة في النقوش والرسوم القديمة ولم يبدأ انقراض بعض أنواعها أو اختفائها إلا في القرن العاشر قبل الميلاد. وأهم حيوانات الصيد التي كثيراً ما رسمت على الآثار منذ فجر التاريخ هي السباع والفهود والفيلة والزراف والنعام والضباع والوعول والغزلان والثيران البرية وفرس النهر والتماسيح والثعالب والارانب البرية.

تدل رسومات الصيد في الدولة القديمة أن المصريين قد وضعوا الاصول الفنية لصيد مختلف أنواع الحيوانات وفي مختلف مناطق الصيد كما عرفوا طريقة اقامة السياج حول مناطق شاسعة من الارض يقوم الصيادون بدفع حيوانات الصيد داخلها ثم تبدأ بعد ذلك رياضة الصيد بالسهام وبالاستعانة بكلاب الصيد وقد سجل الفنان المصري القديم بمهارة فائقة مناظر حلبات الصيد وما يدور فيها ابتداء من اعداد السياج وطريقة استعمال مختلف الاسلحة والعودة بالغنائم. وكثيراً ما كانت الزوجة تشارك زوجها وترافقه في رحلات الصيد وتقوم بالعناية بكلاب الصيد واعداد غنائم الصيد وقد عثر على أكثر من لوحة من لوحات الصيد في الاسرتين الثالثة والرابعة تظهر بها زوجة الأمير أو النبيل وهي ترافق زوجها في طريقه الى الصيد وفي بعضها تحمل له السهام أو اقواس صيد الطيور، وكثيراً ما كان ملوك تلك الأسرات يأخذون معهم في الصيد بعض أتباعهم من الصيادين المحترفين وخاصة في رحلات الصيد الخطرة.

وكان الصيد في الدولة الحديثة من أحب ملاهي الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة. وكان الملوك يتفاخرون بشجاعتهم وقوة سواعدهم ومهارتهم الفائقة في إصابة الأهداف.

فيصف تحتمس الثالث كيف خرج في رحلة لصيد الأفيال في سوريا فاصطاد منها مائة وعشرين فيلاً. وقد رمى فيلاً ضخماً دون أن يصيب منه مقتلاً فهجم عليه الفيل وكاد يفتك بالملك الجريء لولا تعريض قائده العظيم امنمحب حياته للخطر ومبادرته بقطع خرطوم الفيل.

ويفخر الملك امنحوتب الثالث بأنه في العشر سنوات الأولى من حكمه قد اصطاد مائة سبع وسبعين وستة وتسعين فيلاً، وسجل سيتي الأول في لوحات الصيد كيف كان يترك عجلته ويذهب وحده راجلاً يصحبه كلبه الامين ورسم كيف كان يصارع الاسد وجهاً لوجه باستعمال الحربة التي يشق بها صدر الاسد بضربة واحدة.

ومن أكثر ملوك الفراعنة هواية بالصيد رعمسيس الثاني الذي كان يملك أسداً أليفاً يتبعه كالكلب ويرافقه في القتال وكان يرقد ليلاً في المعسكر أمام مخيم سيده الملك وقد أطلق عليه اسم «السيد».

ومن أشهر مباريات الصيد وأخطرها في نظر المصريين كان صيد التمساح وفرس النهر في «برك سايس» شمال الدلتا باستعمال الحراب والرماح وقد عني المصريون بكلاب الصيد ودربوها على مطاردة الأنواع المختلفة من الحيوانات وعلموا الكلاب كيف تحاصر إناث الغزال وصغاره وتمنعها من الحركة حتى يصل الصياد ويقيدها بالشباك أو الحبال ويحملها معه. إذ كانوا يحرمون قتل اناث الغزال وصغاره أو حتى اصابته بالاسلحة. كما دربوا كلاب الصيد على حماية خيام

الصيد وأوكاره من الافاعي والزواحف أثناء الليل.

وفي الدولة الحديثة قاموا بتدريب القطط على صيد الطيور وكان الصياد يحمل هره معه ويطلقه خلف الطيور التي يصيدها بعصا الرماية.

صيد الطيور:

كان صيد الطيور من الهوايات المحببة لدى المصريين فكانت تجمع بين الرياضة والمتعة وكثيراً ما كان الصياد يصطحب زوجته وأولاده لمشاركته في متعة الصيد.

وقد استخدموا عدة طرق لصيد الطيور في مقدمتها ومن أقدمها عصا الرماية (البومبرانغ) (   ) وهي عصا خشبية معقوفة الطرف شكلت بأشكال هندسية دقيقة الصنع، كانوا يقذفونها الى اعلى بخفة وبسرعة بين أسراب الطيور فتدور في اتجاهات سريعة ثم تعود الي راميها فيتلقفها وهو قائم في موضعه بعد أن يصيب الطير الذي يتساقط حوله. وقد وجدت منها مجموعات كاملة في مقابر الدولة القديمة وعصر ما قبل الأسرات كما احتفظ توت عنخ امون ببعض انواعها الدقيقة الصنع ضمن أثاثه الجنائزي.

والطريقة الثانية التي برعوا بها في رياضة صيد الطيور استعمال الشباك الكبيرة وترى ممثلة في مقابر سفارة وبني حسن وكانت تصنع من ألياف النخيل وخيوط الكتان.

وشباك صيد الطيور كانت تصنع أيضاً وفقاً لاشكال هندسية من أشهرها الشبكة السداسية ويبلغ طولها ثمانية أذرع وعرضها أربعة اذرع، وكانت تغمر بقاعدتها المسدسة الشكل في الماء بعد اخفائها تحت النباتات المائية. فعندما تحط اسراب الطيور في الماء وتتجمع فوقها يشد الصيادون طرفي الشبكة المتصلة بحبال يمسكون باطرافها ويجذبونها بشدة وبحركة سريعة وهم مختفون بين عيدان البردى فتنطبق الشبكة وهي ممتلئة بصيدها.

أما في صيد الاسماك فقد كان المصري القديم أول من ابتكر الشص (السنارة) وأول من استعملها، صنعها من البرونز كما ابتكر رياضة صيد الاسماك بالحراب والخطاف وهي الرياضة التي انتقلت الى استراليا مع الصيد بالبومبرانغ.

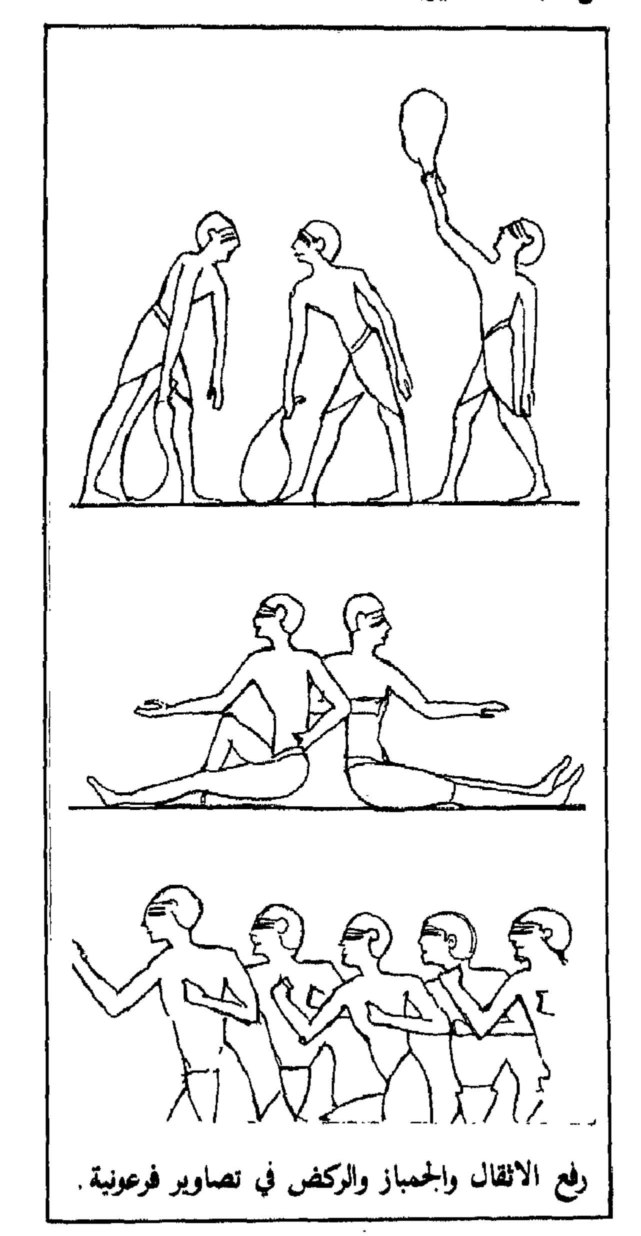
أما صيد الاسماك بالشباك فقد ظهرت رسومها



● مبارزة بالسيف من زمن الدولة القديمة قبل ٥٠٠٠ سنة.

على جدران كثير من المقابر ابتداء من الاسرات الاولى والدولة القديمة وقد وجدت الشبكة التي يلقيها الصياد بمفرده في الماء في جميع العصور بالطريقة نفسها التي تستعمل بها الآن. ثم الشباك الكبيرة التي يشترك في سحبها مجموعة من الصيادين وكانت لها عوامات من الفلين والخشب من أعلى واثقال من اسفل وكان نسيجها متسع الفتحات لتترك المجال لمرور الاسماك الصغيرة وعدم صيدها لتكاثرها حفاظاً على الثروة المائية كما استعملت الشباك المماثلة التي تجرها سفينة أو تشد بين قاربين.

كما ظهرت أنواع عديدة من الشباك اليدوية ذات المقابض الطويلة أو الأواني الشبكية المعروفة باسم «البجمة» التي ما زال استعمالها سائداً الى الآن في كثير من البلاد الاسيوية.



رفع الاثقال والجمباز والركض في تصاوير فرعونية.

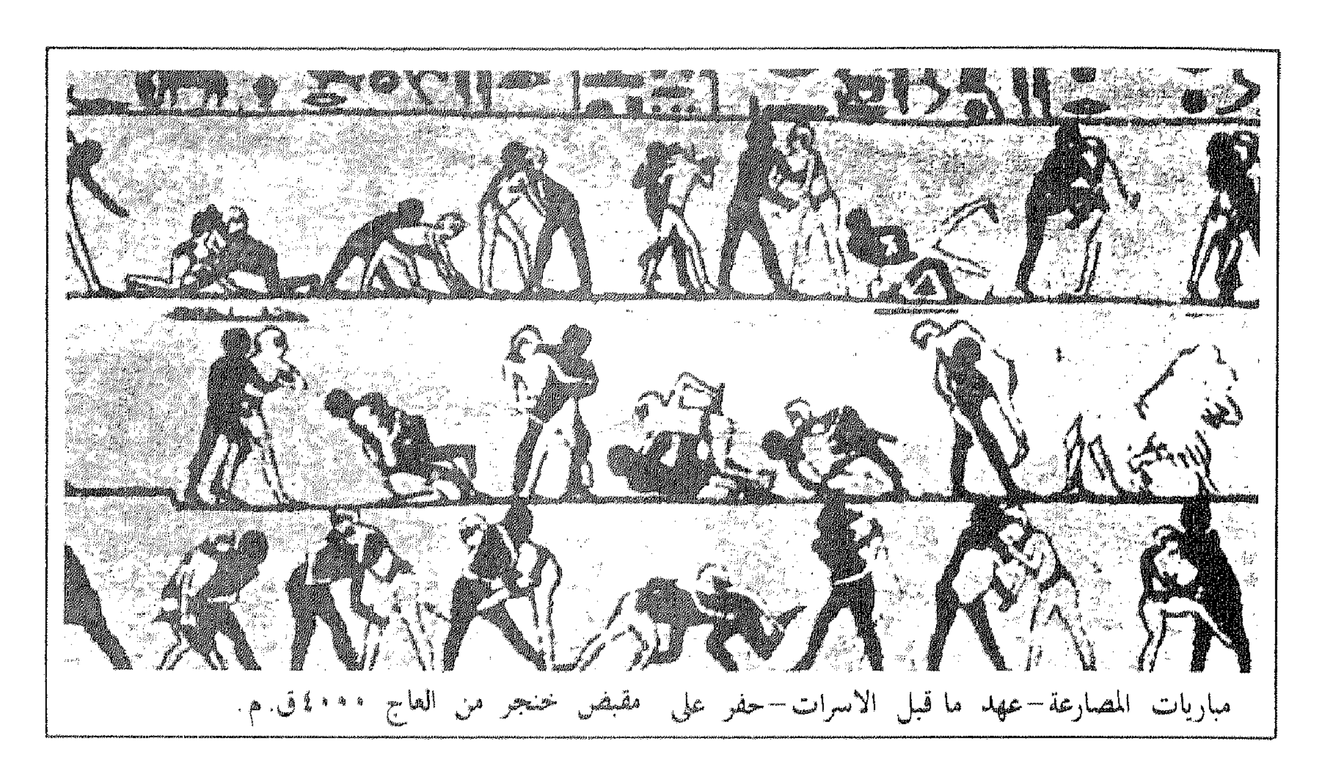
● المصارعة :

ظهرت رياضة المصارعة ومبارياتها في كثير من النقوش واللوحات القديمة في عصور ما قبل الاسرات. فقد ظهرت محفورة باتقان على لوحات من العاج ومقابض الخناجر التي ترجع الى عصر نقادة الاولى كما وجدت أمثلة منها محفورة على مقابض الاسلحة ولويحات الاوستراكا في مقابر الاسرة الأولى مما يدل على أنها استمرار لطرق واصول منظمة ظهرت قبل ذلك العصر بفترة طويلة.

وتعتبر المصارعة من أقدم أنواع الرياضة التي عاصرت رياضة الصيد في جميع مراحلها. وكانت موضع اهتمام خاص في الدولة القديمة. إذ كان يمارسها الشعب بجميع طبقاته، وكانت من الالعاب الرياضية التي تدرس في المدارس وتعقد لها المباريات في مختلف المناسبات الدينية والشعبية والاعياد القومية وتعد لها ساحات خاصة في الاسواق والميادين. وفي لوحات الدولة القديمة وجد كثير من الصور والنقوش التي تمثل أوضاع المصارعة التي كان يدرب عليها الاطفال والشباب من الصغر، وقد وضعت لها قواعد واصول وأشرف عليها معلمون ومدربون محترفون.

وقد سجلت إحدى اللوحات المنقوشة على جدران مقبرة الوزير بتاح حوتب (الاسرة الثالثة ٢٤٠٠ ق.م) مختلف أوضاع المصارعة التي يؤديها الصغار من الشباب ويشترك معهم ابن الوزير وتظهر الرسوم الاصول الفنية وبساطة أوضاعها التي وضعت لتلك المصارعة والتي تختلف عن اصول المصارعة وحركاتها التي وضعت لمختلف الاعمار والمستويات. وسجلت برديات ذلك العهد اهتمام أبناء الملوك والأمراء وتفاخرهم. باقتنائها والتفوق فيها في المباريات العامة كما كان هنالك مدرب خاص لابناء الملك خوفو يشترك معهم في التدريب أبناء الامراء وكبار رجال الدولة.

تحوي مقابر بني حسن (مقابر حكام اقليم الغزال – الاقليم السادس عشر من أقاليم الوجه القبلي) مجموعات قيمة من صور المصارعة وهي منحوتة في الصخر أو منقوشة على الجدران برسوم ملونة فوق طبقة من الملاط ومن أهم المقابر التي احتفظت بتلك النقوش مقبرة الحاكم اميني ومقبرة باقت ومقبرة خيتي التي تجمع بين المصارعة والتدريبات الرياضية العسكرية وتشرح صور المصارعة في مقبرة اميني الكثير من أوضاعها



مباريات المصارعة—عهد ما قبل الاسرات—حفر على مقبض خنجر من العاج ٤٠٠٠ ق.م.

وتفاصيل حركاتها الفنية التي كان يؤديها خبراء ذوو مران. وتشير برديات ذلك العصر إلى انه كان بينهم محترفون يتكسبون من مبارياتهم وعرض العابهم وكانت هناك القاب خاصة للمجترفين والمدربين كما كان لرياضة المصارعة وأبطالها رعاية خاصة من امراء الاقاليم الذين كانوا يجدون متعة كبيرة في مراقبة تمريناتهم الرياضية. وكان لكل اقليم فريق خاص يعتز به ويشترك به في المباريات العامة والدورية بين الأقاليم.

وفي احدى لوحات مقابر بني حسن رسم المصور المصري القديم ٢٢٠ وضعاً مختلفاً من اوضاع المصارعة تشرح قواعدها واصولها وتقاليدها وتشرح بعض الرسوم كيفية بداية المباراة عندما يواجه كل من الخصمين زميله ويتمهل في الهجوم حتى يفرغ خصمه من عقد حزامه حول خصره لم تبدأ المباراة باشارة متبادلة من كليهما وتبدأ المباراة هادئة ومنظمة وتتطور الى العنف بعد أن يدرس كل منهما خصمه بدقة.

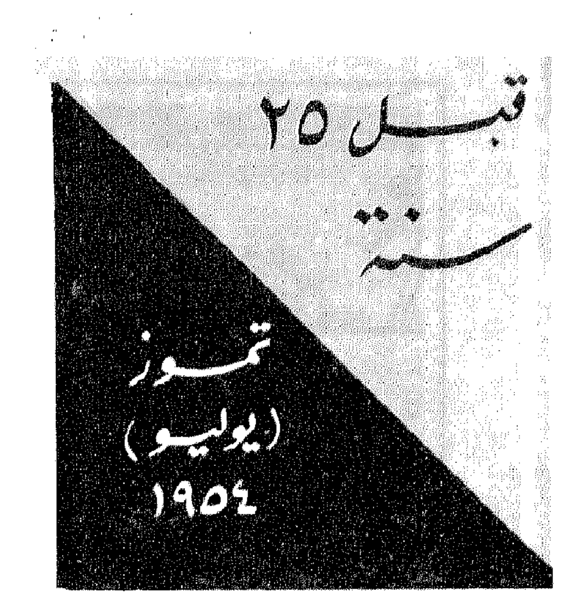
وفي الدولة الحديثة (١٥٧٠—١١٥٠ق.م) دخلت المصارعة مرحلة أخرى بعدما أصبحت من التدريبات العسكرية التقليدية وظهر ما اطلق عليه المصارعة المسلحة والتي تشبه الى حد كبير تدريبات فرق الفدائيين. وكانت تقام لها مباريات خاصة في المناسبات العسكرية القومية وأعياد النصر الحربي وفي الحفلات التي كانت تقام خاصة عند تلقي الجزية من المستعمرات المصرية في عهد الامبراطورية.

كما كان يشترك في المباريات ضباط من الأجانب والمصارعين من الاسرى الذين كان يكافئهم فرعون بتحريرهم والافراج عنهم اذا انتصروا في المباريات. كما كانت تظهر فرق المبارزة من المحترفين والمدنيين بفرقهم الخاصة لمباراة العسكريين.

وبدراسة المباريات الرياضية في الدولة الحديثة نجد انها وضعت اسس المباريات العالمية في الرياضة حيث كانت تقام المباريات في بلاط رعمسيس الثاني وتظهر فيها جنسيات مختلفة من المتبارين وكانت تغطي رؤوسهم وأذقانهم احزمة من الجلد ويظهر الفريق المنتصر وهو يتقدم لتقبل التهنئة والهدايا من الملك. وكان الأمراء والنبلاء يتنافسون في الاشتراك في تلك المباريات لاظهار مهارتهم ومقدرتهم أمام الملك.

وكما كان لبداية المصارعة تقاليدها التي صورتها نقوش الدولة الوسطى فقد ظهر تقليد جديد في الدولة الحديثة إذ كانت المباراة تبدأ بأن يشد كل لاعب على يد منافسه بيسراه ويجذب عنقه بيمناه وهو تقليد يهدف به اللاعب إلى اختبار بأس خصمه. كما كان يشترط للفوز أن يجبر المغلوب على أن يلمس الارض بثلاث نقط كاليدين والركبة والاكتاف ويتساوى أن تمدد المغلوب على بطنه أو على ظهره.

ومما يلفت النظر أن تلك الاشتراطات تعتبر من اصول القواعد التي تخضع لها مختلف العاب المصارعة في العصر الحديث ●



إعداد : إيمان نويهض

١ ، تموز (يوليو) :

● الصاغ صلاح سالم ، وزير الإرشاد القومي في مصر ، يواصل اتصالاته السياسية مع المسؤولين اللبنانيين.

٢ ، تموز :

● الحاكم العام الفرنسي في تونس يستدعي الاحتياطي في تونس بعد ازدياد موجة العنف المضادة للفرنسيين ؛ بينما يطلب الحاكم العام الفرنسي في مراكش من الشعب المغربي العودة إلى الهدوء والابتعاد عن العنف بعد اغتيال أحد الصحفيين الفرنسيين في مراكش.



● الملك حسين.

٥ ، تموز :

● الملك حسين ، ملك الأردن ، يبعث برسائل إلى الملوك والرؤساء العرب طالباً دعم الأردن ضد إسرائيل ؛ وذلك بعد توتر استمر عدة أيام في أحياء القدس وتدخل لجنة الهدنة المشتركة لوقف إطلاق النار.

٦ ، تموز :

● أريك جونستون ، المبعوث الأميركي الخاص إلى الشرق الأوسط ، يعلن بعد عودته إلى الولايات المتحدة أن الأردن وسوريا ولبنان واسرائيل مستعدة لاقتسام مياه نهر الأردن.

٨ ، تموز :

● بعد نزول ثلاث فرق عسكرية في تونس واستقالة حكومة التسع عشرة سنة أمام الانتفاضة الشعبية ، الاحتلال الفرنسي يسعى إلى تأليف حكومة عسكرية برئاسة فرنسي بعد تعذر الحصول على شخصية تونسية تقبل المنصب.

● رئيس الوزراء اللبناني عبد الله اليافي يبدأ اتصالاته السياسية في القاهرة.

٩ ، تموز :

● الأردن وسوريا يعلنان فتح قنصلية لكل منهما في عاصمة الآخر.

● الصاغ صلاح سالم يصل إلى اليمن ويتفق مع إمامها على ضرورة تغليب المصلحة العربية على أي اتفاق مع دولة غربية.

١٠ ، تموز :

● افتتاح أول مؤتمر سياحي عربي في الاسكندرية.

● الحبيب بورقيبة زعيم حزب الدستور الجديد يقترح :

١ – العودة إلى معاهدة باردو المعقودة سنة ١٨٨١ والتي تعطي فرنسا حق التمثيل الدبلوماسي وإقامة القواعد العسكرية في تونس.

٢ – إلغاء معاهدة ١٨٨٤ التي تشترط الموافقة الفرنسية على كل قرار تونسي.

٣ – إعلان صريح من الفرنسيين يتضمن حق التونسيين في حكومة مستقلة.

١٣ ، تموز :

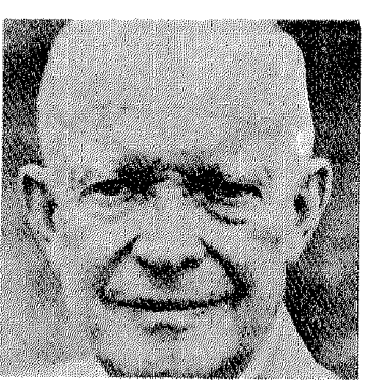
● إضراب في مراكش ضد الإجراءات الانتقامية التي يقوم بها الاحتلال الفرنسي.

١٤ ، تموز :

● حكومة عبد الله اليافي اللبنانية تنال ثقة المجلس النيابي مجدداً .

١٥ ، تموز :

● الأمير عبد الإله ، ولي العهد العراقي ، يصل بيروت تلبية لدعوة رسمية.



ايزنهاور

● بعد عودة المفاوضات البريطانية المصرية حول السويس ، الرئيس الأميركي ايزنهاور يعلن في رسالة للرئيس المصري محمد نجيب استعداد الولايات المتحدة لدعم مصر اقتصادياً وعسكرياً بعد الاتفاق حول السويس.

١٧ ، تموز :

● الولايات المتحدة ترحب باتفاق حول القناة يعقبه دخول مصر في «حلف للدفاع عن الشرق الأوسط». ولكن مصر رفضت فيما بعد الدخول في أي حلف واختارت سياسة عدم الانحياز.

١٩ ، تموز :

● بعد اتهامات يمنية متكررة باختراق سلاح الجو البريطاني الأجواء اليمنية عدة مرات ردّت الخارجية البريطانية على هذه الاتهامات بعنف متهمة اليمن بدعم الثورة في عدن.

٢٠ ، تموز :

● مباحثات مصرية – سعودية في القاهرة تؤكد على ضرورة توحيد الجيوش العربية وخاصة على صعيدي التدريب والتسليح.

٢٢ ، تموز :

● عشية الذكرى الثانية لثورة ٢٣ يوليو رئيس الوزراء المصري جمال عبد الناصر يتهم اسرائيل بعرقلة قرارات الأمم المتحدة ودفع المنطقة إلى حافة الانفجار.

٢٣ ، تموز :

● احتفالات الذكرى الثانية لثورة ٢٣ يوليو تعمّ مصر. والقاهرة تشترط بياناً عراقياً يؤكد عدم الدخول في أحلاف دولية للموافقة على مؤتمر قمة عربي.

٢٦ ، تموز :

● افتتاح البرلمان العراقي الجديد بخطاب للعرش ألقاه الملك فيصل الثاني أكّد فيه قبول نوري السعيد تأليف حكومة جديدة ، بينما أعلنت الجبهة الوطنية في العراق تأليف تكتل نيابي مؤمن بتحرير فلسطين ورافض لدخول العراق في أي حلف غربي.



● جمال عبد الناصر.

٢٧ ، تموز :

● التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق الجلاء عن قناة السويس: جمال عبد الناصر عن الجانب المصري ، ووزير الحربية البريطاني انطوني هيد عن الجانب البريطاني. مدة المعاهدة ٧ سنوات تشمل انسحاب ٨٠ ألف جندي بريطاني عن السويس وإبقاء مشرفين بريطانيين مع العمال المصريين مع حق بريطانيا بالعودة إلى قاعدتها في حالة تعرض تركيا أو أية دولة عربية لهجوم عسكري.

٣١ ، تموز :

● رئيس الوزراء الفرنسي يبلغ الباي التونسي استعداد دولته للتخلي عن الحكومة الداخلية مع الاحتفاظ بحقيبتي الدفاع والخارجية.

● بعد يومين من التظاهرات الدامية والاضرابات في بيروت وصيدا : الجيش اللبناني يعود إلى ثكناته والهدوء يعمّ بيروت.

الهند

مات الأمير .. فروى أخوه القصة لأمه .. بالشطرنج

محمد مراد بكر



● مهما اختلفت الروايات والاساطير، فهناك أكثر من دليل على أن هذه اللعبة ترجع في نسبها إلى الهند. وقد ذكرنا في مقال سابق ما كتب عن الصين في هذا المضمار واشرنا إلى أن بعض المراجع الصينية كانت تشير تشيرياناً إلى أن اصل هذه اللعبة هو الهند وان ما وجد في الصين لم يكن سوى العاب تشبه الشطرنج. في الادب الهندي القديم وصفت لعبة تدعى الشاطورنجا. تشبه كثيراً الشطرنج المعروف حالياً، ولعل قصيدة «بانا» في القرن السابع الميلادي هي اقدم مخطوطة تذكر شيئاً عن الشاطورنجا. وهناك قصيدة اخرى لروتناكارا في كشمير وكتاب «هالا يودها» في القرن العاشر الذي يصف في فصل من فصوله الشاطورنجا وخاناتها الاربع والستين.

اجمل الاساطير واغزرها ذكرتها الشاهنامة للفردوسي كما اعاد ذكر بعضها المسعودي في كتابه مروج الذهب وسنعود إلى ما ذكره المسعودي وما كتبته الشاهنامة حول هذا الموضوع لنشير الآن إلى منسوخة عن الشطرنج كتبت على ما يظهر في عهد تيمور او بعده بقليل، وتحتفظ بها الجمعية الآسيوية في لندن.

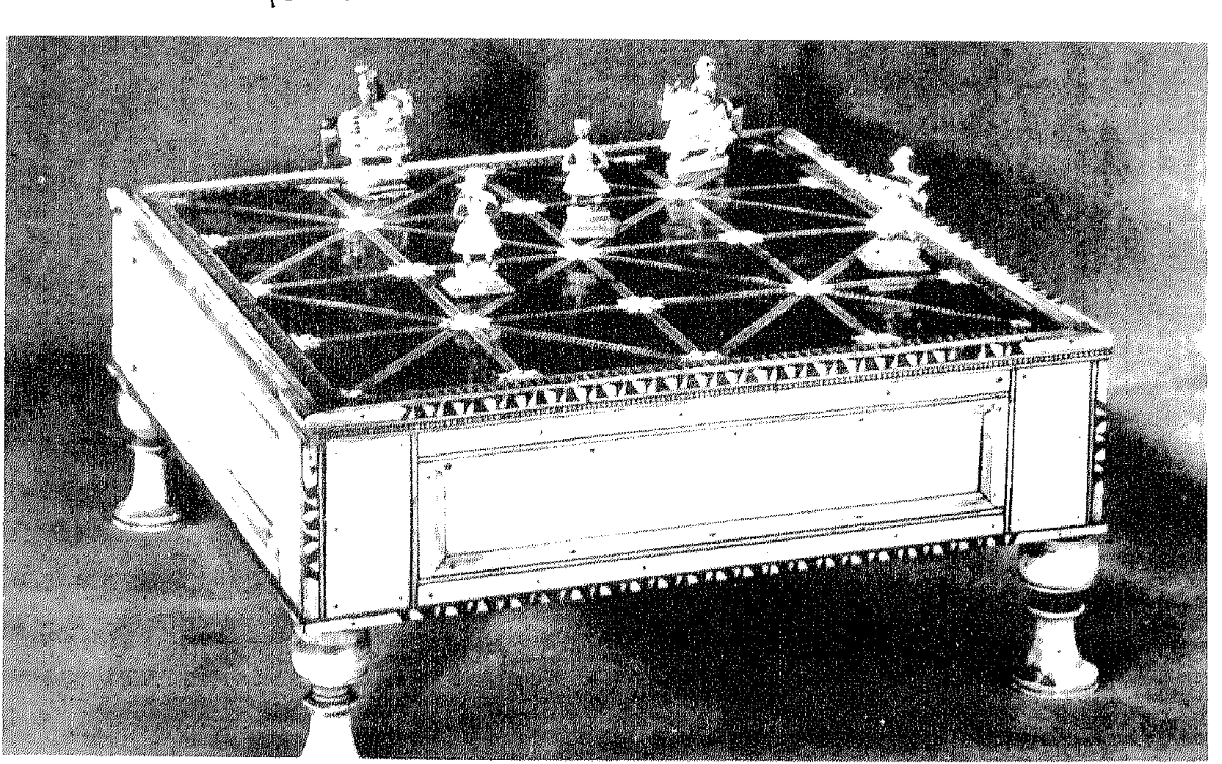
كاتب هذه المنسوخة مجهول وهو يروي فيها ثلاث قصص عن اصل الشطرنج ويحدد ساساً او صصه لا كمخترع لهذه اللعبة انما كواحد من الذين عدلوا في الشطرنج.

الشطرنج بعد الحرب:

القصة الاولى هي عن ملك هندي يدعى قايد، اصابه الملل بعد عدة معارك قهر بها اعداءه ونزع بها من انفسهم شهوة التحرش به، فنعم شعبه بالسلام والطمأنينة، هذا الهدوء اغرقه في سأم ازعجه واقض مضجعه، فدعا وزيره صصه ابن داهير ليجد له شيئاً يرفه عنه ويسليه، فقام صصه باختصار لعبة الشطرنج وقدمها لمليكه يملأ بها فراغه، فتعلمها الملك بسرعة واخذ يمارسها بانتظام بلذة ابعدت عنه سأمه، فطلب من وزيره أن يحدد المكافأة التي يريد، فقال له صصه يكفيني من الدراهم الفضية ما تملأ به خانات الشطرنج على الشكل التالي، درهم في الخانة الاولى واثنان في الثانية، اربعة في الثالثة وثمانية في الرابعة وهكذا يضاعف المبلغ في كل خانة إلى أن نصل إلى الخانة الرابعة والستين، ولكن المبلغ الحاصل كان من الضخامة بحيث تعذر تلبيته، عند ذلك رفض الوزير العاقل الهدية مفضلاً الحكمة على الغنى ورضا الملك عن أية هدية.

وفي قصته الثانية يقول: عندما توفي الملك فور ورث العرش ابنه الوحيد، وكان يافعاً قليل الخبرة لا يعرف شيئاً من فنون الحرب، فطمع به جيرانه من الملوك واستعدوا لمعركة يقتسمون بها مملكته، فما كان من المليك الشاب الا أن جمع حكماء المملكة طالباً منهم ارشاده، فهو يرى ان لا بد من رفع الحسام بوجه اعدائه، ولكن انى له أن يستطيع قيادة جيشه وهو الذي لم يشترك مرة في معركة ولا يعرف كيف تكون الحرب. وكان صصه بن داهير الوزير الاول في البلاط يتقن الشاطورنجا فأخذ يستنبط منها لعبة مختصرة يسهل تعلمها. ثم قام إلى مجلس مليكه حاملاً معه الشطرنج واخذ يشرح له مبادئها: هذه يا سيدي لعبة الحرب، وهكذا توضع الخطط، ولم يزل حتى اتقنها المليك الشاب، فأقدم على قيادة جيشه ولم يعد الا وقد تغلب على جميع اعدائه، وما أن استقر به المقام في مملكته حتى عاد يقضي بقية حياته إلى جانب الشطرنج الذي انقذ له شرفه وشرف شعبه.

قصته الثالثة رويت بتفصيل اكثر في الشاهنامة لأبي القاسم الفردوسي. والشاهنامة هي قصيدة تحوي مائة وعشرين الف بيت من الشعر الفارسي، ترجمها نثرا الفتح بن علي البنداري وقارنها بالأصل الفارسي واكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام.



الشاطورنجا: اللعبة كما بدأت في الهند.

جاء في الجزء الثاني من الطبعة الاولى الصادرة سنة ١٩٣٢ من الصفحة ١٤٧ إلى ١٥٤ ما يلي عن الشطرنج ننقله بحرفيته مع تعليق الدكتور عزام.

حرب الاخوين

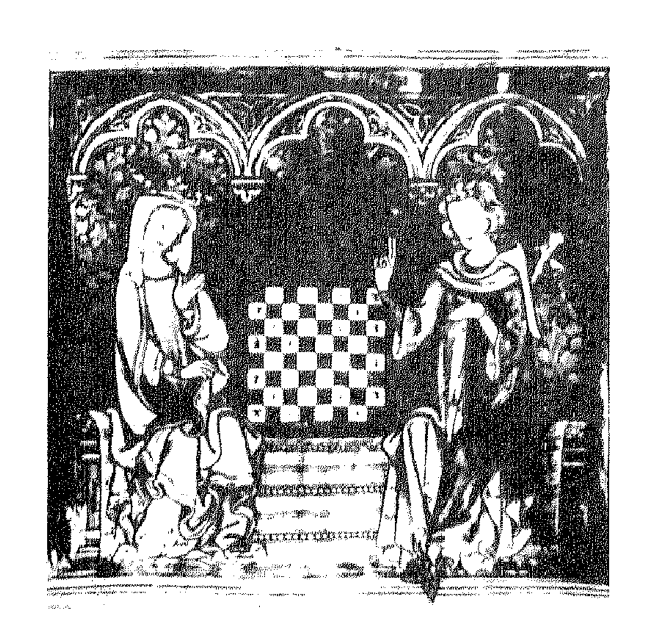
كان في بلاد الهند في ذلك الزمان ملك يسمى جمهور. وكان له الأمر على تلك الممالك من حد كشمير إلى ارض الصين. وكانت مدينة سندلي دار ملكه ومستقر جنوده ومخبأ خزانته. وكانت له زوجة من بنات الملوك موصوفة بالرأي والعقل. فرزق منها ولداً سماه كوا (وفي مكان آخر دعاه غو)، فمات الملك بعد ولادة هذا الابن عن قريب واوصى إلى زوجته. فاجتمعت الجنود عليها وبقيت تنهي وتأمر. وكان لزوجها اخ اسمه ماي وكان يسكن مدينة زنبر. فقدم وتزوج بزوجة اخيه، وقعد مقعده من سرير السلطنة، واجتمعت عليه العساكر. فكان يدبر امورهم ويسوس جمهورهم. فرزق منها ابناً وسماه طلخند. فمات بعد سنتين من ولادة هذا الصبي. فاجتمعت العساكر واتفقت كلمتهم على تقديم زوجة الملك والرضا بسلطنتها. فأرسلوا اليها واشاروا عليها بأن تتقلد الأمر وتقوم بالملك وكفالة الولدين إلى أن يصلح احدهما للتقدم والسلطنة. وكان احد الولدين ابن سبع سنين والآخر ابن سنتين.

(ونوجز القصة هنا نظراً لعدم علاقتها بالموضوع).

كبر الولدان وكان كل منهما يطمع بالملك، ولم يرض طلخند أن يبايع اخاه الأكبر، فدبت بينهما عقارب الشحناء يغذيها اهل النفاق فوقعت الحرب بينهما، وتغلب رجال غو فتفرق اصحاب طلخند، ولما وجد الأخير نفسه وحيداً في المعركة فاضت روحه من الاسف والهم. فنقله اخوه بتابوت من العاج إلى دار ملكه.

(ونعود هنا إلى نص الشاهنامة).

وكانت امها مضطربة تنتظر ما تسفر عنه تلك الوقعة ترجف احشاؤها وتضطرب فرائصها وقد ارصدت على المراقب ربايا حتى يأتوها بالخبر. فلما طلعت رايات غو وفقدت اعلام طلخند انهي اليها الخبر. فمزقت الثياب على نفسها واخذت في البكاء والعويل. ثم دخلت إلى ايوان طلخند، واحرقت جميع ما كان له من الاثواب والاسلحة، واوقدت ناراً عظيمة وعزمت على أن تلقي نفسها فيها، على آيين الهنود ورسمهم. فلما اعلم غو بذلك، تقدم راكضاً حتى اتاها فأمسكها



وضمها إلى صدره، واخذ يسليها ويعزيها ويخبر أنه لم يباشر قتل اخيه ولا احد من اصحابه وذويه، وانه لم يمت الا حتف انفه. فلم تصدقه امه على ذلك واخذت تعنفه وتوبخه. فحلف لها على ذلك بالايمان المغلظة. ثم قال لها: ان كذبتني فيما اقول احرقت نفسي. وعزم على ذلك فرقت امه وقالت: اذا كان الأمر على ما ذكرت فأبن لي ما جرى في هذه الوقعة، وكيف كان موت طلخند، فلعلي اتسلى بذلك فينجلي عني بعض ما بي من الهم والحزن والجزع والأسف. فانصرف غو إلى ايوانه، واحضر وزيره وفاوضه فيما دار بينه وبين امه، وذكر له ما التمسته منه. فأخذا يتشاوران ويتفاوضان فقال الوزير: الرأي أن نجمع علماء الهند ونأمرهم باعمال الفكر في حكاية صورة المعترك بما اشتمل عليه من العساكر والحفائر، وكيفية موت الشاه طلخند. فبثوا الرسل في بلاد الهند وجمعوا العلماء عند الملك فاوقفوهم على صورة المعترك وما جرى فيه. فخلوا وباتوا ليلتهم في ذلك الفكر حتى اصبحوا. فاستحضروا الابنوس وعملوا تختاً، وصوروا فيه مائة بيت. ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين معتصبين بالتاج مع جنودهما وخيولها وفيولها. ثم صفوها صفوفاً فجعلوا كل واحد من الشاهين في قلب عسكره وعلى يمينه وزيره، والى جانب كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلان يتنقلان في ثلاثة بيوت. وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ودونهما فرسين عليهما فارسان، ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنة ويسرة، لا يقف

قدامها احد. ورتبوا الرجال مصطفين امام الكل. ومهما انتهى واحد منهم إلى آخر المعترك صار في مرتبة الوزير، يقعد بجانب الشاه ويختلف بين يديه. ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين اذا رأى الشاه في بيت صاح واشار اليه بالاحجام والتنحي من ذلك البيت. ثم أن احد المعسكرين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه فنظر فرأى عساكر العدو قد احاطوا به من كل جانب، وسدوا عليه كل مسلك فمات من الهم والاسف ما بين المعترك.

قال فكانت ام طلخند تشاهد الشطرنج يلعب به عندها فتتعرف احوال ذلك المعترك الذي جرى فيه على ولدها ما جرى. ولم يزل ذلك دأبها إلى أن قضت نحبها.

ويعلق الدكتور عزام فيقول:

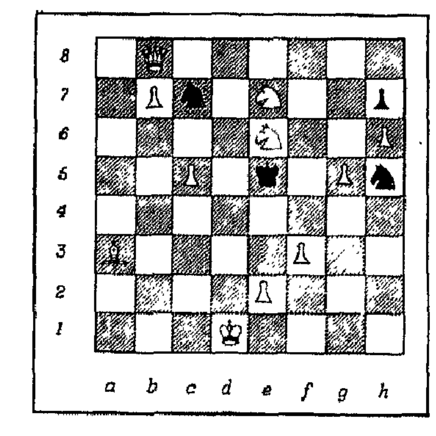
اختلفت اساطير الأمم في الشطرنج فنسب إلى امم كثيرة وإلى اناس عديدين. وكذلك كثر جدال الباحثين.

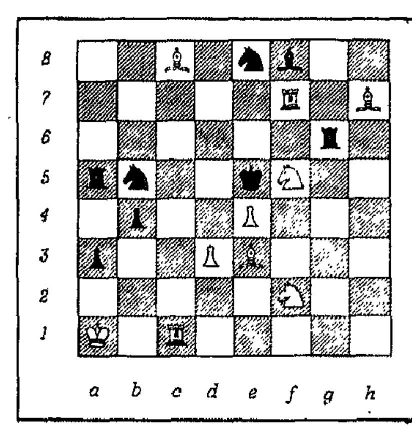
وارجح الآراء فيما يظهر أن مهد الشطرنج الهند. ومهما يكن منشأه فلا خلاف أن العرب اخذوه عن الفرس وان الفرس اخذوه مرة عن الهند. واسمه العربي «شطرنج» محرف عن الفارسي جترنك، وهذا محرف عن السنسكريتي «جتورنكا» –كلمة تكررت في شعر قدماء الهند وصفا للجيش. وهي مركبة من «جتور» أي اربعة و«انكا» أي عضو، فمعناها اربعة اعضاء. ويراد بها اعضاء الجيش. وهي عندهم الخيل والفيلة والعجلات والرجالة. والشاه في وسط الشطرنج وقصته تقارب كتاباً فهلوياً اسمه «جترنك نامك» يظن انه كتب في القرن السابع الميلادي. ويذكر ملك الهند فيه باسم دوسرام (بكسر الدال وفتح الواو). وفيه ان بزرجمهر فطن اللعب بالشطرنج ولاعب رسول الهند فغلبه اثني عشرة مرة ولأ... (أي بالتتابع).

وهنا يروي الفردوسي قصة ثانية لا تقل اهمية عن الاولى ونترك سردها مع ما كتبه المسعودي ورواه البستاني إلى العدد المقبل.

مسابقة الشطرنج رقم ٩







المسألة رقم ١٧
مات بنقلتين

حل المسابقة رقم ٧:

المسألة رقم ١٣: المفتاح TXç5

المسألة رقم ١٤: المفتاح Da2

يهدد الابيض ب 2.DXç4

امام الاسود ثلاث امكانات:

الاولى: 1 — Da2 Rxe5
2 — Dh2 +

الثانية: 1 — Da2 Cç7
2 — Dg2

الثالثة: 1 — Da2 Fç6
2 — CXç4

نتائج مسابقة العدد السابع.

رغم ازدياد عدد المشتركين في هذه المسابقة، لم يتوصل احدهم إلى كل المسائل باستثناء الآنسة ندى عتال – بيروت – لبنان التي استحقت الجائزة الاولى وقدرها مائة ليرة لبنانية. والآنسة عتال لم تذكر عنوانها الكامل في الرسالة فنرجو منها الاتصال برئاسة التحرير لاستلام جائزتها.

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

ميشال سطفان

● إلحاقاً بما كتبنا في العدد السابق عن اليمن وتاريخه من نحو ٧٠٠ سنة قبل الميلاد إلى أن دخلتها القوات المصرية سنة ١٨٣٨، نضيف المعلومات التالية: احتلت السلطات البريطانية مقاطعة عدن سنة ١٨٣٩ بحجة تموين بواخرها بالمياه، وسُمِّيت بمحمية عدن ثم استعمرتها رسمياً سنة ١٩٣٧ ولم تتركها الا في سنة ١٩٦٧ على أثر الثورة الشعبية المعروفة، وانشاء الجمهورية.

هذه الجمهورية الفتية هي جزء من اليمن القديم الذي اشتهر في عهد المملكة السبئية في القرن الثاني قبل الميلاد، وازدهرت تجارته بعد استعمال مضيق باب المندب.

أعلن استقلالها في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٧ بعد قتال عنيف بين جبهة تحرير جنوب اليمن والجبهة الوطنية للتحرير من جهة وسلطات الاحتلال البريطانية من جهة أخرى، التي كانت قد وعدت بالاستقلال سنة ١٩٦٤ شرط ابقاء قاعدة عسكرية لها هناك، ثم اخذت بالمماطلة.

قبل ان تكون هذه البلاد جمهورية مستقلة كانت معروفة منذ سنة ١٩٦٣ باتحاد الجنوب العربي وتتألف من ٢٠ ولاية وسلطنة ومشيخة بايعاز من الحكومة البريطانية لكي يبقى نفوذها بهذه التفرقة مستحكماً، وهي: مقاطعة عدن، وسلطنة لحج، والعوذلي، والعوقلي العليا الأولى، والعوقلي السفلى الثالثة، والفضلي، والحوشبي، ويافع السفلى الأولى، والواحدي، وإمارات الضالع، وبيحان، ومشيخات العلوي، والعقربي، والعولقي العليا الثانية، والمفلحي، وشعيب، وولاية دثينا، وجزر البريم، وقمران، وكوريا موريا.

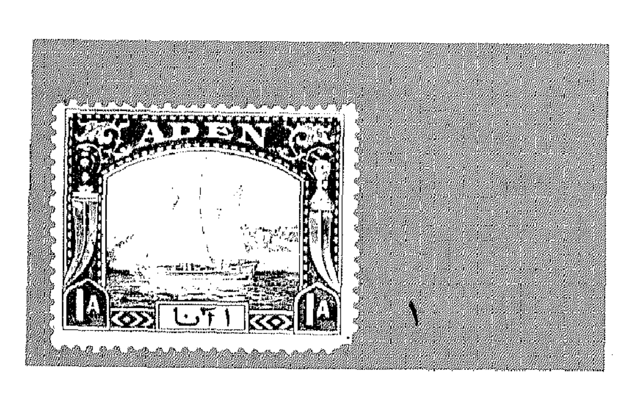
يضاف إلى ذلك سلطنة يافع العليا الثانية، والقعيطي (الشير والمكلا)، والكثيري (سيون)، وسلطنة مهرا (القشن واسقطرى)، التي لم تكن جزءاً من الاتحاد.

اعلنت هذه الجمهورية سنة ١٩٦٧ باسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وفي ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٠، اتخذت اسماً جديداً هو «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية» وبقيت عاصمتها عدن.

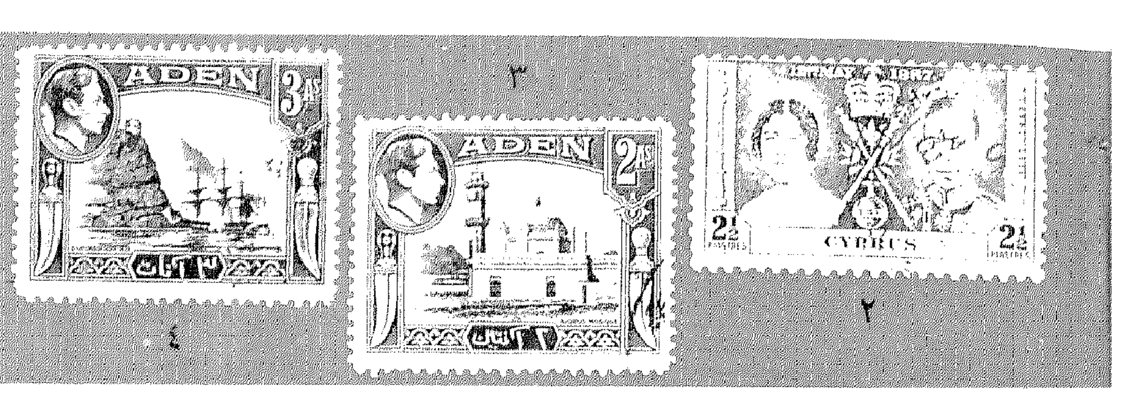
وفي ٢٨ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٧٢، صار التوقيع على اتفاقية بين ممثلين عنها وعن الجمهورية العربية اليمنية لاتحاد البلدين فيما بينهما خلال سنة، ولكن للأسف لم يتم هذا الاتحاد.

تاريخ الطوابع:

منذ احتلال القوات البريطانية عدن سنة ١٨٣٩ ولتاريخ جعلها محمية سنة ١٩٣٧، لم يكن هناك طوابع خاصة بها، بل كانت تستعمل الطوابع الهندية البريطانية كما كانت تُسمَّى آنذاك، وكانت تُعطَّل باختام خاصة تُميِّز بموجبها بلد الاستعمال. هذه الاختام كانت تحمل رقم (B22) أو (124, 125) مع كلمة (ADEN) أو بدونها، إلى ان اصدرت السلطات البريطانية الحاكمة في أول نيسان (إبريل) سنة ١٩٣٧ أول مجموعة مؤلفة من ١٢ طابعاً من فئة نصف آنة إلى ١٠ روبيات (صورة ١).



١



وفي ١٢ أيار (مايو) من السنة نفسها صدرت مجموعة من ثلاثة طوابع لمناسبة تتويج الملك جورج السادس بالشكل الذي استعمل لهذه المناسبة في جميع المستعمرات البريطانية (صورة ٢)، ثم صدرت بتاريخ ١٩ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٩ أول مجموعة بصور مختلفة للمنطقة مع رسم الملك جورج السادس في الزاوية العليا (صورة ٣ و٤) مؤلفة من ١٣ طابعاً، ثم الحقت بها مجموعات تذكارية مختلفة: النصر، واليوبيل الفضي للزواج الملكي، والذكرى الخامسة والسبعين عاماً لاتحاد البريد العالمي، وللزيارة الملكية للمستعمرات، وذكرى الدستور المعدّل، والتحرر مع الجوع، أسوة بجميع المستعمرات التي أصدرت مثل هذه المجموعات. وهناك مجموعتان عاديتان تحملان رسم الملكة اليزابيت (صورة نموذج واحد—٥).

وأما آخر إصدار فبتاريخ ٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٦٤، ثم سُحبت جميع طوابع عدن من الاستعمال بتاريخ ٣١ آذار (مارس) سنة ١٩٦٥ لتحلّ محلها طوابع اتحاد الجنوب العربي.

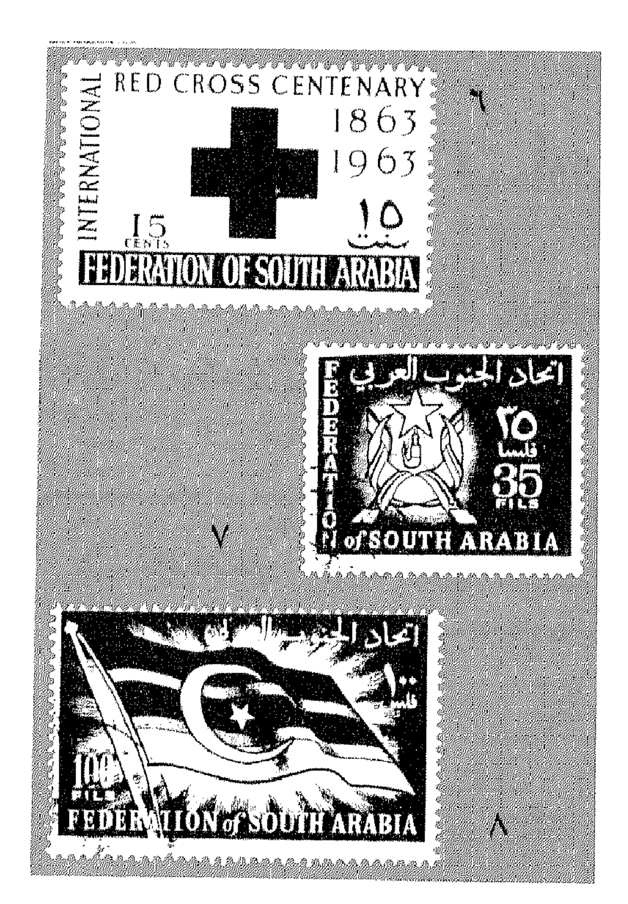
طوابع اتحاد الجنوب العربي:

أول مجموعة كانت للذكرى المئوية للصليب الأحمر الدولي صدرت في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٣، وبما انه كتب عليها:

"FEDERATION OF SOUTH ARABIA"

(صورة ٦)، فقد صُنِّفَت مع طوابع الاتحاد. ثم صدرت مجموعة خاصة بالاتحاد في اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ مؤلفة من ١٤ طابعاً وبالعملة المحلية الجديدة وهي بالفلس والدينار (١٠٠٠ فلس يساوي دينار)، وكانت من فئة ٥ فلوس إلى ٥٠٠ فلس وطابع أخير بدينار واحد. (صورة ٧ و٨).

ثم الحقت بها مجموعات تذكارية مشابهة أيضاً بمجموعات المستعمرات البريطانية، وهي: السنة العالمية للتعاون، وتخليداً لذكرى تشرشل، وكأس العالم لكرة القدم، وتدشين المركز الرئيسي العالمي للصحة، وكان آخرها للذكرى العشرين لليونسكو التي صدرت في ١٥ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٦٦. وخلال شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٨ ظهرت طوابع وغلافات تحمل طوابع من أول مجموعة عادية لاتحاد الجنوب العربي المعروفة، موشحة باليد بموجب ختم مطاط بشكل سطرين طولها ٤٤ مليمتر ليغطي اسم الاتحاد الموجود على الطابع كما ان طوابع تذكارية مختلفة لسنة ١٩٦٨ ظهرت موشحة باليد بختم مطاط ومكتوب عليه باللغتين «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية»، وقد أصبحت هذه الطوابع والغلافات ثمينة لأن عدد الصادر منها غير معروف.



وفي أول نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٨ صدرت أول مجموعة موشحة «جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية» وبالانكليزية، على مجموعة اتحاد الجنوب العربي العادية لسنة ١٩٦٥ المؤلفة من ١٤ طابعاً من فئة ٥ فلوس إلى دينار واحد، (صورة ٩)، ثم تلتها ١٩ مجموعة تذكارية مختلفة حتى آخر سنة ١٩٧٠.

وفي أول شباط (فبراير) سنة ١٩٧١ وكان قد تغير اسم الجمهورية في السنة السابقة كما ذكرنا، صدرت أول مجموعة تذكارية لمناسبة إنقاذ معبد فيله في النوبة مؤلفة من ثلاثة طوابع، (صورة ١٠)، تلتها مجموعة تقديم أول دستور للبلاد مؤلفة من أربعة طوابع، والحقت بها إصدارات عدّة على هذا المنوال إلى يومنا هذا.



- اسئلة القراء -

السيد نبيل نقولا الدبس من ميناء طرابلس لبنان يقترح ان نعطي في زاوية الطوابع توضيحاً يساعد على معرفة الطوابع القيمة. فنجيبه ان هناك كتالوغات عالمية وبلغات مختلفة تصور جميع طوابع العالم ويعطى التوضيح اللازم عن كل منها. وقد اصبح وزن المجموعة السنوية من هذه الكتالوغات أكثر من خمس كيلوغرامات.

من هنا يتّضح صعوبة الاستجابة لهذا الاقتراح، الاّ أننا على استعداد للافادة اذا تعلق الاقتراح بطوابع معينة أو ببلد معيَّن.

أما اقتراحات السيد نبيل الأخرى فقد اخذناها بعين الاعتبار وشكراً.

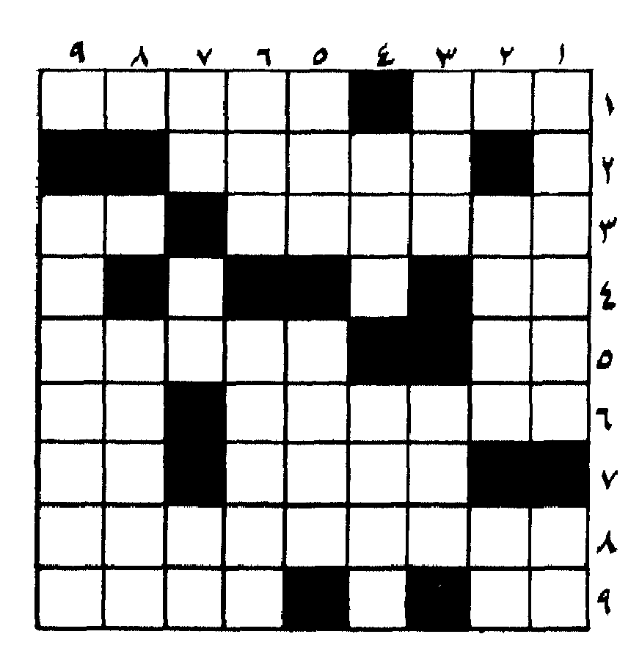
مسابقة العدد

افقياً :

(١) عاصمة بلد عربي–مؤسسة للتعليم العالي.
(٢) امارة سابقة في اليمن.
(٣) بلد في اليمن (معكوسة) ضمير متصل.
(٤) حيوان يضرب المثل بعقادة ذنبه.
(٥) حرف نصب–محفظة من جلد ونحوه (معكوسة).
(٦) جزيرة عربية–نصف موال.
(٧) مشيخة عربية–ذر الماء.
(٨) مضيق عربي (معكوسة).
(٩) اله–نربح.

عمودياً :

(١) امارة عربية (معكوسة)–لمح.
(٢) يدرس على البيدر (معكوسة)–حيوان مفترس.
(٣) بلد في سوريا–بلد في اليمن.
(٤) دولة عربية–نقدم الطعام (مبعثرة).
(٥) سلطنة في اليمن (معكوسة)–عملة عربية (معكوسة).
(٦) متشابهة–مدخلان.
(٧) وشى (معكوسة)–بحر (معكوسة)–بئر (معكوسة).
(٨) جزيرة عربية.
(٩) سلطنة في اليمن.



حل مسابقة العدد السابع :

افقياً :

(١) الملك خالد.
(٢) جبيل (معكوسة)–بلال.
(٣) خالد ظر (معكوسة).
(٤) ب–ويستهوي.
(٥) رمل–هـ–ر–١.
(٦) الرياض.
(٧) محني–منى (معكوسة).
(٨) كل–أجم–اف.
(٩) ة–المدينة.

عامودياً :

(١) الخبر–مكة.
(٢) ايل (معكوسة)–م–حل.
(٣) مبلولان–١.
(٤) يدجل (معكوسة)–ليال.
(٥) ك–سهر–حجم.
(٦) خبرة–دماي (معكوسة).
(٧) الظهران–ي.
(٨) لا–و–ضمان.
(٩) دل–يا–فة.

ملاحظة : يرجى من المشتركين بالمسابقة ان يكتبوا الحل بالكلمات المتصلة ولا يكتفوا برسم الاحرف على الشبكة. كما يرجى كتابة الاحرف المنفردة التي لا تدخل ضمن أية كلمة في السطر، كما هو مبين أعلاه في حل المسألة السابعة. وعدم الالتزام بهذين الامرين يعطي افضلية الربح لمن يلتزم.

للطلاب فقط...

اعداد: سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

● هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه شهر بعد صدور العدد. أي في منتصف الشهر الذي يلي صدور العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

إذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ماهي؟

● جريدة ثقافية اسبوعية كانت تصدر في مصر. انشئت ١٩٢٦ واحتجبت ١٩٣٣ واشترك فيها أئمة الفكر العصري أمثال علي عبد الرزاق، طه حسين، محمود عزمي، عبد العزيز البشرى، محمد حسين هيكل الذي ترأس تحريرها.

● مستعمرة بريطانية (مساحتها ٤٠٥ كيلومترات مربعة سكانها ٥٠.٠٠٠ نسمة) تضم حوالي ٩٢ جزيرة بركانية في المحيط الهندي. على بعد ١٦٠٠ كلم من زنجبار. احتلها الفرنسيون في القرن ١٨، ثم تنازلوا عنها لبريطانيا ١٨١٤. كانت منفى الوطنيين العرب أثناء الانتداب الانكليزي.

● شركة تجارة واستعمار. تأسست عام ١٦٢١ وتنظمت ١٦٢٣. حصلت من جمهورية هولندا على حقوق احتكار التجارة بين القارتين الأوروبية والأميركية وأخذت على عاتقها مهمة التضييق على النفوذ البرتغالي والاسباني في العالم الجديد. قامت بتأسيس «نيو» (هولندا الجديدة). واحتكرت حق التجارة بين مدار السرطان ورأس الرجاء الصالح على الشاطئ الافريقي وبين مضائق ماجلان على الشاطئ الأميركي. تمتعت بسلطات كاملة في مجالها واسهمت في توسيع رقعة الاستعمار الهولندي. آلت ممتلكاتها إلى الحكومة الهولندية بعد تصفيتها.

من هو؟

● عضو بارز في البرلمان مهمته مراقبة نواب حزبه للتأكد من انهم يقترعون في البرلمان وفقاً لقرارات الحزب ويذكرهم بمواعيد جلسات البرلمان حتى لا يتخلفوا عن حضور ما يهم الحزب منها.

● أكبر أمراء الشهابية في لبنان. ولد بقرية غزير قرب بيروت. أقام في بيت الدين عند شيخ خلوة توسم فيه النجابة. اتصل بأحمد باشا الجزار والي صيدا. ولاه امارة لبنان (١٧٨٨ – ١٨٤٠) ولما قدم ابراهيم باشا من حملته على الشام آزره لمدة طويلة. ولما استعادت الأستانة حكم سورية قبض الانكليز عليه ونفوه إلى مالطة ١٨٤٠. وبعد سنة نقل إلى الأستانة وبروسية وعاد إلى الاستانة وتوفي فيها.

مـا هـو؟

● الممر المائي والمصب الذي يتكون من التقاء نهري دجلة والفرات ويجري صوب الخليج العربي. يبدأ تحت بلدة القرنة العراقية ويبلغ طوله حوالي ١٢٠ ميلاً.

أجوبة مسابقة العدد السابع:

١ – مشروع مارشال ٢ – الكواكبي ٣ – جزر كومور (القمر) ٤ – دار مسالا.

الفائزون:

الأول: فاروق ناصر الدين. الكلية الوطنية بيروت، مائة ليرة لبنانية.

الثاني: حسام البدر. الرياض – المملكة العربية السعودية. اشتراك سنة في المجلة.

الثالث: سامر تكريتي. مدرسة معهد الحرية – دمشق – سوريا. اشتراك نصف سنة في المجلة.

وبما ان الأخ سامر قد سبق وربح الجائزة الثانية في العدد الثامن. فاننا قد استبدلنا بالاشتراك جائزة رمزية مقدارها ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها.

الجوائز هي

● الفائز الأول: مائة ليرة لبنانية.

● الفائز الثاني: اشتراك سنة في «تاريخ العرب والعالم».

● الفائز الثالث: اشتراك نصف سنة في المجلة.

سئل «فولتير» عن أعظم رجل في العالم فقال: انه اسحق نوتن... ولو ان فولتير قد سئل ايهما أنفع لابناء فرنسا كي يدرسوه وينقلوا مؤلفاته إلى لغتهم... شيكسبير مؤلف روميو وجولييت أم اسحق نيوتن صاحب مبدأ الجاذبية فقال فوراً: اسحق نيوتن.

سلامة موسى

اعرف نفسك واعرف عدوك ثم خض مائة معركة.. فسوف تنتصر فيها جميعاً.

قائد عسكري صيني

اذا كان في وسعك أن تحب ففي وسعك أن تفعل أي شيء.

تشيخوف

ان الهدف من الحياة هو الاحساس العنيف والشعور بأننا أحياء. ولو كان ذلك في خضم الآلام.

بيرون

البروج الفلكية

الحلقة السادسة من تاريخ البروج.

منى تنير

برج السرطان

٢٣ حزيران (يونيو) - ٢٣ تموز (يوليو)

● بغض النظر عن الطابع العلمي أو الأسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقداراً من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحان البيروني. ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل إلينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج السرطان:

يرمز الى برج السرطان بصورة الحيوان البحري «السلطعون». ومن المثير، لدى عودتنا الى التراث المصري القديم، أن نرى الرمز نفسه لبرج السرطان على لوحة الزودياك الموجودة على سقف بهو الأعمدة في معبد دندره، وهو معبد الآله الفرعوني «حتحور»، اله الجمال والحب والسعادة والكواكب. ويذكر أن هذه اللوحة الفريدة في أهميتها العلمية نقلت الى المكتبة العامة في باريس خلال الحملة الفرنسية وهي اليوم في متحف اللوفر.

أما الكلدانيون الأوائل فهم اعتقدوا أن برج السرطان هو «باب الرجال» الذي تخرج منه ارواحهم وبنزل الى الأرض لتتجسد في شكل مواليد مجدد. من هنا يعتبره بعض علماء التنجيم الفلكي في الوقت الحاضر بمثابة «برج الأمومة» في لوحة الزودياك (لوحة البروج الـ١٢).

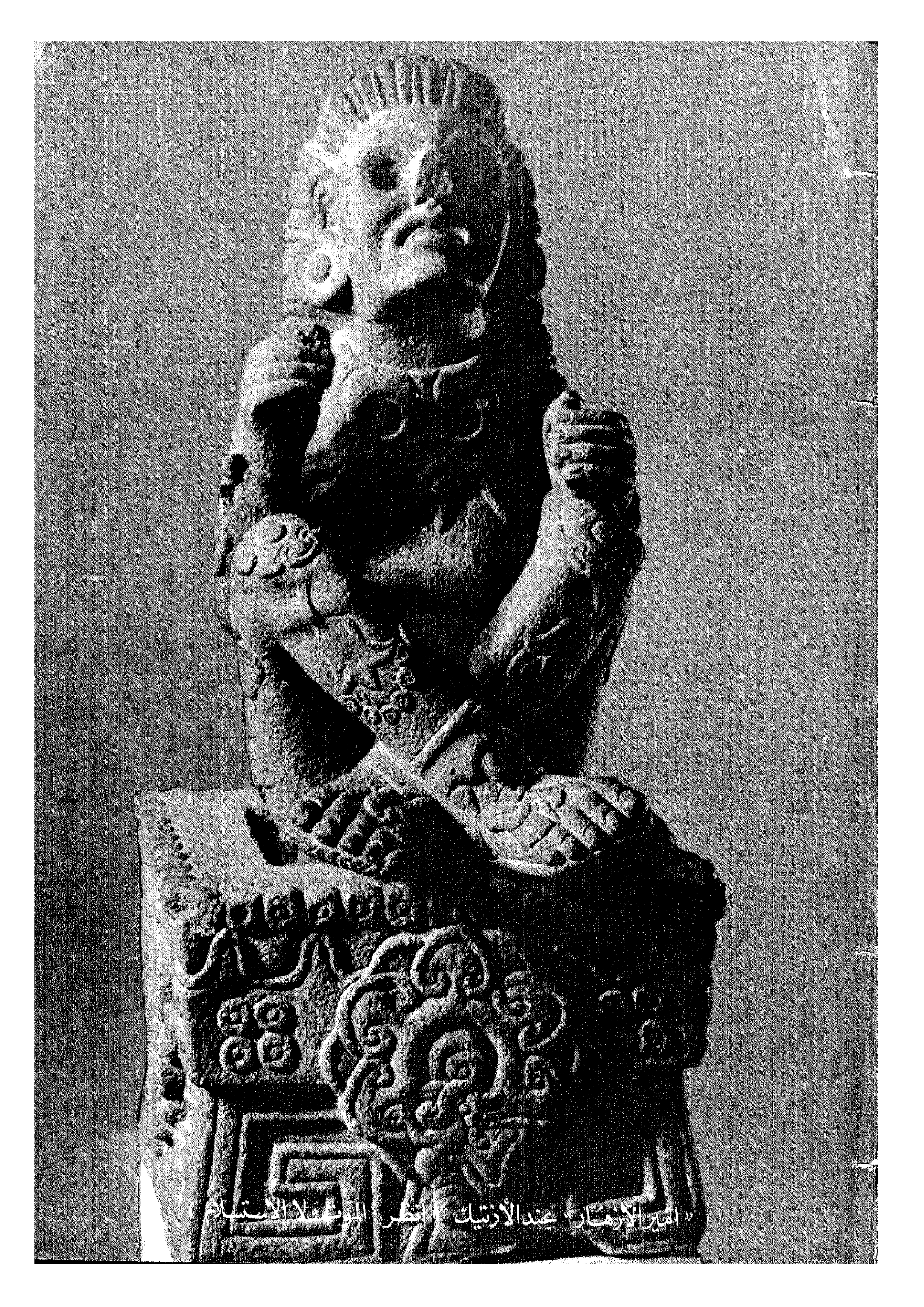
أن مواليد برج السرطان عاطفيون ونشطون في الوقت نفسه الى حد انهم يبادرون الى تلبية مطالب المقربين اليهم بمجرد احساسهم بحاجة هؤلاء الى مثل هذه المطالب. اضافة الى ذلك فان لديهم شعوراً جامحاً بأهمية في توفير الحماية للغير عند الملمات. ولكن مع تغيّر حركة النجوم في بعض فصول السنة تتحول عاطفتهم المرهفة الى حساسية مفرطة والى نوع من الاشفاق على الذات، كما يتحول لطفهم ومداراتهم للغير الى توتر شديد يتجسد في شكل تصرفات وممارسات غير منطقية أحياناً. ومع ذلك فان هذا الوضع يبقى مؤقتاً الى حين تكيفهم مع الأجواء الجديدة الطارئة.

أنهم يدافعون عن مؤسسة العائلة ويجهدون للحفاظ على التضامن بين افراد العائلة من خلال إتصافهم بروح الامومة (أو الأبوة) الحارة والصادقة الى أقصى حد. يظهرون للناس وكأنهم قساة وواثقون من أنفسهم. لكنهم في الواقع حساسون ومرهفون للغاية. وهم يتمتعون بذاكرة قويه وبسرعة الفهم وبسعة الخيال. يحاولون في تواضع ملحوظ أن لا يعارضوا آراء الغير وأن يتجنبوا فرض افكار غريبة أو جريئة. وعلى رغم كل هذه المظاهر فان مواليد برج السرطان يهوون روح التحدي والصراع ويبرعون فيه عند المحك. وهم يجدون أنفسهم مذنبين اذا ما افتقدوا الى من يتحدونه أو الى ما يقاومونه. من هنا لا عجب أن نجد في بعض رسوم الايطاليين في القرون الوسطى الأوروبية لوحة لاله الحرب «مارس» وعن يمينه رسم للسلطعون (رمز برج السرطان) وعن يساره رسم للكبش (رمز برج الحمل)، وهما اشارتان الى تلازم القوة مع العفو عند المقدرة.

استناداً الى أبحاث العلماء فان برج السرطان له تأثير مباشر في ناحيتين محددتين من الجسم البشري هما الصدر والمعدة.

من الشخصيات العالمية المشهورة في القديم والحديث والتي ولدت في برج السرطان، نذكر:

الموسيقي الاميركي لويس ارمسترونغ، المخرج السينمائي السويدي اينغمار برغمان، يوليوس قيصر، الكاتب الفرنسي جان كوكتو، الكاتب الاميركي ارنست هيمنغواي، جينا لولو بريجيدا، الكاتب الفرنسي مارسيل بروست، الفنان الهولندي رامبرانت، جون د. روكفلر، الكاتبة الاميركية بيرل باك ●



«أمير الأزهار» عند الأزتيك (انظر الموضوع الاستسلام)

